



جبريل السبعي

التوحُّش

آليات الرفض والتمرد في الموروث الشعري

التوحُّش

آليات الرفض والتمرد
في الموروث الشعري




مكتبة
التنوير

التوحُّش

آليات الرفض والتمرد في الموروث الشعري

جبريل السبعي







بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1437 هـ - 2016 م

ردمك 978-614-01-2000-6

جميع الحقوق محفوظة

هاتف: 96673174000 +

فاكس: 96673175107 +

جازان - المملكة العربية السعودية



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص. ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http: //www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الدار العربية للعلوم ناشرون** ش. م. ل

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)



الإهداء

إلى زوجتي الثانية نور

وقد منحتني فرصة أن أكون

أحد المبشرين

بمستقبل أفضل..

وإلى طفلينا:

رائد

وإيمان..

يدرجان ضاحكين



"من انفرد وطال مقامه في البلاد والخلاء، والبعد من الإنس استوحش. ولا سيّما مع قلة الأشغال، والمذاكرين... وإذا استوحش الإنسان تمثّل له الشّيء الصغير في صورة الكبير، وارتاب، وتفرّق ذهنه، وانتفضت أخلاطه، فرأى ما لا يُرى، وسمع ما لا يُسمع، وتوهم على الشيء اليسير الحقير، أنه عظيم جليل".

عمرو بن بحر الجاحظ



المحتويات





المقدمة

الصعلكة حالة من الانفصال الاقتصادي عن المجتمع، عاشها الخلعاء، والأغربة، والفقراء، وأما التوحش فحالة من التعالق المضاد مع المأنوس، لم تدهم إلا قلة من الناس، غارت في مجاهل الصحراء، ثم تبنت رؤى منبعثة من فضاء الوحشة، ومشحونة بهواجس القتل والتدمير.

ولما للبيئة من أثر في نشوء مختلف الظواهر الاجتماعية، والفكرية، والفنية، فقد آثرت أن أعتمد التفسير البيئي، في دراسة ظاهرة التوحش، فانطلقت من الحالة الجغرافية، والمناخية، لأبين كيف انعكست في الحالة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، ثم كيف تسببت – أخيرا – في نشوء ظاهرة التوحش.

من هنا اعتمدت النظر في التضاريس، والرياح، والأمطار، والحواضر، والبوادي، ثم في نظام القبيلة، والسيد، والنسب، والطبقات الاجتماعية، والفئات داخل الطبقة الواحدة، وكذا في حالات الفقر، والغنى، وفي قوانين: التحالف، والجوار، والتبني، والإلصاق، والخلع.

ولقد كان النظر في كل هذا ليس إلا من أجل الكشف عن البنية المجردة للواقع، ولذا فقد انتقلت من معاينة الواقع المتعين في ظرفي الزمان والمكان، إلى تأمل المفاهيم المجردة التي تنظم أجزاء هذا الواقع، وتنتظم بناه؛ كالتضاد، والصراع، والوحدة، والشتات، والاستلاب، والمناهضة، والتحول، والتأسيس، والاختراق، ثم حاولت ضبط هذه المفاهيم من منظور الواقع الذي احتضنها، وكذا التعرف على ما يتصل بها من قضايا؛ لأشكل من ثم جهازا مفاهيميا مكونا من:



1. الواقع بوصفه مصدرا للمعرفة.
2. المفاهيم، التي تمثل مفاصل البنية الفكرية المجردة للواقع.
3. آليات الحدوث، أو الكيفية التي يتحقق بها المفهوم عمليا.
4. الوظائف، حيث لكل مفهوم يتشكل في إطار البنية المجردة للواقع وظيفة محددة.
5. تداعيات الحدوث، أو تأثير المفاهيم في حياة الناس، متجلياً في اختياراتهم، وتفضيلاتهم، أي في استقطاب بعض الأشياء، وفي استبعاد بعضها الآخر عن حياتهم.
6. العلاقات، أو الروابط بين تلك المفاهيم.
7. انعكاس العناصر المشكلة للبنية المجردة للواقع، كالمفاهيم، وآليات حدوثها، ووظائفها، وتداعيات تحققها، والعلاقات فيما بينها، في رؤى الناس الذين يعيشون على أرض الواقع.

وعند العرض والاستدلال استقطبت المادة الشعرية شواهدَ لا أكثر، وقد ابتعدت عن التحليل اللغوي والفني للمادة الشعرية، كي لا أقع في مأزق اتخاذ الشعر مصدرا للمعرفة العلمية؛ ولأجعل من ثم فائق العناية والاهتمام للمفاهيم المستقاة من الواقع.

وقد نظرت إلى المفهوم المعجمي على أنه ليس هو الحقيقة، وليس هو ما يجب الاحتفاء به؛ لأنه مفهوم ذلك الكائن البدوي، الذي فهم العالم بحسب: ما توفر له من المعلومات، وما تشكل في وعيه من الفكر، وفي ظني أن التفكير الفلسفي هو الأقرب إلى الحقيقة، ذلك أنه يعتمد النظر في العالم، من خلال عقل أكثر دقة وشمولية، في حين أن اللغوي – مثلا – يعتمد النظر في النص، والأعرابي يعتمد النظر في العابر والجزئي والقريب، وفي المجمل فكل نظر مرهون بقدرة العقل، وبطرائق تفكيره، ولا شك أن قدرة أقدر من أخرى، وطريقة أفضل من غيرها، وإني إن انحزت إلى أحد أولئك، فإنني أنحاز إلى الفيلسوف، ومع ذلك فهذه القراءة مغامرة فكرية، حاولت خلالها ألا أهتم بالحمولات المعجمية، والدلالات الشعرية، والاصطلاحات اللغوية، بل نظرت مباشرة



في الواقع العربـــي القديم، فقرأته قراءة تتقصى الجزئيات، وتحلل، وتركب، في منطقـــة الفكر – بحسب ما أتيح لها من المعلومات، والإمكانات – وسواء أحالفها الصواب، أم جانبها؛ فإنها لا تهدف سوى إلى التطابق مع الواقع – ما استطاعت إلى ذلك ســـبيلا – والتحرر مما يمكن أن يحيد بها عن مرادها؛ من الإجراءات التي أصبحت نهجا متبعـــا في الدراسات المماثلة.

جبريل إسماعيل السبعي
المملكة العربية السعودية – جازان – 1437هـ




مكتبة
التنوير

التمهيد

كان التضاد البيئي في الجزيرة العربية خلال العصر الجاهلي وما بعده سببا في وجود حالات اجتماعية متضادة، وبطبيعة الحال فالتضاد الاجتماعي ولَّد صراعا اقتصاديا بين الجماعات ذات المناطق الجافة، وتلك التي تقطن في مناطق الخصب والإمراع.

ومع مرور وقت طويل على ذلك الصراع تشكلت ثقافة السلب، والنهب، والقتل، والغارات، وهي ثقافة تؤمن إيمانا مطلقا بمبدأ القوة، والظلم، والاغتصاب، وفي إطار هذه الثقافة العنيفة لجأ الإنسان من أجل أن يحقق القوة من جهة، ويواجه العنف من جهة ثانية، ويحصل على فرصة العيش الكريم من جهة ثالثة، إلى التكتل في جماعات سميت "القبائل".

وكان لزاما على القبيلة لكي تؤدي دور الحماية لأفرادها، وتعيش عيشة كريمة أن تحقق وحدةً لشملها، وحاولت تحقيق ذلك عن طريق ما يسمى "العصبية القبلية". ومن أجل أن تعزز القبيلة هذه الوحدة ابتكرت قانون "الخلع" المعني بإبعاد المزعزعين للوحدة، المؤدين للضعف والتفكك.

ولكن القبيلة العربية غالت في مسألة تحقيق وحدتها، فذهبت أيضا إلى الإيمان بـ "بوحدة جنسها" - أي بالعرقية - وتأسس هذا الإيمان على مفهوم "صراحة النسب" وتبعا لذلك خرجت طوائف عديدة عن إطار القبيلة؛ بحجة أن أنسابها ليست صريحة، ومن أولئك الخارجين: الهجناء، والأدعياء، والأغربة.

ولكن القبيلة - بطبيعة الحال - ليست في غنى عن هؤلاء؛ لذا ابتكرت قانون "الضم" المتمثل في: الحلف، والجوار، والتبني، والإلصاق، ومن ثم تشكلت داخل القبيلة



طوائف العبيد، والموالي، ثم مع مرور الوقت أصبح لـ "الصرحاء" حقوق، وأعمال، وواجبات، تليق بمكانتهم العالية، وأصبح لمن سواهم حقوق، وأعمال، وواجبات، تلائم مكانتهم الوضيعة؛ ليشتد من ثم التمايز بين الطبقات الاجتماعية.

وتولد نتيجة لذلك في صفوف الطبقات الأدنى شعور عميق بالقهر والمذلة، ثم تنامت في حياتهم الأزمات الاقتصادية، والنفسية، والاجتماعية، ليواجه بعضُهم تلك الأوضاع بالرفض، والتمرد، وفي نهاية المطاف فارقوا مجتمعاتهم بسبب الجرائر والجنايات التي ارتكبوها، فتغربوا في المجاهل، ثم اندمجوا في الوحوش، ليؤسسوا أنفسهم في منطقة الهامش، وليحتفوا هنالك بكل ما هو مضاد؛ لما عليه الحال في منطقة المركز، ومع مرور وقت طويل على نبذهم، وعلى عزلتهم، تشكلت لديهم رؤية وحشية، ثورية، تجاه الوجود، والإنسان، والحياة.

يتضح من خلال هذا العرض أن التضاد البيئي في الجزيرة العربية أوجد حالات، وظروفا، وأوضاعا اجتماعية متضادة أيضا؛ لينشأ على الصعيد الاجتماعي صراع اقتصادي غايته انتزاع الحياة ممن يمتلكها، وهذا الصراع كان من مقتضياته وحدة الصف على مستوى القبيلة من جهة، وشتات الفئات غير المدمجة في القبيلة من جهة أخرى، الأمر الذي أدى إلى استلاب تلك الفئات، وهذا الاستلاب أدى على مستوى الفئات الخاملة إلى غيابها التام، بينما تمت على مستوى فئات أخرى متمردة مناهضته، وهذه المناهضة أفضت بأبطالها إلى التحول نحو فضاء جديد، تم خلاله التأسيس لرؤية وحشية، سعت – في نهاية الأمر – إلى اختراق المركزي، والمأنوس، لتروج في المجتمع الجاهلي؛ نهجا حياتيا جديدا، ورؤية مختلفة.



الباب الأول

البيئة والمجتمع الجاهلي

التضاد: التناظر – السلب – المنح

الصراع: الانتزاع – المقاومة – النفي

الوحدة: الكثرة – المشترك – المقدس

الشتات: الانبتات – اللامشترك – اللامقدس




مكتبة
التنوير

التضاد(*)

(1)

تحقق التضاد في بيئة الجزيرة العربية، خلال مجموعة من العناصر هي: التضاريس، والرياح، والأمطار. حيث تركز الجدب، والحر، في مناطق عديدة من الجزيرة العربية، منها: تهامة "وهي أرض رملية شديدة الحرارة"(1) قليلة الإنبات(2) ومنها صحاري الجزيرة العربية، يأتي في مقدمتها "الربع الخالي؛ وهو صحراء واسعة قاحلة"(3) كذلك النفوذ، والدهناء التي "يصعب عبورها في مواسم القحل، لخطورتها"(4).

ولعل من أبرز عوامل الجدب قلة المطر فـ "الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تتعرض لها الجزيرة العربية صيفا تصل إليها بعد أن تكون قد أسقطت أمطارها الغزيرة على الحبشة، ولهذا فإن أمطارها في بلاد العرب لا تكاد تذكر بجانب ما يسقط منها في الحبشة"(5) إضافة إلى ذلك فـ "موسم المطر في البادية قصير"(6) وقد يحتبس لسنوات عديدة "ومما يزيد من قسوة الحياة في أيام الجفاف اقترانها في الغالب بريح

(*) انظر: صفة جزيرة العرب، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد – صنعاء، ط1، 1410هـ.

(1) العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار النيل – القاهرة، ط11، 18.

(2) انظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي، دار الإرشاد – بيروت، ط1، 1390، 15.

(3) العصر الجاهلي، 19.

(4) السابق، 16.

(5) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د. يوسف خليف، دار المعارف – القاهرة، ط3، 65.

(6) السابق، 67 – 68.



السموم، تلك الريح المهلكة"[1].

ومثلما عانت مناطق على مساحة الجزيرة العربية الجفاف، والجدب، وقسوة المناخ، كانت هنالك مناطق أخرى على النقيض من ذلك، فسلسلة جبال السراة التي تمتد على طول ساحل البحر الأحمر ما بين أقصى اليمن والشام لا تخلو "من مناطق خصبة هي بعض تلك الأودية التي تقطع السراة إلى تهامة حتى تنتهي إلى البحر"[2] ومن تلك الأودية وادي الجنات، ووادي نخلة، ووادي نحيان.

كما أن إقليم الحجاز الذي تؤلفه جبال السراة تكثر فيه "المناطق البركانية، والحرات، وهي أراض رملية تعلوها قمم البراكين"[3] فـ "تستقر فيها القبائل، وتقيم عندها لوفرة مياهها، وخصوبة أرضها"[4] وقرى الحجاز واليمامة - بشكل عام - تكثر فيها الزروع، والثمار، كما تخرج سفوحها كلأ للقطعان، وينابيع من ماء دائم[5].

ويثرب تعد من المناطق الخصبة حيث "تقوم في واد خصيب، تكنفه مرتفعات يعلو بعضها بعضا، وتكثر الآبار والعيون في هذا الوادي كثرة أتاحت له أن يصبح واحة جميلة؛ تكتظ بالنخيل، والأشجار، والزروع"[6].

وهضبة نجد العالية من المناطق "التي تكسو أغلبها مراع خصبة، وتنتشر فيها الأشجار، ومن هنا اشتهرت بنتاج غنمها، وإبلها، وخيلها، ويرجع السبب في هذا الخصب إلى وفرة المياه، التي توجد في كل مكان في آبار لا يتجاوز عمقها خمسة عشر قدما... كما أن قممها التي لا يتجاوز ارتفاعها خمسة آلاف قدم تساعد على تجميع المياه"[7].

---

(1) السابق، 67.
(2) السابق، 70.
(3) العصر الجاهلي، 18.
(4) الطبيعة في الشعر الجاهلي، 14.
(5) انظر: العصر الجاهلي، 19.
(6) العصر الجاهلي، 53.
(7) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، 69.



وتعد الطائف من المناطق شديدة الخصوبة، وهي "جيدة الجو والهواء، تزرع بها الفاكهة"[1] ومن مصادر خصبها الأساسية "وفرة المياه فيها، فالأمطار الموسمية تدوم بها من أربعة أسابيع إلى ستة، وعندما تنقطع تكثر الآبار التي تصلح لسقي حدائقها"[2].

وأما اليمن فتمتاز عن غيرها من أقسام الجزيرة العربية "بأوديتها الكثيرة، وسهولها، وزراعتها، لكثرة أمطارها، وقد ساعدت هذه الحياة على الاستقرار، الذي عم هذا الجزء من جزيرة العرب"[3].

وهكذا تتضح طبيعة التضاد في التكوين الجغرافي لجزيرة العرب، فهي "منطقة صحراوية، جبلية، عرفت الأغوار المنخفضة، ذات الحرارة الشديدة، والجبال العالية ذات القمم الثلجية، وعرفت بينها مناطق رملية، مترامية الأطراف، كثيرة المجاهل والمخاوف"[4].

كما أنها – أي جزيرة العرب – تضادت في حرها، وبردها، حيث يزداد الحر "قسوة فوق المنطقة الساحلية؛ بسبب الرطوبة التي تنشأ عن كمية البخار الهائلة المتصاعدة من مستنقعات المياه المغلقة، أما فوق المرتفعات فإن درجة الحرارة تنخفض حتى ليوجد الجليد أحيانا في ليالي الصيف فوق الجبال جنوبي مكة"[5].

وتضادت كذلك في نزول المطر وفي احتباسه، إذ قد "تهطل الأمطار الغزيرة، فتحدث السيول، ثم تعقبها فترة طويلة من الجفاف التام"[6] و"ليس في البادية العربية أنهار دائمة الجريان، وإنما هي أودية تمتلئ بالماء في مواسم المطر، ويغيض ماؤها بعد ذلك"[7].

---

(1) الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط1، 1412هـ، 26.
(2) الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، 26.
(3) الطبيعة في الشعر الجاهلي، 16.
(4) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، 72 – 73.
(5) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، 65.
(6) الطبيعة في الشعر الجاهلي، 18.
(7) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، 67.



ويمتد هذا التضاد إلى الصحاري كالدهناء، والنفوذ، والربع الخالي حيث "تعد هذه الصحاري... قفارا متسعة لا تجد فيها أثرا للحياة، إلا في موسم الشتاء، الذي ترتـــدي فيه أقسامها الشمالية رداء أخضر من المراعي بعد نزول المطر"(1).

(2)

على هذا النحو تحقق التضاد في بيئة الجزيرة العربية، وأما في المجتمع، فقد ظهر على نحو يعكس وجوده على أرض الواقع، حيث استقر بعض العرب في مناطق الخصـــب، كبني سليم في الحجاز، وبني قحطان في اليمن، والأوس والخزرج في يثرب، وقريش في مكة، وثقيف في الطائف، بينما تنقل الأعراب في البوادي، ذات المحل حينا، والإمـــراع حينا آخر، كبني مرة، وبني عامر، وعرب الشمال بشكل عام.

وقد دفع الاستقرار الحضر إلى الاشتغال بالزراعة، والصناعة، والتجـــارة، بينمـــا انشغل البدو بالرعي، والصيد، والغزو، وعليه فإن الحضر غلب على معيشتهم الرغد، في حين داخل حياة البدو النكد، فكانت ثروات الحضر تنمو، بينما اكتفى البدو بما يســـد رمقهم من المال، الذي هو معرض للتلف والفناء؛ لارتباطه بالماء والكلأ، الذي يتـــوفر حينا، ويندر في أحايين أخرى.

وإذا تجاوزنا حالة التضاد هذه بين سكان الحواضر، والبدو الرحل، ووقفنا لـــدى كل فئة على حدة، فسنجد بين الحضر فئات من الناس غُلب على أمرها، وكذلك بين البدو أناس بالمثل، وعليه فحالة التضاد لم تتحقق فقط في إطار ثنائية: الحضر/البدو، وإنما تحققت أيضا في إطار الجماعة الواحدة، التي تسكن الحاضرة أو البادية، فهنالك فقـــراء مدقعون، وأغنياء مترفون، في الحواضر والبوادي على حد سواء.

أما في الحواضر فقد انقسم الناس إلى صناع، ومزارعين، وتجار، وفرق بين هـــذه الفئات الثلاث من حيث إن الأخيرة أكثر ثراء، وألصق بالشرف، بحسب معايير العصر

(1) الطبيعة في الشعر الجاهلي، 16.



الجاهلي، لما لها من القدرة على دفع الديات، واحتلال موقع الصدارة في مواقف النبل والكرم، هذه القيم الأسمى في حياة الجاهليين.

وأما في البوادي فقد انقسم الناس إلى "طبقتين اقتصاديتين أساسيتين: طبقة أصحاب الإبل، أو "أرباب المخائض" كما يسميهم بعض الشعراء، وطبقة الصعاليك"[(1)] أما الأولى فقد كان لها نعم ملأ الأرض، وأما الثانية فلا تكاد تملك شيئا.

وإضافة إلى التضاد الاجتماعي، والاقتصادي، المنعكس – أساسا – عن التضاد البيئي في جزيرة العرب، فقد كانت هنالك أشكال أخرى من التضاد، تفرعت من أصلها الاجتماعي/الاقتصادي، لتحاصر الإنسان في ثنائيات متضادة من الشرف والخسة، الكثرة والقلة، القوة والضعف، الحرية والعبودية، الأنا والآخر...، وليس يتسع المقام هنا لحصر جميع تلك الثنائيات، ولا لبيان كيفية انبثاقها عن أصلها الأساسي، ولكن حسبنا أن نعلم أن التضاد البيئي قد انعكس في الإنسان، وفي أحواله الاجتماعية، والاقتصادية، ليتفرع عبر عدد من الثنائيات المتضادة، في مستويات القيمة، والدرجة، والمقدار، والقوة، والعدد، فكان الإنسان في تلك الحقبة من الزمن، وفي ذلك المكان تركيبة من المتضادات، المتصارعة حينا، والمتآلفة حينا آخر.

(3)

يتحقق التضاد عندما توجد حالة من التناظر بين جوهرين، ثم يُسلب أحد الجوهرين عرضٌ ما، ثم يُمنح الجوهرُ الآخر هذا العرضَ المسلوب من نظيره[(2)]. وعليه فالتضاد يتحقق بآلية: التناظر، ثم السلب، ثم المنح.

---

(1) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، 145.

(2) "الجوهر" و"العرض" أوردهما حسب الاستعمال الفلسفي لهما، فالجوهر: "الموجود القائم بنفسه" (المعجم الفلسفي: جميل صليبا، 1982م، دار الكتاب اللبناني – بيروت، 424/1) والعرض: "ما لا يقوم بذاته، وهو الحال في موضوع" نفسه: 69/2.



أما التناظرُ فيتطلب وجودَ جوهرين متشاكلين، ثم مسافةً بينهما، ثم علاقةَ تــلازم بين هذين المتشاكلين، وتأسيسا على هذا فالتناظر: علاقة تلازم بــين متشــاكلين في الجوهر، متباعدين في المسافة، وينبني التناظر في صورته المبسطة على مبدأ الثنائيــة، أي على قاعدة أن يتألف من شيئين اثنين. ومن الثنائيات المتناظرة في الوعي العربــي، الفقر والغنى، السواد والبياض، الحرية والعبودية... إلخ.

لقد انقسم المجتمع العربــي منذ العصر الجاهلي - كما أسلفت - "إلى طبقــتين اثنتين من حيث توزع الثروة والمال، طبقة المترفين من السادة والتجار، وطبقة الفقــراء المعدمين، وكان السبب المباشر للتنافر بينهما، هو احتكار إحداهما لنفوذ المال، وحرمان الأخرى من النزر اليسير منه. مما أدى إلى بروز شرخ اجتماعي بعمق الهاوية بينهما، إذ تتربع الأولى في القمة من عرش النفوذ والسلطة، في حين تقبع الثانية في الدرك الأســفل من حضيض البؤس والفاقة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كان لهذا التباين الكــبير بينهما، نتائج واضحة على الصعيد النفسي، فطبقة الأثرياء تمتهن طبقة الفقراء، وتنظــر إليها نظرة مشبعة بالانتقاص، والازدراء، والاحتقار. والثانية تحقد على الأولى، وتبغضها لأنها تمتص جهدها، وتستغل حاجتها، وتزيد من سطوة سياط الفقر، والفاقة عليها"(1).

والذي يعنينا هو إبراز حالة التناظر بين الفقر والغنى، متجلية في أشعار من انتــهى بهم الأمر إلى حال من التوحش، أيا كانت درجة ذلك التوحش في نفوســهم. يقــول عروة بن الورد(2) مناظرا بين الفقر والغنى، وأثرهما على الفقير والغني(3):

---

(1) مظاهر القهر الإنساني في الشعر الجاهلي، رباح عبد الله علي (رسالة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها)، 68.

(2) هو عروة بن الورد بن زيد، وقيل ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن لديم بــن عوذ بن غالب بن قُطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار. شاعر من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المعــدودين المقدمين الأجواد، وكان يلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامــه بــأمرهم، إذا أخفقــوا في غزواتهم، ولم يكن لهم معاش أو مغزىً. (الأغاني 51/3، ومنتهى الطلب 215/3).

(3) ديوان عروة بن الورد، شرح ابن السكيت (يعقوب بن إسحاق ت 244هـــ) حققه وأشرف على طبعه ووضع فهارسه: عبد المعين الملوحي، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القــومي، 43، التجلــة: الجلالة وهي العظمة.



المـــال فيـــه مهابـــة وتَجِلَّـــةٌ   والفقــرُ فيــه مذلــة وفُضــوحُ[1]

ويطلب في موضع آخر من زوجته أن تدعه يسعى في طلب المال، لبعض الأسباب التي يعرفها عن الفقر والغنى، من واقع تجاربه ومعايشاته[2]:

دَعــــيني لِلغِـــنى أَســـعى فَـــإِنّي   رَأَيـــتُ النـــاسَ شَـــرُّهُمُ الفَقـــيرُ

وفي موضع آخــر ينــاظر بــين غنــاه وفقــره، مخــبرا عــن موقفــه في الحالين[3]:

فَإِذا غَنيــتُ فَــإِنَّ جــارِي نَيلُــهُ   مِن نــائِلي وَمُيَسَّــري مَعهــودُ[4]

وَإِذا افتَقَرتُ فَلَــن أُرى مُتَخَشِّــعاً   لأخي غِــنىً مَعروفُــهُ مَكــدودُ[5]

ويعرض مالك بن حريم الهمداني[6] رؤيته التي استقاها من تجاربـــه الخاصـــة أيضا، مناظرا بين الغنى والفقر، وكيـــف ينعكســـان في صـــورة المـــرء داخـــل مجتمعه[7]:

أُنبِئـــتُ وَالأَيـــامُ ذاتُ تَجـــارِبٍ   وَتُبدي لَكَ الأَيّامُ ما لَســتَ تَعلَــمُ

بِـــأَنَّ ثَـــراءَ المـــالِ يَنفَـــعُ رَبَّـــهُ   وَيُثني عَلَيهِ الحَمــدَ وَهــوَ مُــذَمَّمُ

وَأَنَّ قَليلَ المـــالِ لِلمَـــرءِ مُفسِـــدٌ   يِحزُّ كما حَزَّ القَطيــعُ المُحَــرَّمُ[8]

---

(1) التجلة: الجلالة وهي العظمة.

(2) السابق، 91.

(3) السابق، 48.

(4) النائل: العطاء.

(5) تخشع: رمى ببصره نحو الأرض، وغضه وخفض صوته، أي وقف وقفة الخضوع والتذلل.

(6) هو مالك بن حريم بن مالك بن حريم بن دالان شاعر همدان وفارسها وصاحب مغازيها وهو مفزع الخيل، وأحد وصافي العرب للخيل، ويعد من فحول الشعراء، وله أخبار جمـــة ومناقـــب بـــرزة. (الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير 89/10).

(7) شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت 421)، علق عليه ووضـــع حواشيه: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1424هـــ، 822/2 – 823.

(8) القطيع: السَّوْط. وَالْمحرم: الخشن الصلب، فَيكون أَشد إيجاعا. وَالْمعْنَى أَن قلَّة الْمَال مضرَّة للمرء، فتتركه يتألم كتألم من يواليه السَّوْط.



كما أن عبيد الله الجعفي[1] يناظر بين الفقر والغنى، وكيف يؤثّر كل منهما في صاحبه[2]:

أَلَم تَرَ أَنَّ الفَقرَ يُزري بأَهلِهِ ... وَأَنَّ الغِنى فيهِ العُلى وَالتَّجَمُّلُ

ويناظر أبو النشناش العقيلي[3] بين الفقير والغني، من حيث ما يجب عليهما أن يختارا من المصير الأليق بكل واحد منهما[4]:

فللموت خيرٌ للفتى من قعودِه ... فقيراً ومن مولى تدب عقاربُه[5]

فمت معدماً أو عشْ كريماً فإنني ... أرى الموتَ لا ينجو من الموتِ هاربُه

وإذا كان أبو النشناش في مناظرته هذه قد أولى الفقير عنايته، فخصه بحجاجه حين حاول إقناعه بأن الموت خير له من الحياة، لاسيما أنه لا أحد سينجو من الموت، فإن الشنفرى[6] يناظر بين فقره وغناه، ملمحا إلى أنه يمتلك الصفات التي ستجعله ينال الغنى هو أيضا[7]:

---

(1) هو عبيد الله بن الحر بن عمرو بن خالد بن المجمع بن مالك بن كعب بن عوف بن حريم بن جُعفي، شاعر فحل من الشجعان الأبطال، وفاتك من الفتاك المشهورين في الإسلام، ألقى بنفسه في الفرات فمات غرقا. (منتهى الطلب من أشعار العرب 300/3، والبداية والنهاية 50/7، والكامل في التاريخ 78/4).

(2) الكامل في التاريخ، ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني ت 630)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1، 1417هـ، 351/3.

(3) هو شاعر أموي، وأحد لصوص بني تميم، كان يعترض القوافل في شذاذ من العرب بين طريق الحجاز والشام (الأغاني 121/12، والأصمعيات 118، والتذكرة الحمدونية 284/1).

(4) الأصمعيات، أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك الأصمعي (ت 216)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، بيروت، ط5، 119.

(5) تدب عقاربه: كناية عن الأذى. والعقارب هنا: النمائم.

(6) هو عمرو بن مالك، وقيل ثابت بن أوس، وقيل ثابت بن جابر. والشنفرى لقب لقب به. من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث. شاعر جاهلي قحطاني من لصوص العرب وفتاكها وعدائيها المشهورين، وهو ابن أخت تأبط شرا، أسر صغيرا، فعاش مستعبدا لا يعرف من أمره، حتى شب وعرف حقيقة أمره فلزم اللصوصية والصعلكة مع عمرو بن براق وتأبط شرا. (منتهى الطلب، 6/هامش 397، والأغاني 128/21).

(7) ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر – بيروت، ط1، 1996م، 62.



وأُعــدم أحيانــاً وأغْــنى وإنمــا ينالُ الغِنى ذو البعــدة المتبــذِّلُ[1]

ومثلما ناظر المستلبون بين الفقر والغنى، ناظروا كذلك بين السواد والبيــاض، وقد "كان العرب يبغضون اللون الأسود بقدر ما يحبون اللون الأبيض، وقد وصفوا كل شيء ممدوح عندهم ماديا كان أو معنويا بالبياض، وكان مما يمدح به الرجل أو يفتخر به أنه أبيض، ومن سمات جمال المرأة أن تكون بيضاء، وهو أيضا دليل علــى شرفها، فقد كان مما يمدح به الرجل أنه ابن بيضاء، بل إنهم كانوا يفخــرون بــأن سباياهم من النساء البيض"[2] وقد كان عنترة بن شداد[3] من أكثر الذين ناظروا بين السواد والبياض، وكان يقر بوضاعة لونه الأسود، جريا علــى الرؤيــة الجاهليــة، ويعترف بسمو مكانة اللون الأبيض، لذلك يقرنه دائما بالأخلاق الرفيعة، والفعــل النبيل:

سَوادي بَياضٌ حينَ تَبدو شَــمائِلي وَفِعلي عَلى الأَنسابِ يَزهو وَيَفخَرُ[4]

وتتكرر هذه الرؤية في مثل قوله[5]:

شَــبيهُ اللَيــلِ لَــوني غَــيرَ أَنّــي بِفِعلي مِن بَياضِ الصُــبحِ أَســنى[6]

وفي مثل قوله أيضا[7]:

تُعــيرني العِــدا بســوادِ جِلــدي وبيضُ خصَــائلي تمحُــو السَّــوادا

---

(1) ذو البعدة: صاحب الهمة العالية. المتبذل: الذي يلي الأعمال بنفسه.

(2) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، 110 – 111.

(3) هو عنترة بن شدّاد، وقيل: ابن عمرو بن شدّاد، وقيل: عنترة بن شدّاد بن عمرو بن معاوية بــن قراد بن مخزوم بن ربيعة، وقيل: مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بــن عــبس بــن بغيض بن الرّيث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. وله لقب يقال له عنترة الفلحاء؛ وذلك لتشقّق شفتيه، وأمّه أمة حبشيّة يقال لها زبيبة، وكان لها ولد عبيد من غير شدّاد، وكــانوا إخوته لأمّه، وقد كان شدّاد نفاه مرّة ثم اعترف به فألحق بنسبه. (الأغاني: 168/8).

(4) شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي (يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي ت 502)، قدم لــه ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربــي – بيروت، ط1، 1412هـــ، 79.

(5) ديوان عنترة، تحقيق: د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية – بيروت، ط1، 1429هـــ، 379.

(6) أسنى: أشد ضوءا وبياضا.

(7) شرح ديوان عنترة، 49.



وتتكرر هذه الرؤية في قوله[1]:

وَإِن كانَ لَوني أَســوَداً فَخَصــائِلي   بَياضٌ وَمِن كَفَّيَّ يُســتَنزَلُ القَطــرُ

وفي قوله[2]:

عَلَيَّ قميصٌ مــن سَــوَادٍ وتحَتَــه   قميصُ بياضٍ لَمْ تُخَــيَّطْ بَنَائِقُــه[3]

ثم يلي عنترة بن شداد في المناظرة بين اللونين الأبيض والأسود؛ سحيم عبد بــني الحسحاس[4]، هذا الذي عانى – هو أيضا – من عقدة اللون الأسود، فــأقر – مــن جهة – بوضاعة لونه – كما فعل عنترة – واعترف – من جهة أخرى –بسمو البياض، فقرنه بالأخلاق الرفيعة[5]:

إِن يَكُــن لِلسَّــوادِ فِيَّ نَصــيبٌ   فَبَياضُ الأَخــلاقِ مِنــهُ نَصيبيــــي

وقال أيضا[6]:

إِن كُنتُ عَبداً فَنفسيَ حُرَّةٌ كَرَمــاً   أَو أَسوَدَ اللَونِ إِنّي أَبــيَضُ الخُلُــقِ

والملاحظ أن هذه التناظرات تكشف عن معاناة حقيقية؛ تتجلى في محاولــة محــو اللون الأسود، بالفعل الأبيض تارة، وبالخصال البيضاء تارة أخرى، غــير أن معانــاة سحيم – فيما يبدو – أقل منها لدى عنترة، لاسيما أنه يؤمن بأن[7]:

(1) ديوان عنترة، 257.

(2) لسان العرب، ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، ت 711)، دار الحديث – القاهرة، 1423هــ، "سود".

(3) الْبَنَائِقَ: العُرى الَّتِي تُدخَل فِيهَا الأَزْرار.

(4) هو سحيم، وكان عبدا أسود نوبيّا أعجميّا قبيحا، ومطبوعا في الشعر، أدرك النبيّ صلّى اللّه عليــه وسلم، وكان عبد الله بن أبي ربيعة المخزومى اشتراه، وكتب إلى عثمان بن عفّان رضي الله عنــه: إنّى قد اشتريت لك غلاما حبشيّا شاعرا، فكتب إليه عثمان: لا حاجة بنا إليه فاردده، فإنّما حظّ أهل العبد الشاعر منه إذا شبع أن يشبّب بنسائهم، وإذا جاع أن يهجــوهم. (الأغــاني 213/22، والشعر والشعراء 408/1).

(5) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتــب المصــرية – القــاهرة، 1369هــ، 55.

(6) السابق، 55.

(7) السابق، 54.



ليس يُزري السوادُ بــذي اللــبِّ   ولا بـــالفتى اللبيـــبِ الأديـــبِ

كما أن محاولاته لمحو اللون الأسود تخلو من المبالغة، في حين تظهر محاولات المحــو هذه لدى عنترة بغير قليل من المبالغة والادعاء، كما في قوله: "وَفِعلي عَلى الأَنســابِ يَزهو ويَفخَرُ"[1] وكما في قوله: "غير أني بفِعلي مِن بَياضِ الصُبحِ أَسنى"[2] وكمــا في قوله: "فخصائلي بَياضٌ وَمِن كَفَّيَّ يُستَنزَلُ القَطرُ"[3] لاشك أن هذا محض ادعاء، يساق في إطار مبالغة، لإبراز الأخلاق الكريمة، والأفعال العظيمة، حتى لا تبدو إلا هي ساطعة في الأعين، والقلوب.

وفي ظل هذا التناظر يبدو المجتمع بكل شرائحه، وأطيافه، كما لــو كــان ظالمــا ومظلوما فقط، نلمح هذه الرؤية لدى عمرو بن براقة[4] أثناء حديثه عن موقفهم مــن مولاهم حين يقول[5]:

وَنَنصُــرُ مَولانـــا وَنَعلَـــمُ أَنَّـــهُ   كَمَا النّاسُ مَجرومٌ عَلَيهِ وَجــارِمُ[6]

كما نلمح هذه الرؤية ذاتها لدى عبيد بن أيوب العنبري[7] في قوله[8]:

(1) شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، 79.

(2) ديوان عنترة، تحقيق: د. درويش الجويدي، 379.

(3) السابق، 257.

(4) هو عمرو بن براقة الهمداني، ثم النهمي، وبراقة أمه، وهو عمرو بن منبه بن شهر بــن نهــم بــن ربيعة بن مالك بن معاوية بن رومان بن بكيل بن جشم بن خيران بن نوف بن همــدان. شــاعر جاهلي صعلوك فاتك رافق الشنفرى وتأبط شرا، كان يغزو راجلا، ويفوت الخيــل إذا طلبتــه. (منتهى الطلب من أشعار العرب 199/4، والأغاني 126/21).

(5) الوحشيات (الحماسة الصغرى)، أبو تمام (حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، ت 231هـــ) حققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف – القاهرة، ط3، 32.

(6) الجرم: الذنب. والجارم: المذنب المعتدي.

(7) هو أبو المطراب عبيد بن أيوب، أحد بني العنبر بن عمرو بن تميم. شاعر إسلامي لص. وكان قــد جنى جناية فطلبه السلطان وأباح دمه، فهرب في مجاهل الأرض، وأبعد لشدة خوفه، وكان يــذكر في شعره أنه يرافق الغول والسعلاة، ويبايت الذئاب والأفاعي، ويأكل مع الظباء والوحش. (منتهى الطلب من أشعار العرب 234/3، والشعر والشعراء 784/2).

(8) الحيوان، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، ت 255هـــ) تحقيق عبد الســلام محمد هارون، مطبعة مصطفى الحلبــي وأولاده – مصر، ط2، 1386م، 167/6.



فما زلتُ مذ كنتُ ابن عشرين حجةً أخا الحربِ مجنيـاً علـيَّ وجانيـا

ويطالعنا عبد يغوث الحارثي[1] بالرؤية ذاتها التي تناظر بين حالتين متضادتين[2]:

وقد علمتْ عِرسي مُليكـةُ أنـني أنا الليثُ معدواً عليـه وعاديـا[3]

ونلاحظ أن هذه الرؤية المتكئة على مبدأ الثنائية، وعلى حالة التناظر بين الأشياء؛ تتمدد في وعي الإنسان العربـي؛ لتبدو له من ثم جميع حالاته متضادة عـبر زمـانين مختلفين، يقول عبيد الله الجعفي[4]:

ويَومـاً تـراني في رَخـاءِ وغِبطَـةٍ ويَوماً تَراني شاحِبَ اللَّـونِ أَغبَـرا

وتتكرر هذه الرؤية في مثل قوله[5]:

أرى الدهرَ لي يومين يومـاً مطـرَّداً شريداً ويومـاً في الملـوكِ متوجـا

وإذا صدق هذا التناظر على جميع حالات المستلب، فإنه يصدق أيضـا علـى زمانه المنقسم إلى قسمين متضادين -كما رأينا -من هنا فالدهر لـدى عبيـد الله الجعفي ليس غير يومين، ولدى عنترة بن شداد "يَبخَلُ تـارَةً وَيَجـودُ"[6] ولـدى

(1) هو عبد يغوث بن صلاءة، وقيل بل هو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة بن المغفـل، واسم المغفل: ربيعة بن كعب الأرتّ بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلة بن خالد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. شاعر جـاهلي قحطاني مشهور من أهل بيت شعر معروف في الجاهلية والإسلام، وفارس شديد مذكور، وسـيد شريف في قومه، قاد يوم الكلاب الثاني إلى بني تميم، وفي ذلك اليوم أسر فقتل. (الأغاني 224/16، وخزانة الأدب للبغدادي 202/2، منتهى الطلب 329/2).

(2) العقد الفريد، ابن عبد ربه (عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ت 328هـ)، تحقيق: محمد سعيد العريان، مكتبة الاستقامة – القاهرة، ط2، 1372، 73/6.

(3) عرسه: امرأته.

(4) معجم البلدان، ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله يـاقوت بـن عبـد الله الحمـوي، ت 626هـ)، دار صادر – بيروت، ط2، 1995م، 401/3.

(5) تاريخ الطبري، أبو جعفر الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بـن كـثير بـن غالـب الطـبري، ت 310هـ)، دار التراث – بيروت، ط2، 1387هـ، 136/6.

(6) قال:

فسطا على الدهر سطوة غادر والدهر يبخل تارة ويجود

ديوان عنترة، 214.

السليك بن السلكة[1] يبدو مماثلا أيضا[2]:

ألم تـــر أن الـــدهرَ لونـــان لونـــه وطـــوران بشـــرٌ مـــرة وكـــذوب

والملاحظ أن هذه الرؤية لدى المستلبين؛ تمتد لتشمل تصورهم لحـــال النـــاس في حياهم، وقد منوا بقائد إما مبصر أو أعمى، وكأهم –أي المستلبين –قد وقعوا أســـرى لتلك الثنائية، التي ما انفكت تحاصر عقولهم، وسلوكهم، وكل شيء في حياهم. يقول حريث بن عناب الطائي[3]:

إذا ركب الناسُ الطريـــقَ رأيـــتَهم لهم خابطٌ أعمى وآخـــرُ مبصـــرُ[4]

وعليه فإن أولى مراحل التضاد حالة التناظر هذه، التي انعكست عن البيئة الجغرافية في وضع الإنسان، لتبرز في رؤاه، وفي موقفه من الوجود، وفي سلوكه، ولعـــل أبـــرز المشكلات التي عايشها الإنسان العربـــي في فجر تاريخه؛ هي قيام رؤيته الوجودية على مبدأ الثنائية، هذا المبدأ الذي يشطر العالم إلى شطرين، ويصدر أحكاما مســـبقة علـــى الحقيقة، ويصنع المسافة بين الشيء والشيء، ويؤسس لحالة من الصراع.

---

(1) هو السُّليك بن عمرو، وقيل: بن عمير بن يثربـــي، أحد بني مقاعس، وهو الحارث بن مرو بـــن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، والسُّلَكة: أمه، وهي امرأة سوداء، وهـــو أحـــد صـــعاليك العرب وأغربتهم وهجنائهم العدائين الذين كانوا لا يُلحقون، ولا تعلق بهم الخيل إذا عدوا، وكان له بأس ونجدة، وكان أدل الناس بالأرض. (الأغاني 240/20، والشعر والشعراء 365/1، والمؤتلف والمختلف 175).

(2) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيـــثم المـــرواني الأمـــوي، ت 356)، تحقيق: د. إحسان عباس ود. إبراهيم السعافين والأستاذ بكر عباس، صادر – بيروت، ط3، 1429هـــ، 244/20.

(3) هو حُريث بن عَنّاب بن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف بن عُنين بن نائل بن أسودان، وهـــو نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيئ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وليس بمذكور مـــن الشعراء، لأنه كان بدويا مقلا غير متصد بالشعر للناس في مدح ولا هجاء، ولا يعدو أمر شـــعره فيما يخصه. (الأغاني 249/14، وخزانة الأدب للبغدادي 449/11).

(4) الأغاني، 251/14. الخابط: راكب العشواء.



(4)

الأمر الثاني الذي يتحقق به التضاد "السلْب" حيث يتم فصل العرض عن الجوهر، بواسطة قوة ما، في إطار من ضعف المستلَب، وقوة المستلِب، لتسود حالةٌ مركبة من الحيازة، والفقدان.

والسلب قد يتحقق في محيط الإنسان بأداة السلاح، حيث يكون السالب أقوى من المستلب عتادا، أو عددا، أو بُنيةً، وبالمقابل يكون المستلب أضعف منه، فيتمكن الأول من أخذ حق الثاني، وحينئذ تسود لدى هذا الأخير حالة من "العري" المادي، والبؤس والحنق النفسي، يقول تأبط شرا(1):

سلبتَ سلاحي بائساً وشتمتني　　　فيا خيرَ مسلوبٍ ويا شرَّ سالبِ(2)

فإن أكُ لم أخضبْك فيها فإنها　　　نيوبُ أساوِدٍ وشولُ عقاربِ(3)

وأما بالنسبة لحالة العري، التي يُمنى بها المستلب، عندما يُفصل عنه عرضه، فقد تحدث المستلبون عنها كثيرا، قال سحيم عبد بني الحسحاس(4):

رَأَت قَتَباً رَثّاً وسَحْقَ عَباءةٍ　　　وأَسوَدَ مِمّا يَملِكُ الناسُ عارِيا(5)

وقال عنترة بن شداد مقتربا من هذا المعنى(6):

ضَحِكَت عُبَيلَةُ إذ رَأَتني عارِياً　　　خَلَقَ القَميصِ وَساعِدي مَخدوشُ

---

(1) هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عُميْثل بن عدي بن كعب بن حزن. وقيل: حرب بن تميم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار. وأمه امرأة يقال لها أميمة، يقال: إنها من بني القين بطن من فهم، وتأبط شرا لقب لقب به. شاعر جاهلي من صعاليك العرب، وأشدائهم المذكورين، وهو أحد اللصوص العدائين، وأحد أغربة العرب. (الأغاني 94/21، ومنتهى الطلب من أشعار العرب 423/6، والأشباه والنظائر 177/1).

(2) ديوان تأبط شرا، طلال حرب، دار صادر – بيروت، ط1، 1996م، 15.

(3) الأساويد: جمع أسود وهو العظيم من الحيات. الشول: جمع شولة وهي أن ترفع العقرب ذنبها.

(4) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، 25.

(5) القتب: إكاف الجمل. السحق: الخَلِق البالي.

(6) ديوان عنترة، 270.



وقال[1]:

عَجِبَت عُبَيلَةُ مِـــن فَـــتىً مُتَبَـــذِّلٍ   عاري الأَشاجِعِ شاحِبٍ كَالمُنصُلِ[2]

وفي إطار حالة العري هذه وصف عبيد بن أيوب العنبري نفسه بـــــ "ضـــامر الجسم عاريا"[3] ووصف كل من تأبط شرا، وعروة بن الورد، ومالك بن الريب[4]، أنفسهم على التوالي بـــ: "عاري الظنابيب"[5] و"عـــاري الأشـــاجع"[6] و"عـــاري الأشاجع كالحسام الناصل"[7] وبطبيعة الحال يأتي الحديث عـــن العـــري مشـــحونا بالبؤس، والحنق.

---

(1) السابق، 90

(2) الأشاجع: العصب الذي على الكف إلى الأصابع. أو الذي لحمه قليل.

(3) قال:

رأين ضئيل الشخص يظهر مرة   ويخفى مرارا ضامر الجسم عاريا

الحيوان، 166/6.

(4) هو مالك بن الريب بن حوط بن قرط بن حِسل بن ربيعة بن كابية بن حُرْقوص بن مـــازن بـــن مالك بن عمرو بن تميم. وكان شاعرا فاتكا لصا، ومنشؤه في بادية بني تميم بالبصرة، من شـــعراء الإسلام في أول أيام بني أمية. (الأغاني 201/22، والشعر والشعراء 353/1).

(5) قال تأبط شرا:

عاري الضنابيب ممتد نواشره   مدلاج أدهم واهي الماء غساق

والضنابيب: جمع ضنبوب وهو حرف عظم الساق.

ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 50.

(6) قال عروة بن الورد:

وما طالب الأوتار إلا ابن حرة   طويل نجاد السيف عاري الأشاجع

ديوان عروة بن الورد، 103.

(7) قال مالك بن الريب:

حرباء تنصبه وبيت هواجر   عاري الأشاجع كالحسام الناصل

الأغاني، 206/22.



(5)

الأمر الثالث الذي يتحقق به التضاد "المنْح" حيث يتم وصل عرض بجوهر، بواسطة قوة ما، لتنشأ حالةُ "تخْويل"[1] مفعمة بالسعادة والرضا، والعَرَض الذي يتم وصله بالجوهر قد يكون مالا، أو قيمة، ونحوها، يقول عبدة بن الطبيب[2]:

رَبٌّ حَبانا بِأَموالٍ مُخَوَّلَةٍ وَكُلُّ شَيءٍ حَباهُ اللَهُ تَخويلُ[3]

كما أن زهير بن أبي سلمى[4] يتحدث عن هذا التخويل فيذكر أن المال بوصفه عرضا؛ قد يُقبِل، وقد يُدبِر، غير أن التخويل لا يعني ألا يذهب به القدر مرة أخرى[5]:

قَد يُقبِلُ المالُ بَعدَ حينٍ عَلى الـ ـمَرءِ وَحيناً لِهُلكِهِ دُبُرُ

وَالمالُ ما خَوَّلَ الإِلَهُ فَلا بُدَّ لَهُ أَن يَحوزَهُ قَدَرُ

ويمكن إدراج الغنى في هذا الباب، حيث إنه "إذا أثرى فرد كان ثراؤه على حساب الآخرين"[6] ليحصل بين المتناظريْن، سلْب من جهة، ومنْح من جهة أخرى، أي بؤس ونعيم.. فقدان وامتلاك، تتقابل كثنائيات متضادة، على طرفين متباعدين على خط التناظر.

---

(1) التخويل: التمليك.

(2) هو يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبد نهم بن جشم بن عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم. شاعر تميمي سعدي، مجيد مقدم مقل، كنيته أبو زيد، كان أسود من لصوص الرباب، مخضرم أدرك الإسلام، وشهد حرب المسلمين مع الفرس بالمدائن. (الأغاني 22/21، والشعر والشعراء 727/2، ومنتهى الطلب من أشعار العرب 32/3).

(3) المفضليات، المفضل الضبي (المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم، بن الرمال، ت 178هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة، ط6، 142.

(4) هو زهير بن أبي سلمى، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح بن قرّة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن الأصمّ بن عثمان بن عمرو بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار. ومزينة أمّ عمرو بن أدّ هي بنت كلب بن وبرة. وهو أحد الثلاثة المقدّمين على سائر الشعراء، وإنما اختلف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه. فأمّا الثلاثة فلا اختلاف فيهم، وهم امرؤ القيس وزهير والنّابغة الذّبيانيّ. وقيل شاعر أهل الجاهلية زهير. (الأغاني 226/10، والشعر والشعراء 137/1).

(5) ديوان زهير بن أبي سلمى، حسن فاعور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1408هـ، 61.

(6) شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، د. عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م، 56.



وهكذا لكي يتحقق التضاد لابد من تناظر، وسلب، ومنح، وإذا كـــان التنـــاظر حالة، فإن السلب والمنح إجراءين، يفعلهما من في يده سلطة ما، وهذان الإجــراءان لا يمكن فصلهما عن الحالات الشعورية، التي تعتور المستلب والمخول، فيكون لها أبلغ الأثر في تأجيج حالة من التوتر والصراع، والنظير العاري من عَرَضِه؛ هـــو المحـــرك لدفـــة الصراع، وهو وقود لهب الصيرورة، والتضاد لا يمثل مشكلة إلا حينما يتعلق بالعاقل؛ إذ يعتمد هذا الأخير مبدأ الثنائية في التفكير، ويفرض إجراء التعرية، والتمليك، عن طريق القوة، الأمر الذي يُنشئ - كما أسلفت - حالة مشحونة بالبؤس، وأخـــرى مفعمـــة بالرضا، ما يجعل الصراع في المحيط الإنساني المتضاد قائما على أشده.





الصراع

(1)

يقتضي تحقق الصراع وجود متضادين على الأقل، يشرع أحدهما في انتزاع عرضٍ من ضده، بينما يقاوم صاحب العرض، حتى ينفي أحدهما الآخر، وتأسيسا على هـــذا فالصراع: علاقة بين طرفين مؤسسة على: إرادة الانتزاع، والمقاومة، والنفي.

وقد حدث الصراع داخل المجتمع العربـــي في العصور العربية الأولى بين الفئـــات المستلبة، والأخرى المخولة، أما الأعراض التي حدث الصراع من أجلها فهي: المـــال، والقيمة، والحرية، وأما صيغ حدوث هذا الصراع فلا تبعد عـــن أن تكـــون حروبـــا، وغاراتٍ، ومخاتلاتٍ، تنتهي – عادة –بالقتل، والسلب، أو بالفرار.

ويحدث الصراع خلال ثلاث مراحل، أولاها: مرحلة الانتزاع، أو الحصول على عرضٍ ممتلك بالقهر، عندما يحاول المستَلبُ انتزاع ما يقيم به حياته، يدفعه إلى ذلـــك شعور عميق بأحقيته فيما ينتزع، وبشدة القهر إذ سلب السالبون حقه، ويظهـــر في أشعار المستلَبين عدد من الفئات التي تُنتزع منها الأعراض، ومـــن تلـــك الفئـــات "التجار". يقول الأحيمر السعدي[1]؛ وقد استدل على وجودهم بالحمار الـــذي في قوافلهم[2]:

---

(1) هو الأحيمر بن فلان بن الحارث بن يزيد السعدي من شعراء الدولتين، وكان لصا خارجا كـــثير الجنايات، فخلعه قومه، وخاف السلطان، فخرج فى الفلوات وقفار الأرض. (سمط اللآلئ 195/1، والشعر والشعراء 787/2، والأشباه والنظائر 108/1، والحمسة البصرية 1552/4).

(2) الشعر والشعراء، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مســـلم بـــن قتيبـــة الـــدينوري، ت 276هــ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف – القاهرة، 788/2



نَهَقَ الحمـــارُ فقلـــتُ أيمـــن طـــائرٍ   إن الحمارَ مـــن التجـــارِ قريـــبُ[1]

ثم يتعجب من عاذلته التي تعيره الفقر، في حين أن سيفه يأمر على أموال التجـــار، الذين يقطعون البادية[2]:

تعيرني الإعـــدامَ والبـــدو معـــرضٌ   وسيفي بـــأموالِ التِّجـــارِ زعـــيمُ

وبالمثل يذكر مالك بن الريب أن شداته على التجار، وسيفه سيعيدان له أفضل مما فقد[3]:

وأنيـــابٌ ســـيُخْلِفُهنَّ ســـيفي   وشدَّاتُ الكميِّ علـــى التِّجـــار[4]

كما أن تأبط شرا ينصبُّ تارة على "أرباب المخاض"[5] الذين يشفهم إذا اقتفروه واحدا أو مشيعا، وتارة أخرى على "أهل المواشي"[6] وكذا عبيد الله الجعفـــي يـــتغنى بانتزاع أموال الأغنياء؛ وقد تركهم فقراء - تماما - كالمستَلبين[7]:

وَكَم مِن غَنِيٍّ قَـــد سَـــلَبناهُ وفـــرَه   بِأَسيافِنا حَتّى أَقامَ عَلـــى العُســـرِ[8]

ومن الفئات التي منيت بعنف المنتزعين، أهل القوافـــل، ونلاحـــظ أن الأحيمـــر السعدي يشكو عدم قدرته على التعرض لهم، ربما لكثرتهم، وقلة حيلته آنئذ، ثم نـــراه

---

(1) أيمن: أفعل من اليُمْن.

(2) المؤتلف والمختلف، الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، ت 370هـــ)، صححه وعلـــق عليه: د. ف كرنكو، دار الجيل - بيروت، ط1، 1411هـــ، 43.

(3) الأغاني، 203/22.

(4) الأنياب: جمع ناب وهي الناقة المسنة. الكمي: الشجاع الذي يكتم شجاعته.

(5) قال:

ولكن أرباب المخاض يشفهم   إذا اقتفروه واحدا أو مشيعا

أرباب المخاض: أهل الإبل. يشفهم: يحزنهم. ديوان تأبط شرا، 39.

(6) قال:

ويوما على أهل المواشي وتارة   لأهل ركيب ذي ثميل وسنبل

السابق، 94.

(7) كتاب الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، ت 314هـــ، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء - بيروت، ط1، 1411هـــ، 305/6.

(8) الوفْر: المال الكثير.



يتوعد تارة، ويتحسر تارة أخرى على ذلك الزمان، الذي كان ينتزع فيه أموالهم بكـــل جرأة واقتدار[1]:

أشكو إلى اللهِ صبري عن رواحلِهـــم ... وما أُلاقيَ إذا مـــروا مـــن الحـــزنِ

لكــــنْ ليـــاليَ نلقـــاهُم فنســـلبهم ... سُقيا لذاك زماناً كـــان مـــن زمـــنِ

وعلى الطريقة نفسها يســـير تليـــد الضبـــــي[2]، غـــير أنـــه يتســـاءل عمـــا إذا كان سيستطيع مواصـــلة الانتـــزاع أم لا، ويـــتمنى ذلـــك علـــى نحـــو مـــارق متمرد[3]:

يقولون جاهـــدْ يـــا تليـــدُ بتوبـــةٍ ... وفي النفسِ مني عـــودة ســـأعودها

ألا ليتَ شِعري هل أقودنَّ عُصـــبةً ... قليلاً لـــربِّ العـــالمين ســـجودُها

وهل أطردنَّ الدهر ما عشتُ هجمةً ... معرضةَ الأنجادِ سُجحاً خـــدودُها[4]

وممن كان هدفا لدى المستلبين أثناء الانتزاع، الأحياء والقبائل ذات الغنى والرغد، يقول مالك بن حريم الهمداني[5]:

فولـــــوا عنـــــدَ ذاكَ وأمكنونـــــا ... من البيضِ الأوانـــسِ والخِـــرادِ[6]

غنيمةُ جيشِـــنا مـــن كـــلِّ حـــيٍّ ... معكَّـــرة الطرائـــفِ والـــتلادِ[7]

---

(1) المؤتلف والمختلف، 43.

(2) هو واحد من اللُّصُوص على عهد عمر بن عبد الْعَزِيز. (خزانة الأدب للبغدادي 349/10، معجـــم البلدان 127/2).

(3) خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت 1093هـــ، تحقيق وشرح: عبد الســـلام محمـــد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط4، 1418هـــ، 350/10.

(4) الهَجْمة من الإِبل: ما بين التَّسعينَ إلى المائَةِ.

(5) ديوان مالك بن حريم الهمداني، ضمن ثلاثة شعراء مقلون، جمع وتحقيق ودراسة د. شريف راغب علاونه، دار المناهج – الأردن، ط1، 1427هـــ، 42.

(6) الخراد: جمع خريدة وهي الدرة التي لم تثقب، ومن النساء هي الحيية الخفرة.

(7) المعكر: الكثير. الطرائف: الأموال المستفادة حديثا. التلاد: الأموال المستفادة قديما. والمعنى أن الغنائم حازت كل شيء قديم وحديث.



ويذكر قيس بن الحدادية[1] حالة انتزاع عنيفة، فيقول[2]:

وأُبْنا بإبْل القومِ تُحـــدى ونســـوةٍ   يبكين شـــلواً أو أســـيراً مُجرَّحـــا

وعلى الطريقة نفسها يتحدث عنترة بن شداد[3]:

وآخـــذُ مالَنـــا منـــهم بحـــربٍ   تَخِـــرُّ لهـــا متـــونُ الراســـياتِ

ولئن كان الأمر فيما يخص الانتزاع من التجار، والقوافل، والأحياء، يُعد مُـــبرَّرا، فإن الأمر فيما يتعلق بالانتزاع من الأقران غير مبرر، إلا أن يُفهم في إطار التضاد، حيث يصبح القِرْن – حينئذ – يحتل أهمية بالغة، كونه الضد المخول. يقول تأبط شرا[4]:

ولستُ أبيتُ الدهرَ إلا علـــى فـــتىً   أُسلِّبه أو أُذعِر الســـربَ أجمعـــا[5]

ويقول القتال الكلابـــي[6]:

يستلبُ القِـــرنَ مُهْرَيْـــهِ وصـــعدتَه   حقـــا وينـــزعُ عنْـــه ذاتَ أزْوارِ[7]

---

(1) هو قيس بن منقذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بـــن ربيعة بن حارثة وهو خزاعة بن عمرو وهو مزيقياء بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغطريـــف بـــن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وهو «رداء، ويقال: رديني». والحدادية أمّه، وهـــي امرأة من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، ثم من قبيلة منهم يقال لهم بنو حداد. شاعر من شعراء الجاهليّة، وكان فاتكا شجاعا صعلوكا خليعا، خلعته خزاعة بسوق عكاظ، وأشـــهدت علـــى أنفسها بخلعها إيّاه، فلا تحتمل جريرة له، ولا تطالب بجريرة يجرّها أحد عليه. (الأغاني 93/14).

(2) الأغاني، 95/14.

(3) ديوان عنترة، 167.

(4) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 40.

(5) أذعر السرب أجمعا: يخيف سرب الحيوانات، أي يعيش على الصيد والقنص.

(6) هو عبد الله بن المضرجي بن عامر بن الهصان بن كعب بن عبد الله بن أبـــي بكر بن كلاب بـــن ربيعة بن عامر بن صعصعة. ويكنى أبا المسيب، والقتال لقب غلب عليه لتمرده وفتكـــه. شـــاعر إسلامي، كان في الدولة المروانية في عصر الراعي، والفرزدق، وجرير، كان شجاعا شاعرا، وكان في دناءة النفس كالحطيئة، وكانت عشيرته تبغضه لكثرة جناياته، وما يلحقها مـــن أذاه. (منتـــهى الطلب من أشعار العرب 282/3، والأغاني 91/24، ومعجـــم البلـــدان 152/3، وخزانـــة الأدب للبغدادي 112/9).

(7) القِرن: المِثْل المساوي. الصعدة: قناة الرمح.
ديوان القتال الكلابـــي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت، 1409هـــ، 59.



إن انتزاع الحق يكاد يكون ممارسة طبيعية، في واقع متضاد، متصارع، وحينما نتأمل هذه الحالة، لا نجدها محصورة فقط في ردود الأفعال الطارئة، وإنما هي نهج في حياة الإنسان العربي، الذي عاش في العصور الظالمة، وقد برز هذا النهج في مواقفه، وتفضيلاته، وتصوراته، وطريقة عيشه، ومن ذلك أن مالك بن الريب لا حرفة له إلا طرد الهوامل[1]:

إنَّا وجدنا طَرَدَ الهواملِ[2]

خيراً من التردادِ والمسائلِ

وفي إطار هذه الثقافة يستحي الأحيمر السعدي أن يسأل "المرء اللئيم بعيره، وبعران ربي في البلاد كثير"[3] كما أنه يهوى زمن الانتزاع، حيث الأثواب التي لبسها؛ كان يأخذها اغتصابا "من القطار بلا نقد، ولا ثمنِ"[4] والسليك بن السلكة في مثل هذه الثقافة؛ يعاف قلبه ذات البذل، ويتبع الممنعة[5].

ولحالة الانتزاع هذه مجموعة من الدوافع، التي تختلف من منتزع إلى آخر، فتأبط شرا دافعها لديه هو تسديد الخلال: "سدد خلالك من مال تجمعه"[6] بينما دافعها لدى

---

(1) لسان العرب، "لقح".

(2) الهوامل: الإبل المسيبة التي لا راعي لها.

(3) قال:

وإني لأستحي من الله أن أرى أطوف بحبل ليس فيه بعير

وأن أسأل المرء اللئيم بعيره وبعران ربي في البلاد كثير

الوحشيات (الحماسة الصغرى)، 34.

(4) قال:

فرب ثوب كريم كنت آخذه من القطار بلا نقد ولا ثمن

القطار: القافلة.

الحماسة البصرية، صدر الدين بن علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، ت 656هـ، تحقيق وشرح ودراسة: د. عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط1، 1420هـ، 1596/4.

(5) قال:

يعاف وصال ذات البذل قلبي ويتَّبع الممنعة النوارا

الأغاني، 247/20.

(6) قال:

سدد خلالك من مال تجمعه حتى تلاقي الذي كل امرئ لاق

ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 51.



عمرو بن براقة هو الثراء، و"من يطلب المال الممنع بالقنا يعش مثريا"[1] كما أن عروة بن الورد يبتغي من وراء انتزاعه لحقه العزةَ، ذلك أنه إن فاز سهمه كفى حريمه الجلوس خلف أدبار البيوت[2] وأما بكر بن النطاح[3] فدافع الانتزاع لديه هو الحياة، فمن يفتقر منهم كما يقول: يعش بحسامه[4] وأما أبو الطمحان القيني[5]، فلا يريد سوى استرداد حقه، الذي سلب منه ذات مظلمة[6]:

يا رُبَّ مظلمةٍ يوماً لطيتُ لها   تمضي عليَّ إذا ما غابَ أنصاري[7]

حتى إذا ما انجلتْ عني غيابتُها   وثبتُ فيها وثوبَ المخدرِ الضاري[8]

---

(1) قال:

ومن يطلب المال الممنع بالقنا   يعش مثريا أو تخترمه المخارم

الوحشيات، 32.

(2) قال:

وإن فاز سهمي كفكم عن مقاعد   لكم خلف أدبار البيوت ومنظر

ديوان عروة بن الورد، 68.

(3) هو بكر بن النطّاح الحنفيّ، يكنى أبا وائل، وقيل إنه عجليّ من بني سعد بن عجل، وكان بكر بن النطّاح صعلوكا يصيب الطّريق، ثم أقصر عن ذلك، فجعله أبو دلف من الجند، وجعل له رزقا سلطانيّا، وكان شجاعا بطلا فارسا شاعرا حسن الشّعر والتصرّف فيه، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام. (الأغاني 79/19).

(4) قال:

ومن يفتقر منا يعش بحسامه   ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

الأغاني، 80/19.

(5) هو حنظلة بن الشرقي، أحد بني كنانة بن القين بن جسر بن شيْع الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة. شاعر محسن، أدرك الجاهلية والإسلام، كان خبيث الدين فاسقا صعلوكا خاربا، وكان من المعمرين. (منتهى الطلب من أشعار العرب 114/9، والشعر والشعراء 388/1، والأغاني 5/13).

(6) التذكرة الحمدونية، ابن حمدون (أبو المعالي محمد بن الحسن محمد بن علي، ت 562هـ) تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر – بيروت، ط1، 1996م، 315/3.

(7) لطيتُ: لَزقت بالأرض ولم أكد أبرح.

(8) المُخْدِر: الأسد الذي ستره عرينه.



(2)

ثاني مراحل الصراع: المقاومة، وتحدث عندما يكون ضدان أحدهما ينتزع عرضا من آخر، فيحمي الآخر عَرَضَه تارة، ويدفع المنتزع تارة أخرى، وعلى هذا فالمقاومة: دفع غاصب دون ممتلك. ويتعلق بهذا المفهوم معنيا "الدفاع" و"الحماية". يقول عروة بن الورد في المعنى الأول[1]:

فَإن نَحنُ لَم نَملِك دِفاعاً بِحادِثٍ تُلِمُّ بِهِ الأَيّامُ فَالمَوتُ أَجمَلُ

ويقول عبد يغوث في معنى الحماية[2]:

ولكنني أحمي ذمارَ أبيكمُ وكان الرماحُ يختطفن المحاميا[3]

ويقول عنترة بن شداد في المعنيين[4]:

وَلِي بَأسُ مَفتولِ الذِراعَينِ خادِرٍ يُدافِعُ عَن أَشبالِهِ ويُحامي

ومثلما فخروا بالدفاع والحماية، وامتدحوا بها، هجوا من ليس يدافع أو يحمي، يقول القتال الكلابي[5]:

فلو كنتَ من قومٍ كرامٍ أعزةٍ لحاميتَ عني حين أحمى وأضرمُ

والمقاومة بشكل عام ممارسة يومية أسس لها واقع الإنسان العربي، حيث كانت الأنظمة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية في القبيلة، هي أنظمة الطبقة المستأثرة بالمال، والسلطة، والقيمة، والحرية، وبطبيعة الحال كانت تلك الأنظمة منصرفة عن أن تراعي الطبقة الأدنى، فكانت حقوق هذه الطبقة منتهبة، وإنسانيتها مهدرة، الأمر الذي أسس لوجود حالة من المقاومة، لدى بعض الفئات التي لم ترتض استلاب حقوقها.

وأما الأشياء التي دافعوا عنها فالنفس، والأهل، والجار، والصاحب، والمكان،

---

(1) ديوان عروة بن الورد، 131.

(2) الأغاني، 228/16.

(3) الذمار: ما يلزم حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه.

(4) ديوان عنترة، 358.

(5) ديوان القتال الكلابي، 85.



والمال، يقول السمهري العكلي[1]: "وغامست عن نفسي بأخلق مقصل"[2] كما أن الخطيم المحرزي[3] يدافع عن قومه، قائلا: "وأدفع عنكم باليدين وبالنحر"[4] ومالك بن حريم الهمداني يدفع الضيم حتى عن جاره: "وأدفع ضيمه وأذود عنه"[5] ويدافع السليك عن صاحبه، فيقول: "وضاربت عنه القوم"[6] وكذا مالك بن حريم الهمداني يحمي الجوف: "سَنَحمي الجَوفَ ما دامَت مَعينٌ بِأَسفَلِهِ"[7] وأما عمرو بن براقة فيدافع عن أمواله، قائلا[8]:

---

(1) هو السمهري بن بشر بن أقيش بن مالك بن الحارث بن أقيش العكلي، يكنى أبا الديل، شاعر أموي لص فاتك. قتل عون بن جعدة الطائي وفر هاربا، وبقي هاربا حتى أمر الخليفة عبد الملك بن مروان سعاته وولاته فأمسك به وسجن، ثم هرب من السجن وألقي القبض عليه مرة ثانية. قتله عثمان بن حيان المري أمير المدينة. (منتهى الطلب من أشعار العرب 264/3، والأغاني 164/21، والأشباه والنظائر 132/2).

(2) قال:

وغامست عن نفسي بأخلق مِقصل ولا خير في نفس امرئ لا تغامس

غامست: دافعت، الأغاني، 169/21.

(3) هو الخطيم بن نويرة العكلي من بني عبد شمس، ويغلب عليه المحرزي، شاعر أموي لص من لصوص العرب... له مكانة في قومه. عاصر سليمان بن عبد الملك وله قصيدة فيه يستجير به. (منتهى الطلب من أشعار العرب 245/3، والحماسة البصرية 1559/4).

(4) قال:

فقد كنت أنهى عنكم كل ظالم وأدفع عنكم باليدين وبالنحر

منتهى الطلب من أشعار العرب، جمع: محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (ت 597هـ) تحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر – بيروت، ط1، 1999م، 252/3.

(5) قال:

وأدفع ضيمه وأذود عنه وأمنعه إذا امتنع المناع

ديوان مالك بن حريم الهمداني، 47.

(6) قال:

وضاربت عنه القوم حتى كأنما يصعّد في آثارهم ويصوب

الأغاني، 244/20.

(7) قال:

سنحمي الجوف مادامت معين بأسفله مقابلة عرادا

ديوان مالك بن حريم الهمداني، 44.

(8) الوحشيات، 31.



كَذَبتُم وَبَيــتِ اللَــهِ لا تَأخُــذونَها مُراغَمَةً مــادامَ لِلسَــيفِ قــائِمُ[1]

ومثلما أن حالة الانتزاع وسيلتها السيف والرمح، فكذلك المقاومة وسيلتها هــذه الأدوات، والصراع – بشكل عام – قائم في المجتمع العربــي القديم على هذه الوسائل، الأشد من غيرها وحشية، وعنفا.

(3)

ثالث مراحل الصراع: النفي، ويحدث عندما يفارق أحد الطــرفين (المنتــزع، أو المقاوم) ساحة الصراع، إما بالإجلاء، أو بالقتل، وتأسيسا على هذا فــالنفي: إحالــة وجود الشيء إلى عدم. ومثلما أن المقاوم ينفي، كذلك المنتزع ينفي. يقول قيس بــن الحدادية متحدثا عن خزاعة إذ نفت بني أسد، منتزعة أموالها[2]:

وَهُــم أَلحَقــوا أَسَــداً عَنــوَةً بِأَحياءِ طَــيٍّ وَحــازوا السَــلَب[3]

ويقول مالك بن حريم الهمداني في معنى الإجلاء[4]:

وَنُلحِــقُ مَــن يُزاحِمُنــا عَلَيــهِ بِــأَعراضِ اليَمامَــةِ أَو جُــرادا

كما أن عبيد الله الجعفي لا يفتأ يتغنى بالنفي: "بلادٌ نَفى عَنها العَدُوَّ سُــيوفُنا"[5]، "نفيتُ لُصوص الأرضِ"[6]، "أَنا الَّذي أَجلَيتُكُم عَن كَسكَرَ"[7] ولكن النفــي الأشــد

---

(1) مراغمة: إذلالا.

(2) الأغاني، 95/14.

(3) العنوة: القهر.

(4) ديوان مالك بن حريم الهمداني، 44.

(5) قال:

بلاد نفى عنها العدو سيوفنا وصفرة عنها نازح الدار أجنب

تاريخ الطبري، 137/6.

(6) قال:

نفيت لصوص الأرض ما بين عانة إلى جازر حتى مدينة دسترا

كتاب الفتوح، 310/6.

(7) قال:

أنا الذي أجليتكم عن كسكر ثم هزمت جمعكم بتُستَر

معجم البلدان، 461/4.

تطرفا ووحشية هو "القتل" وفي هذا السياق يذكر قيس بن الحدادية أن قومه في إحدى الغارات قتلوا، وانتزعوا، ثم عادوا بالأموال، والأسرى، والسبايا الباكيات[(1)]:

وَأُبنا بِإِبْلِ القَومِ تُحدى وَنِسوَةٍ — يُبَكِّينَ شِلواً أَو أَسيراً مُجَرَّحا

ومثله خُفاف بن ندبة[(2)] حين ذكر رجلا قتلوه، وانتهبوه، في حومة الصراع[(3)]:

فَخَرَّ صَريعاً وَانتَقَذْنا جَوادَهُ — وَحالَفَ بَعدَ الأَهلِ صُمّاً دَكادِكا[(4)]

وهكذا فالنفي مرحلة حتمية في حالة الصراع، مثلما أن الجدل نتيجة حتمية في حالة التضاد، والصراع يرتبط بالحياة، ويرتبط بالموت أيضا، لأنه بقدر ما يتيح الحياة لأناس، يقتضي الموت لآخرين، وشرط استمراره وجود التضاد، كما أن فضاءه الثنائيات المتناقضة، ووظيفته الفوز بالحياة الكريمة، المتحققة بالمال، والقيمة، والحرية، وثقافته عنيفة بالضرورة، لأنها تمجد الانتزاع، والمقاومة، والنفي. والصراع في المجتمعات محركه من يرى الموت رأي العين، وألا منقذ له من ذلك الموت إلا العنف، الذي سيسد الجوع – في نظره – وسيقي من الحر، والبرد، ونوائب الدهر، وسيمنح الحياة قيمة، وحرية، وسعادة، ومشكلة الصراع – من هذا النوع – تكمن في أنه يقوم على إرادة أن يصبح الآخر عدما؛ أي على مبدأ الواحدية، لأن فعلي الانتزاع والمقاومة يقودان لفعل النفي، ولا يحدث هذا الأخير إلا بأن يتحول وجود أحد المتصارعين إلى عدم، في الوقت الذي لا يلغي فيه التضاد وجود الأشياء، وإنما يسلبها بعض أعراضها، فيما يعطي هذه الأعراض لأشياء أخرى، من أجل أن يتحقق معنى ما.

---

(1) الأغاني، 95/14.

(2) هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، يكنى أبا خراشة، وندبة أمه، وهي أمة سوداء، وكان خفاف أسود أيضا من أغربة العرب، وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانهم، وأسلم وبقي إلى زمن عمر. (الأغاني 53/18، والشعر والشعراء 341/1، ومنتهى الطلب من أشعار العرب 113/1).

(3) الحماسة البصرية، 316/1.

(4) انتقذ: خلَّص. الدكادك: جمع الدكداك وهو الرمل المتلبد بالأرض، أو الأرض فيها غلظ.



الوحدة

(1)

اقتضت الوحدة في الفكر العربـي القديم وجود عناصر عديدة، تمتلك مشتركا، ثم تتمحور حول هذا المشترك، فتعاير القيمة، وتصنع التآلف، والانتماء، واللحمة، عن طريقه. ولذا فالوحدة في المفهوم العربـي القديم: تكافؤ العناصر على قاعدة المشترك.

ويتعلق بهذا المفهوم: الكثرة، والمشترك، والمقدس. ولعل هذه الوحدة نتجت عن الصراع الذي خلفه التضاد، ذلك أن الإنسان العربـي في فجر تاريخه، لما كان التضاد حادا في بيئته، والصراع عنيفا بينه وبين نظيره في تلك البيئة، اقتضى الحال تحقيق الوحدة -من جهة - لتشكيل قوة محاربة، وحصول الشتات - من جهة أخرى - بالنسبة للفئات المستبعدة، وكانت الفئات المحققة للوحدة هي التي التفت على نسبها، ومكانها، وسيدها، وقوانينها، وكانت الوحدة تصنعها قوة جذب صادرة عن الصراع، وبالمقابل كان الشتات تخلفه قوة طرد صادرة عن ذلك الصراع أيضا.

والكثرة المحققة للوحدة هي: ما زاد عن الواحد. والمقصود بها - تحديدا - كثرة الناس، التي تشكل ما يسمى في العرف العربـي: الشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والفصيلة...، ولعل من البدهي القول إن الوحدة لا تتحقق إلا بالكثرة، ولولاها لما كان للوحدة أي معنى، ولكن الكثرة وحدها نافية للوحدة؛ ما لم يكن هنالك ما يُدخل هذه الكثرة في إطار علاقات متماسكة، كالمشترك، والمقدس. وعادة ما تنعكس الكثرة المتحدة في النفوس إما غرورا، أو إجلالا، وقد تجلى الغرور في الفخر، كما تجلى الإجلال في المديح. يقول بكر بن النطاح مادحا ربيعة وقد التفت على



أحسابها، في كثرة، وقوة، ومنعة[1]:

وما الفتــكُ إلاَّ في ربيعــةَ والغِــنى ... وذبٌّ عن الأحْسَــابِ والحُرُمــاتِ
وقــاد زمــامَ الجاهليــةِ منــهمُ ... مناجيــبُ ســبَّاقون في الجلبــاتِ
وقــادوا جيوشــاً أولاً بعــد أولٍ ... أقــرَّ لهــا عــادٌ بِكُثْــرِ أداةِ

وإذا كان بكر يمدح ربيعة بكثرتها وقوتها، فإن السموأل[2] يحاول الخــروج مــن مأزق أنه وقومه قليلون في مجتمع يعظم الكثرة، فيقول[3]:

تُعَيِّرُنــا أَنّــا قَليــلٌ عَديــدُنا ... فَقُلــتُ لَهــا إِنَّ الكِــرامَ قَليــلُ

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للسموأل، فإن الكثرة تتقلص لــدى قــيس بــن الحدادية بعد خلعه، وإن كان يرى – مكابرة – أنه هو ذاتــه عديــدٌ حــين تُبلــى مشاهده[4]:

جَزى اللَهُ خَيراً عَن خَليــعٍ مُطَــرَّدٍ ... رِجالاً حَمَوه آلَ عَمرِو بــنِ خالِــدِ
فَلَيسَ كَمَن يَغزو الصَــديقَ بنوكِــهِ ... وَهِمَّتُه في الغَزوِ كَسبُ المُــزاوِدِ[5]
عَلَيكُم بعَرْصــاتِ الــدِيارِ فَــإِنَّني ... سِواكُم عَديدٌ حينَ تُبلى مَشــاهِدي

لاشك أن هذه الأبيات تخفي ألما نفسيا مبرحا، ذلك أن قيسا يشعر – حقيقــة – بالهوان، والتمزق، وما كان ليساوره هذا الشعور لو أنه انتظم داخل قومه.

---

(1) طبقات الشعراء، عبد الله بن المعتز (ت 296هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف – مصر، 221 – 222.

(2) هو السموأل بن غريض بن عادياء بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقياء ابن عــامر مــاء السماء. شاعر جاهلي يهودي يضرب به المثل في الوفاء، وهو صاحب الحصن المعروف بتيماء، وبه يضرب المثل في الوفاء، وبيت السموأل بيت الشعر في يهود، فإنه شاعر وأبــوه شــاعر وأخــوه سعْية بن غريض شاعر مجيد. (سمط اللآلئ 596/1).

(3) العقد الفريد، ابن عبد ربه (عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ت 328هـ)، تحقيــق: الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1404هـ، 236/1.

(4) الأغاني، 97/14.

(5) النوك: الحمق. المزاود: قرب الماء.



(2)

ثاني الأشياء التي تتحقق بها الوحدة في المجتمع العربي: "المشترك". وبالنظر في ماهية هذا المشترك ندرك أنه: ما يقر الفرد لنفسه، ولغيره، بامتلاكه. ويتعدد، فليس هو شيئا واحدا، وإنما أشياء عدة، من بينها: النسب، والسيد، والمكان، والقانون.

أما النسب فلا شك أنه قرابة ولحمة، و"النسب ليس بالشكل المفهوم المعروف من الكلمة، وإنما هو كناية عن حلف يجمع قبائل توحدت مصالحها، واشتركت منافعها، فاتفقت على عقد حلف فيما بينها، فانضم بعضها إلى بعض، واحتمى الضعيف منها بالقوي، وتولدت من المجموع قوة ووحدة"(1). قال ساعدة الهذلي(2) يمدح أقواما جمعت بينهم أنسابهم(3):

مُتَقَارِبٌ أَنسَابُهُم وَأَعِزَّةٌ   تُوقى بِمِثلِهِمُ الظُلامُ وَتُرهَبُ(4)

كما قال الراجز يهجو قوما نافيا عنهم الحسب، وقد اعتبر فقْده من الأشياء التي تهدم الوحدة(5):

ومَالَهُم مِن حَسَبٍ يَلُمُّ

وأما السيد فدعامة للقوم، ومشترك يحقق وحدتهم، إذا ما التفوا حوله، وهو "الرئيس، والمرجع، والمسؤول، عن أتباعه في السلم والحرب، يقصده ذوو الحاجات من أبناء القبيلة... وقد يجمع هذا الرئيس شمل جملة قبائل، ويترأسها، وقد ينصب نفسه

---

(1) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ط2، 1413هـ، 514/1.

(2) ساعدة بن جؤية أحد بني كعب ابن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد هذيل بن مدركة شاعر محسن جاهلي، وشعره محشو بالغريب والمعاني الغامضة وليس فيه من الملح ما يصلح للمذاكرة (المؤتلف والمختلف 103).

(3) ديوان ساعدة بن جؤية، ضمن ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة، 1385 هـ، 184.

(4) الظُّلام: الظُّلامة.

(5) العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت 175هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، "أمم".



ملكا عليها"[1] والملاحظ أن المتحدين يظهر حرصهم على الوحدة أكثر ما يظهر؛ عند موت سيدهم – أي في اللحظة التي يكون فيها الشتات احتمالا – فحينئذ يسارعون إلى اختيار سيد آخر، يلم جمعهم، ويوحد صفهم، حتى كادت أن تكون عبارة "إذا مات منا سيد" مسكوكة يتغنى بها عشاق الوحدة:

إذا ماتَ مِنّا سيِّدٌ قامَ بَعدَهُ ... لَهُ خَلَفٌ يَكفِي السيادةَ بارِعُ[2]

إذا ماتَ مِنّا سَيِّدٌ قامَ بَعدَهُ ... نَظيرٌ لَهُ يُغني غِناهُ وَيُخلِفُ[3]

إذا ماتَ مِنّا سَيِّدٌ سادَ مِثلُهُ ... رَحيبُ الذِراعِ بِالسِيادَةِ خِضرِمُ[4]

إذا ماتَ مِنهُم سَيِّدٌ وَدعامَةٌ ... بَدا في رِكابِ المَجدِ آخَرُ صالِحُ[5]

إذا سَيِّدٌ مِنّا خَلا قامَ سَيِّدٌ ... قَؤُولٌ لِما قالَ الكِرامُ فَعُولُ[6]

وليسَ يهلِك منّا سيِّدٌ أبداً ... إلاّ افتلينا غلاماً سيِّداً فينا[7]

وإني من القومِ الذين همُ همُ ... إذا ماتَ منهم سيِّدٌ قام صاحبُه[8]

وأما المكان المشترك الذي يوحد الكثرة، فهو موطن القبيلة، ومن المعلوم أن "لكل قبيلة أرض تعيش عليها، وتنزل بها، وتعتبرها ملكا لها، تنتشر بها بطونها، وعشائرها، ولا تسمح لغريب النزول بها... إلا بموافقتها، وبرضاها، وقد اختص كل بطن منها بناحية فانفرد بها، واعتبرها أرضا خاصة به"[9].

---

(1) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 343/4.

(2) قاله: الربيع بن أبي الحقيق. الأشباه والنظائر، الخالديان (أبو بكر محمد هاشم (ت 380هـ) وأبو عثمان سعيد هاشم (391/390)، حققه وعلق عليه الدكتور السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، 72/1.

(3) ديوان حاتم الطائي، صادر – بيروت، 1401هـ، 70.

(4) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبد الله سنده، دار المعرفة – بيروت، ط1، 1427هـ، 251.

(5) قاله: زياد الأعجم. الأشباه والنظائر، 158/1.

(6) قاله: السموأل بن عادياء، السابق، 159/1.

(7) قاله: نهشل بن حرى النهشلي. الشعر والشعراء، 637/2.

(8) قاله: أبو الطمحان القيني. الأشباه والنظائر، 157/1.

(9) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 338/4.



وأما القانون الذي يوحد الكثرة في المجتمع العربـي القديم فهو "العصبية القبلية" وقد كان "الإنسان العربـي متعصبا لقبيلته أشد التعصب، ملتحما بها ألصق الالتحام، لأنه يعي ويدرك أن وجوده مرتبط بوجودها، وفناءه مقرون بفنائها، ولا أدعى لهذه العصبية، وهذا الالتحام من شعوره بوحدة النسب، أي وحدة الدم التي تربطه بأفراد القبيلة جميعا، والتي تجعله يحس أنه عضو في جسم القبيلة، يصيبه ما يصيب القبيلة، فيفرح لفرحها، ويحزن لحزنها، ويظعن لظعنها، وينزل لنزولها، وإذا أغير عليها هب لنجدتها، ذائدا عن حياضها، وشعاره صيحات قوية تعلن انتسابه إليها، وإذا اعتُدي على فرد منها انطلق إلى الثأر من القبيلة المعتدية، وفضلا عن ذلك كله فإنه ينقاد لسيدها، ويخضع لما تمليه عليه نظمها وأعرافها"[1].

(3)

ومما حقق الوحدة في المجتمع القبلي، اعتبار النسب أمرا مقدسا، وقد عايروا قيمة الإنسان بالنظر فيه، فمن كان نسبه صريحا محضا، أي من كان أبوه عربيا، وأمه عربية، كان دمه نقيا، واستحق أن ينال مكانة رفيعة، ومن كان أبوه ليس عربيا، أو أمه، كان دمه مختلطا، واستحق أن يُجعل في مكانة وضيعة، ذلك أنه بلا شك وريث دناءة، وربيب خسة، وبالنظر في ماهية المقدس لدى الإنسان العربـي آنذاك، نجد أنه: ما كان علوي المصدر، منزها من الدنس، مخلصا من الشر.

هكذا كان النسب في وعي الإنسان العربـي. إنه حنيف، نوراني، منقذ من البأساء والضراء، لذلك تتجلى قداسته، أولا: في علو مصدره، فتارة يكون "عِندَ السَماءِ

(1) الإنسان في الشعر الجاهلي، د. عبد الغني أحمد زيتوني، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين – الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1421هـ، 51.



قَديمِ"[1] وتارة "عِندَ السَماءِ رَفيعِ"[2] و"عِندَ السَماءِ جُسامِ"[3] كما أنه "في ذِروَةِ المَجدِ ثاقِبِ"[4] و"عالٍ عَلى الناسِ قاهِرِ"[5] والناس قد تنمى إلى أحسابها العالية، يقول النابغة الجعدي: "وَلكنَّ أَحساباً نَمَتنا إِلى العُلى"[6] ويقول أعشى همدان: "وَتُنمى إِلى حَسَبٍ شامِخٍ"[7] وهكذا فالنسب الصريح المحض، مصدره، ومكانه، هنالك في السماء.

---

(1) قال الفرزدق:

هما الأطيبان الأكثران تلاقيا　　إلى حسب عند السماء قديم

ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1407 هـ، 595.

(2) قال الفرزدق:

نماه بنو الديان في مشمخرة　　إلى حسب عند السماء رفيع

السابق، 343.

(3) قال ذو الرمة:

فأنتم بنو ماء السماء وأنتم　　إلى حسب عند السماء جسام

جسام: جسيم.

ديوان ذي الرمة، شرح الخطيب التبريزي (يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي ت 502)، كتب مقدمته وهوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي – بيروت، ط2، 1416هـ، 369.

(4) قال أعشى همدان:

ومن كل قوم قَدْ أصيب زعيمهم　　وذو حسب فِي ذروة المجد ثاقب

تاريخ الطبري، 609/5.

(5) قال حسان بن ثابت:

فعش راغما أو مت بغيظك إننا　　ألو حسب عال على الناس قاهر

ديوان حسان بن ثابت، حققه وعلق عليه الدكتور وليد عرفات، تولى طبعه أمناء سلسلة جب التذكارية، 485/1.

(6) قال النابغة الجعدي:

ولكن أحسابا نمتنا إلى العلى　　وآباء صدق أن نروم المحقرا

ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه الدكتور واضح الصمد، دار صادر – بيروت، ط1، 1998م، 90.

(7) قال أعشى همدان:

وتُنمى إلى حسب شامخ　　فليست تذكب إذ تفخر

الأغاني، 32/6.



وتتجلى قداسة النسب ثانيا: في اقترانه - شعريا - بالدين، حيث يظهر لـــدى غير شاعر في العصور العربية المختلفة مصاحبا للدين في جملـــة شـــعرية واحـــدة، وكأن أحدهما لا يذكر إلا مع الآخر، على نحو من قولهم: "حَسَبٌ ثاقِـــبٌ وَدِيـــنٌ قَويمُ"(1) "له حسبٌ ودينُ"(2) "فَلا دينٌ وَلا حَسَبٌ"(3) "فاعْمِـــدْ لـــذي حَسَـــبٍ إن شئتَ أو دِين"(4) "يَحمِلنَ ما شِئتَ مِن دينٍ وَمِن حَسَبٍ"(5) "لَم تَلـــقَ لِلتَـــيمِ أَحساباً وَلا دينا"(6) "أَحسابُ قَومٍ وَدينُها"(7) "مَن أَفلَسِ الناسِ مِـــن ديـــنٍ وَمِـــن

(1) قال النجاشي الحارثي:

كل شيء تريده فهو فيه حسب ثاقب ودين قويم

ديوان النجاشي الحارثي، صنعه وحققه: صالح البكاري والطيب العشاش وسعد غراب، المواهب - بيروت، ط1، 1419، 57.

(2) قال حسان بن ثابت:

وكل أخ يقول: أنـــا وفي ولكن ليس يفعل ما يقول
سوى خل له حسب ودين فذاك لما يقول هو الفعول

ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبد الله سنده، ط1، 1427هـــ، دار المعرفة - بيروت، 214.

(3) قال حسان بن ثابت:

شبه الإماء فلا دين ولا حسب لو قامروا الزنج عن أحسابهم قُمِروا

السابق، 143.

(4) قال أبو الخطار:

إذا اتخذت صديقا أو هممت به فاعمد لذي حسب إن شئت أو دين

الحلة السيراء، ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبـــي بكر القضاعي، ت 658هــــــ)، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، دار المعارف - القاهرة، ط2، 1985م، 66.

(5) قال المرار الفقعسي:

يحملن ما شئت من دين ومن حسب وما تمنين من خلْق وتصوير

الأشباه والنظائر، 228/2.

(6) قال جرير:

لو سرت تبغى ثرى قوم ذوي حسب لم تلق للتيم أحسابا ولا دينا

ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه، دار المعارف - القاهرة، ط3، 543/3.

(7) قال كثير عزة:

إذا طلبوا أعلى المكارم أدركوا بما أدركت أحساب قوم ودينها

ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه: الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت، 1391هـــ، 241.



حَسَب"[1] "ممن تأشبَ لا دينٌ ولا حسَبُ"[2] "كِدين الصِدقِ أَو حَسَبٍ عَتيقِ"[3] "مُحافَظَةً عَلى حَسَبـــي وديني"[4] "في الدينِ ديناً وَفي أَحسابِهِم حَسَبا"[5].

وتتجلى قداسة النسب ثالثا: في نورانية طبيعته – بحسب ما يظن المقدسون لـــه – فأبو الطمحان القيني يعتبر الحسب كما لو كان قمرا يضيء ليل أصحابه[6]:

أضاءتْ لهم أحسابُهم ووجـــوهُهم دُجى الليلِ حتى نظّم الجزعَ ثاقبُهْ[7]

وتتكرر هذه الصورة لدى الحطيئة حين يقول[8]:

نَمشي إِلى ضَوءِ أَحسابٍ أَضَأنَ لَنــا ما ضَوَّأَت لَيلَةُ القَمــراءِ لِلســاري

وتتجلى قداسة النسب رابعا: في قدرته على التخليص من الشر، فكما أن الـــدين المنزل من عند الله، الذي هو نور، يجلي الظلمات، ويقي من عـــذاب الله، فكـــذلك

(1) قال عويف القوافي:

من أفلس الناس من دين ومن حسب وأظلم الناس طرا للمساكين

التذكرة الحمدونية، 335/9.

(2) قال نصر بن سيار:

وتتركون عدوا قد أحاط بكم ممن تأشب لا دين ولا حسب

الكامل في التاريخ، 35/5.

(3) قال يزيد بن حكم الثقفي:

وما استخبأت من رجل حيي كدين الصدق أو حسب عتيق

الأمثال المولدة، أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت 383هـــ)، تحقيق وتقديم: محمد حســين الأعرجي، المجمع الثقافي – أبو ظبـــي، ط2، 2003م، 319.

(4) قال حاتم الطائي:

نظرت بعينه فكففت عنه محافظة على حسبـــي وديني

ديوان حاتم الطائي، 91.

(5) قال سهم بن حنظلة الغنوي:

قد يعلم الناس أنا من خيارهم في الدين دينا وفي أحسابهم حسبا

منتهى الطلب من أشعار العرب، 391/8.

(6) الحماسة البصرية، 497/2.

(7) الجزع: الخرز اليماني الذي فيه سواد وبياض.

(8) ديوان الحطيئة برواية وشرح: ابن السكيت (أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق بن السكيت الدروقي الأهوازي، ت 246هـــ)، دراسة وتبويب: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بـــيروت، ط1، 1413هـــ، 115.



النسب – في زعمهم – يدفع المصارع في لحظات الهلاك، ويُنجِّي من الكرب، يقول ورقة بن نوفل[1]:

ويصدُّهُم عني بأنّي ماجدٌ حَسَبِي وأصدُقُهم إذا ما نلتَقي[2]

ويقول قيس بن الخطيم[3]:

وَيَومَ بُعاثٍ أَسلَمَتنا سُيوفُنا إلى نَسَبٍ في جِذمِ غَسّانَ ثاقِبِ[4]

كما أن عددا من الشعراء أحسابهم تصد عنهم مصارع السوء، منهم النابغة الذبياني[5] "إذا الدخان تغشى الأشمط البرما"[6] وزهير بن مسعود الضبي[7] "عِندَ

---

(1) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ، وأمه هند بنت أبي كثير بن عبد بن قصيّ. وهو أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية، وطلب الدّين وقرأ الكتب. وامتنع من أكل ذبائح الأوثان. (الأغاني 82/3).

(2) قاله: ورقة بن نوفل. جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزبير بن بكار القرشي الزبيري (ت 256هـ)، تحقيق الدكتور عباس هاني الجراخ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 2010م، 255/1.

(3) هو هو قيس بن الخطيم بن عديّ بن عمرو بن سود بن ظفر، ويكنى قيس أبا يزيد. وكان مقرون الحاجبين أدعج العينين أحم الشفتين براق الثنايا حسن الصورة. شاعر مجيد فحل ومن الناس من يفضله على حسان شعراً. قتل قبل الهجرة. (الأغاني 5/3 و11، والمؤتلف والمختلف 141، ومعجم الشعراء 238).

(4) ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، دار صادر – بيروت، 89.

(5) هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض. شاعر جاهلي لم يدرك الإسلام. وكان أحسن الشعراء ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتا، كان شعره كلاما ليس فيه تكلّف، ونبغ بالشعر بعد ما احتنك، وهلك قبل أن يهتر، وكان تضرب له قبّة حمراء من أدم بسوق عكاظ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها. (المؤتلف والمختلف 252، والشعر والشعراء 157/1، 344، والأغاني 7/5).

(6) قال النابغة الذبياني:

هلا سألت بني ذبيان ما حسبي إذا الدخان تغشى الأشمط البرَما

البَرَم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر.

الأغاني، 273/17.

(7) هو زهير بن مسعود بن سلمى بن ربيعة الضبي. شاعر جاهلي (تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد علي النجار وعلي محمد البجاوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، 1967م، 688/2).



الطِعانِ إذا ما احمرَّتِ الحَدَقُ"[1] والربيع بن أبـــي الحقيق[2] "إذا الذي كُنتَ ترجو خامَ أو خَمَلا"[3] والمتوكل الليثي[4] "إذا الكُماةُ التَقى فُرسانُها الصيدُ"[5] وأما الـــذين بـــلا أحساب، فلا حامي لهم ساعة الموت، وليس في إمكانهم إلا الهلاك. قال حســـان بـــن ثابت[6]:

لَكِنَّـــهُ إنَّمـــا لاقـــى بِمَأشَـــبَةٍ لَيسَ لَهُم عِندَ صِدقِ المَوتِ أَحسابُ[7]

وقال أيضا[8]:

يا حارِ، قد عوَّلْـــتَ غـــير مُعـــوَّلٍ عند الهِيـــاجِ وســـاعة الأحســـابِ

(1) قال زهير بن مسعود الضبـــي:

هلا سألت هداك الله ما حسبـــي عند الطعان إذا ما احمرت الحدق

خزانة الأدب، 259/11.

(2) هو الربيع بن أبـــي الحقيق. شاعر يهودي من بني قريظة، وقيل من بني النضير، اشـــترك في يـــوم بعاث، وعاصر النابغة الشاعر الشهير، وخلف جملة أولاد ناصبوا الرسول صلى الله عليـــه وســـلم العداء. قتل بعد "الخندق".. قتله عبد الله بن عَتِيك. (الأغاني 91/22، وطبقات الشعراء لابن سلام 106).

(3) قال الربيع بن أبـــي الحقيق:

وسوف تعلم يوم الروع ما حسبـــي إذا الذي كنت ترجو خام أو خملا

خام: فر. الوحشيات، 92.

(4) هو المتوكل بن عبد اللّه بن نهشل بن مسافع بن وهب بن عمرو بن لقيط بن يعمر بن عوف بـــن عامر بن ليث ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. من شعراء الإسلام جعله ابن سلام في الطبقة السابعة، وهو من أهل الكوفة. كان في عصر معاوية وابنه يزيد، ومدحهما. ويكنى أبا جهمة. وقد اجتمع مع الأخطل وناشده عند قبيصة ابن والق، ويقـــال عند عكرمة بن ربعيّ الذي يقال له الفيّاض، فقدمه الأخطل. (الأغاني 111/12، وطبقات الشعراء لابن سلام 192).

(5) قال المتوكل الليثي:

وسائلي عند جد الأمر ما حسبـــي إذا الكماة التقى فرسانها الصيد

منتهى الطلب من أشعار العرب، 204/3.

(6) ديوان حسان بن ثابت، شرحه وكتب هوامشه وقدم له: الأستاذ عبـــد أ. مهنـــا، دار الكتـــب العلمية – بيروت، ط2، 1414هـــ، 31.

(7) المأشبة: أخلاط الناس تجتمع من كل أوب.

(8) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبد الله سنده، 32.



وعلى العكس من هؤلاء فأعشى همدان[1]، ينادي يوم الروع ذوي حسب، فيأتيه الفرج[2]:

فَإن أَدْعُ يَومَ الرَوعِ حَسْبــي أَجابَني ذَوُو حَسَبٍ في ذروَةِ المَجدِ فـاخِرِ

وإذاً يبدو النسب مقدسا، عالٍ مصدره، مقترنا بالدين، نوراني الطبيعة، مخلصا من الشر ساعة الهلاك، وبما أنه كذلك وجب الذب عنه، واعتباره واحدا من الحرمات، على حد تعبير بكر بن النطاح[3].

من خلال هذا العرض يتضح أن الوحدة غايتها القوة، وقد تحققت هذه الغاية عمليا فيما سمي بالقبيلة، غير أن الوحدة لم يكن منشؤها انسجام وظائف العناصر المتشاركة في تحقيق هدف إنتاجي مثلا، وإنما كان منشؤها مجرد اشتراك العناصر في النسب والسيد والمكان، بمعنى أنها تحققت على مبدأ عصبي، اهتضم حقوق الفئات غير المشتركة في تلك الأشياء، الأمر الذي استدعى - لاحقا -محاولة تقويضها من قبل الفئات المقصية، لأن مثل هذه الوحدة تلغي - بالضرورة - الآخر، والحرية، والحقيقة، وتخلف الخسارات الإنسانية الفادحة، وقد لفظت الخارجين على قانونها، واستبعدت من وصفتهم بالهجنة، وخلطة الدماء، لتحكم عليهم بالخسة، والانحطاط، وفق معيار النسب، وبالمقابل انعكست صلفا، وغرورا، وعصبية، في نفوس من حكمت لهم بالقوة والسيادة، والشرف، والحرية.

---

(1) هو عبد الرحمن بن عبد اللّه بن الحارث بن نظام بن جشم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحرّ بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن نزار بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ويكنى أبا المصبّح، من شعراء الدولة الأموية. خرج مع ابن الأشعث، فأتي به إلى الحجّاج أسيرا، فقتله صبرا. (الأغاني 27/6، ومعجم البلدان 106/1، خزانة الأدب للبغدادي 576/9).

(2) مما نسب إليه و لم نجد له مصدرا.

(3) قال بكر بن النطاح:

وما الفتك إلا في ربيعة والغنى وذب عن الأحساب والحرمات

طبقات الشعراء لابن المعتز، 221.




مكتبة
التنوير

الشتات

(1)

تبدو الفئات المشتتة متباعدة، ومفرقة، لا يربط بينها رابط، ولا يوحدها شـــيء، والشتات في البيئة الاجتماعية العربية يتجلى في: طول المسافة بين الفئات على قاعـــدة اللامشترك، واللامقدس. ويحصل بسبب قوة الطرد التي يولدها الصراع، ويشتد هـــذا الشتات كلما نزعت الفئات المتحدة إلى تصنيف الفئات المبعدة، وتبخـــيس قيمتـــها، ووسمها بالخلطة تارة، وبالخلع تارة ثانية، وبالصعلكة تارة ثالثة، ما يجعل هذه الفئـــات، أولا: مقطوعة العرى بعضها عن بعض من جهة، وعن تلك الفئات المتحدة من جهـــة أخرى، وثانيا: مهموزة النسب، منزوعة المال، مسلوبة الحرية.

ويتأسس الشتات أولا: على ما يمكن تسميته "الانبتات" أي انقطاع صلة الفـــرد بالقبيلة، عند تعرضه للخلع، أو الأسر، أو البيع، أو أن يكون دمه مختلطا، إلى غير هـــذه الأسباب التي تنقطع بها عرى الفرد عن القبيلة، فيكون حينئذ منبتا، مفتقدا للقيمة، وكل ما يمكن أن يدعم ذاته، أو يبني كيانه.

أما الخليع فكان فصله عن القبيلة يتم بأن "تعلن القبيلة ذلك على رؤس الأشـــهاد، وتنادى بخلعه في المواسم، لكي يعلم العرب جميعا أنها بريئة من أية جناية يرتكبها، أو أية جريرة يقوم بها، وهذا ما كانت تفعله قريش، إذ كانت تكلف مناديا ينـــادي بـــأعلى صوته، عند خلع الخليع، وقد يكتبون كتابا يحفظونه عندهم، أو يعلقونه في مكان عام؛ ليقف عليه الناس، أما ما يقال عند الخلع، فقد ورد أنهم كانوا يقولون: إنا خلعنا فلانا، فلا نأخذ أحدا بجناية تُجنى عليه، ولا نؤاخَذ بجناياته التي يجنيها"[(1)].

(1) الإنسان في العصر الجاهلي، 92.



وأما الأسير، أو المبيع، أو مأشوب النسب، أي العبد، فآلية فصله عن المجتمع تتم بأن يقع في أيدي قبيلة معادية أثناء الحرب، حتى لو كان عربيا صريحا، أو يجلب من البلاد المجاورة للجزيرة العربية، فيباع، ويشترى، كما لو كان سلعة، ويجري هذا الحكم على من ولد في جزيرة العرب لأب، أو أم، غير عربيين، فيستعبد حينئذ، ويكون منبتا عن القبيلة، محكوما عليه بالسخرة والعبودية. يقول حسان بن ثابت في واحد من هؤلاء المنبتين[1]:

وَأُمُّهُ خَرَبَةُ الأُذنَينِ أَهلَكَها حُبُّ السّفادِ لَدى الرُكبانِ وَالعارُ[2]

كانَت وِلادَةَ سوءٍ ما لَها نَسَبٌ لا في مَعَدٍّ وَلا في الحَيِّ أَصهارُ

ومن هذا حالهم؛ لا شك تتخطفهم الأيدي التي لا ترحم ضعفهم وانبتاتهم، وما للعبد من حسب قديم يصد عنه المصائب، أو يحميه من المهالك[3]. قال يزيد بن مفرغ الحميري[4]:

العَبدُ لِلعَبدِ لا أَصلٌ وَلا طَرَفٌ أَلوَتْ بِهِ ذاتُ أَظفارٍ وَأَنيابِ[5]

ولعل أثقل شيء على المنبت هو شعوره بشيئية ذاته، حيث لا أحد يعترف بإنسانيته، أو حتى بكونه ذا روح، ذلك أنه ليس إلا فقع قاع بقرقر[6]:

(1) ديوان حسان بن ثابت، حققه وعلق عليه: وليد عرفات، تولى طبعه أمناء سلسلة جب التذكارية، 418/1.
(2) الخُربة: سعة خُرْتِ الأذن. السِّفادُ: نَزْوُ الذَّكَرِ عَلَى الأُنثى.
(3) قال جرير:

وكيف يصول أرصع تغلبي وما للعبد من حسب قديم

ديوان جرير، 112/1.

(4) هو أبو عثمان يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ بن ذي العشيرة بن الحارث بن دلال بن عوف بن عمرو بن يزيد بن مرة بن مرثد بن مسروق بن يزيد بن يحصب الحميري، لقب جده مفرغاً لأنه راهن على سقاء من لبن يشربه كله، فشربه حتى فرغه فسمي مفرغاً. وكَانَ يزيد رجلا شريرا هجاء للنَّاس، عده ابن سلام في الطبقة السابعة ضمن ثلاثة رهط من الإسلاميين هو رابعهم. (طبقات الشعراء لابن سلام 193، ووفيات الأعيان لابن خلكان 342/6، وسير أعلام النبلاء 522/3، والتذكرة الحمدونية 115/2).
(5) الأغاني، 210/18.
(6) قاله: بشر بن عليق الطائي، أحد بني عدي بن أبي أخزم الطائي. شاعر جاهلي. (منتهى الطلب من أشعار العرب، 60/9 – 70).



عَهِدتُكَ عَبداً لستَ مِن أَصلِ مَعشَرٍ عَن المَجدِ مقطوع السَواعدِ أَجذَما[1]
وَهل كنتَ إلا فَقـــعَ قـــاعٍ بقَرقَـــرٍ وَساقِطَةً بَـــينَ القَبائـــلِ مُســـلما[2]
تَلوذُ بِقَومٍ لَستَ منـــهم وَتَعتَـــزي إِلَيهم ولَمْ تُعصَم من الذُلِّ مُعصَـــما

وهذه الشيئية التي يوصم بها المنبت، ليست مجرد شتيمة يقذفها شاعر على آخر، وإنما هي نظرة مجتمع؛ لفئة يعتبرها ليس إلا كمآتٍ رديئة، نبتت في قيعة جرداء، مـــن هنا فأبو خراش[3] ينفي عن جاره أن يكون من أولئك المنبـــتين، المُشـــيَّئين، حـــين يقول[4]:

وَلا تَحسبنْ جاري إِلى ظِلِّ مَرخَـــةٍ وَلا تَحْسَبَنْهُ فَقــعَ قـــاعٍ بِقَرقَـــرِ[5]

كما أن النجاشي الحارثي[6] يصف أحدهم بأنه "دعي زيـــاد، فقـــع قرقـــرة"[7]

(1) الأجذم: مقطوع أصابع الكف، أو الذي نزل به الجذام، والمقصود إما مقطوع العرى، أو المقصي عن القوم.

(2) الفقع: أَرْدأ الكمْءِ طعْماً وأَسرعها ظُهورًا. القرقر والقَرْقَرة: وسط القاعِ ووسط الغائط والمكـــانُ الأجرد لا شجرَ فيهِ ولا دَفَّ ولا حجارة. الساقطة: الدابة السائبة المهملة.

(3) هو أبو خراش اسمه خويلد بن مُرّة، أحد بني قرد، واسم قرد عمرو بن معاوية بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين الفصحاء، مخضـــرم، أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم وعاش بعد النبـــي صلّى اللّه عليه وسلّم مدة، ومـــات في خلافـــة عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه، نهشته أفعى فمات، وكان ممن يعدو فيسبق الخيل في غارات قومه وحروبهم. (الأغاني: 147/21، والشعر والشعراء 663/2، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم 299/4، والكامل في التاريخ 471/2، والبداية والنهاية 278/7).

(4) الشعر والشعراء، 664/2.

(5) المرخة: شجرة قليلَة الْوَرَق سَخِيفَةُ الظِّلِّ.

(6) هو قيس بن عمرو بن مالك، من بني الحارث بن كعب، كان فاسقا رقيق الإسلام، وقد شـــرب الخمر في رمضان، فضربه علي بن أبـــي طالب ثمانين ثم حبسه، فأخرجه الغد فضربه العشـــرين ثم قال له: إنما جلدتك هذه العشرين بجرأتك على الله تعالى، وإفطارك في رمضان. (الشعر والشـــعرء 329/1، ومعجم البلدان 82/1)

(7) قال النجاشي الحارثي:

أضحى دعي زياد فقع قرقرة يا للعجائب يلهو بذي يزن

الأغاني، 198/18.



وكعب بن زهير[1] يعتبر آخر "فقع القَراقِرِ بالَمكانِ الواتِنِ"[2] والأحوص الأنصاري[3] ينادي مولى على نحو من قوله: "سَتَعلَمُ إن عادَيتَني فَقعَ قرقر"[4] – أي يا فقع قرقر – كما أن يزيد بن مفرغ الحميري يعتبر "عُبيدا فقع قرقرة بقاع"[5].

وهكذا فقد أكثر المجتمع القبلي من هذا الوصف، لمن اعتبره ليس مشتركا مع أفراده في النسب، والسيد، والمكان، أي لمن كان مقطوعا إلا من شيئية طالما وصمه

---

(1) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى. واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح بن قرّة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن الأصمّ بن عثمان بن عمرو بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار. ومزينة أمّ عمرو بن أدّ هي بنت كلب بن وبرة. يكنى أبا عقبة وقيل هو أبو المضرب، وكان كعب شاعراً فحلاً مجيداً، وكان يحالفه أبدا إقتار وسوء حال. أمه امرأة من بني عبد اللّه بن غطفان يقال لها كبشة بنت عمّار بن عدىّ بن سحيم. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمه لأبيات قالها لما هاجر أخوه بجير بن زهير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهرب، ثم أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً فأنشده في المسجد قصيدته التي أولها: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول، وأسلم فأمنه النبي صلى الله عليه وسلم. (الأغاني 63/17، والشعر والشعراء 154/1، ومنتهى الطلب من أشعار العرب 72/1).

(2) قال كعب بن زهير:

وَهُوَ التَّريكَةُ بالِمكَرِّ وحارثٍ فَقْعَ القَراقِرِ بالمكانِ الواتِنِ

يقال: وَتَنَ وأَتَنَ إذا ثبت فِي المكان.

لسان العرب، "وتن".

(3) هو عبد الله بن محمد بن عاصم بن ثابت الأنصاري. لقب بالأحوص لضيق في عينه، شاعر إسلامي أموي، مطبوع على الشر، شكس الخليقة، قليل المروءة، هجاء للناس، سريع الوقوع في أعراضهم، شديد في خصومته، من طبقة جميل بن معمر ونصيب، وكان معاصراً لجرير والفرزدق، وهو من سكان المدينة. قدم دمشق ومات بها، وكان حماد الراوية يقدمه في النسيب على شعراء زمنه. (شعر الأحوص الأنصاري، 24 وما بعدها).

(4) قال الأحوص بن محمد الأنصاري:

ستعلم إن عاديتني فقع قرقر أمالا أفدت لا أبا لك أو غرما

حماسة القرشي، عباس بن محمد القرشي (ت 1299هـ)، تحقيق: خير الدين محمود قبلاوي، إحياء التراث العربي – دمشق، 1995م، 401.

(5) قال ابن مفرغ:

عبيد الله عبد بني علاج عبيدا فقع قرقرة بقاع

جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279هـ)، حققه وقدم له: الأستاذ الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركلي، دار الفكر، 136/10.



الواصمون بها، وفي الواقع فهذه النظرة من قبل المجتمع القبلي للفئة غير المدمجة في القبيلة، تحتاج إلى المزيد من التأمل.

ولعل ما أرساها أن العبيد في الجزيرة العربية كانوا يباعون ويشترون، ولما لهم من الكثرة، فقد رخصت أثمانهم، ونُظِر إليهم باعتبارهم سلعا رخيصة، فأُبعدوا عن القبيلة، بل فصلوا عن الإنسانية، ثم أُلحقوا بعالم الأشياء، وفي وصفهم بـ "فقع القراقر" ما يدل على احتقارهم وامتهانهم، فـ "الفَقْع يَطْلُعُ من الأَرض فيظهر أَبيض، وهو رديء، ويُشبَّه به الرجل الذليل، فيقال هو فَقْعُ قَرْقَرٍ، ويقال أَيضاً أَذَلُّ من فَقْعٍ بِقَرقَرٍ؛ لأَنَّ الدَّواب تَنْجُلُه بأَرجلِها"[1].

(2)

ويتأسس الشتات ثانيا: على ما يمكن تسميته بـ "اللامشترك" والمقصود به انعدام ما يجمع بين اثنين أو أكثر. وقد وُجد في البيئات العربية قديما عدد من الأفراد، تنعدم رابطة النسب بينهم، على نحو وضعهم في حالة من التفكك والهوان، ومن لا نسب له، لا مقدس له، ولا قوة، ولا قيمة، ولا حرية في العرف العربي، ومن كان هذا حاله فإنه في عدد المفصولين، المبعدين، إلا أن يتدارك نفسه بفضيلة يبرز من خلالها نجابته. يقول عنترة بن شداد[2]:

إِن كُنتُ في عَدَدِ العَبيدِ فَهِمَّتي ... فَوقَ الثُرَيّا وَالسِماكِ الأَعزَلِ[3]
أَو أَنكَرَتْ فُرسانُ عَبسٍ نِسبَتي ... فَسِنانُ رُمحي وَالحُسامُ يُقِرُّ لي

ومن لم يكن له فضيلة خارقة كفضائل عنترة؛ فإنه يظل مفصولا، منبتا، وإذا ما ضُم إلى من هم في مثل حالته، أصبحت هنالك كثرة بلا مشترك، ولعل فئاتٍ في

(1) لسان العرب، "فقع"، ومجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت 518هـ) تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، 284/1.
(2) ديوان عنترة، 334.
(3) السماك: نجم في السماء.



المجتمع العربـي القديم، كالخلعاء، والأدعيـاء، والهجنـاء، والأغربـة، والمقرفـون، والخلاسيون، عاشوا حالات من التشرذم غارقة في البؤس، والنكد، قل أن يوجد لهـا نظير.

(3)

ويتأسس الشتات ثالثا: على ما يمكن تسميته بـ "اللامقدس" أي الذي ينعدم مـا مصدره علوي، وما هو منزه من الدنس، ومخلص من الشر. ويصبح النسب مدنسـا – في عرف العربـي – حين يكون مأشوبا، أو فيه دغل، أي خلطة دم، والذين أنسابهم مدنسة، هم: الأدعياء، والهجناء، والمقرفون، والخلاسيون.

وغالبا ما يلجأ أصحاب الأنساب المدنسة إلى غير المقدس مما فيه شـدة وبـأس، فينتسبون إليه طلبا للقوة والحماية، ومن تلك الأشياء التي انتسبوا إليها اللون الأسـود، لاسيما أن العرب "يخافون من هذا اللون، ويعدونه لون المجهول، من الجـن والغـيلان ونحوها... [وقد] اقترن اللون الأسود بالقبر والموت، ومن هنا جاء تشاؤم العرب مـن الغراب للونه... ولما كان الأسود رمزا للموت، والخراب، وظلمة القبر؛ فقد أصبح لونا مكروها يُنفر منه... ويوصف الأسود دائما بالشر، والبغي... وكان الأسود عند العرب كغيرهم من الشعوب، يستخدم للوقاية والحماية من الشر، فكانوا يضعون خرزة سوداء في عنق الصبـي تسمى الكحلة، لحمايته من العين"(1) ولعل عنترة بن شداد يستند إلى هذا الموروث في لاوعيه، فينتسب إلى اللون الأسود، طلبا للقوة والحماية يوم النزال، في قوله(2):

لَئِن يَعيبوا سَوادي فَهـوَ لي نَسَـبٌ   يَومَ النِزالِ إِذا ما فـاتَني النَسَـبُ

---

(1) اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي (شعراء المعلقات نموذجا) أمل محمود عبد القـادر أبـو العـون، (أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليـا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين، 2003م)، 31 – 36.

(2) ديوان عنترة، 142.



ومما نسبوا أنفسهم إليه، تلك الأفعال الخارقة، التي تورث الشرف، والمحامد، يقول عنترة بن شداد[1]:

سَوادي بَياضٌ حينَ تَبدو شَـــمائِلي وَفِعلي عَلى الأَنسابِ يَزهُو ويَفخَـــرُ

ويقول في هذا السياق[2]:

فَأَمّـــا القـــائِلونَ هِزَبْــــرُ قَـــومٍ فَذاكَ الفَخرُ لا شَـــرَفُ الجُـــدودِ[3]

ونسبوا أنفسهم إلى الأشياء التي لها مكانة عظيمة لدى العربـــــي، كالســـيف، والرمح، والجواد، والملاحظ أنها جميعا عدة حرب، أي أن ذلك الانتســـاب في معنـــاه العميق، إنما هو التجاء يمنح الذات قوة، في محيطها المفزع، الذي تعيش فيه[4]:

نِســـبَتي سَـــيفي ورُمحـــي وهُمـــا يُؤنِســـاني كُلَّمـــا اشـــتَدَّ الفَـــزَع

ويُكثر عنترة من الانتساب إلى عدة الحرب، حيث يقول[5]:

جَوادي نِســـبَتي وأَبـــــي وأُمّـــي حُســـامي والسِـــنانُ إِذا انتَسَـــبنا

ويقول[6]:

وقَد طَلَبتُ مِـــنَ العَليـــاءِ مَنزِلَـــةً بِصارِمي لا بِـــأُمّي لا ولا بِأَبـــــي

ويقول[7]:

ومَن قالَ إِنّي سَـــيِّدٌ وابـــنُ سَـــيِّدٍ فَسَيفي وهَذا الرُمحُ عَمّـــي وخالِيـــا

وإذا كان عنترة انتسب إلى عدة الحرب، فإن عبيد بن أيوب العنبري ينتســـب إلى الظباء، وفي الواقع فالانتساب إنما هو اختيار واستبدال، ومن لم يجد من يجعل اعتبـــارا لوجوده، انتسب إلى من يمنحه ذلك الاعتبار، كما فعل عبيد حين قال[8]:

---

(1) السابق، 240.
(2) السابق، 193.
(3) الهزبر: من أسماء الأسد.
(4) ديوان عنترة، 277.
(5) السابق، 379.
(6) السابق، 161.
(7) السابق، 391.
(8) الحيوان، 165/6.



كــأنّي وآجـــالُ الظبـــاءِ بقفـــرةٍ لنا نسبٌ نرعـــاهُ أصـــبحَ دانيـــا[1]

وهكذا فالشتات حالة من تمزق الروابط، وضياع الهوية، وهدر القيمـــة، ومـــن تداعياته الروح الثائرة، ذات الرفض، والتمرد، والصدام، ولعل من مظاهر تلك الثـــورة إعلان الانتساب إلى الأشياء ذات البأس، أو تلك القادرة على تقديم الدعم للذات، كي تواجه مصيرها، ومن الواضح أن الروابط التي تصل المشتتين بالفئات المتحـــدة؛ قـــد تم وصلها داخل القبيلة من أجل السخرة لا أكثر، ولكنها – أي تلك الروابط – تُفك عن اختيار، وعن وعي، من قبل المشتتين، ليتم وصلها – مرة أخرى – ولكـــن بالعناصـــر الحربية، والوحشية، طلبا للقوة، والحماية.

* * *

وهكذا فالتضاد البيئي يولد تضادا اجتماعيا، ثم صراعا اقتصاديا، وهذا الصراع من مقتضياته الوحدة ذات البعد العنصري، والشتات المتحقق على أطراف تلك الوحـــدة بقوة الطرد المركزي.

وإذاً فالتضاد البيئي في هذه الحالة، ينعكس تلقائيا على الحالة الاجتماعية، حيـــث يصبح الذين يسكنون في المناطق المخصبة، أصحاب أنماط معيشية، وثقافيـــة، تختلـــف عنها – بالضرورة – لدى أولئك الذين يسكنون في المناطق المجدبة، ومثل هذه الحالـــة الاجتماعية المتضادة ينشأ في كنفها صراع اقتصادي بين الفريقين، ثم يصبح هذا الصراع داخل الفريق الواحد طبقيا، ثم يتحول هو ذاته إلى صراع وجودي، حـــين يتعلـــق في النهاية بالمصير، وبمسألة الكينونة، والحياة والموت، وعندئذ تنشأ الحاجة إلى الاتحاد مـــن جهة، وإلى استبعاد العناصر ذات التأثير السلبـــي على الوحدة من جهة أخرى، الأمـــر الذي يُلجئ هذه العناصر الأخيرة إلى طلب القوة، والحمايـــة، عـــن طريـــق الأدوات الحربية، والعناصر الوحشية.

---

(1) الآجال: القطعان.

الباب الثاني

التوحش في الجاهلية

الاستلاب: التصنيف – الإقصاء – الحرمان

المناهضة: الوعي – الرفض – التمرد – العنف

التحول: الانفصال – التهميش – الاتصال

التأسيس: الاستبدال – التماهي – التبشير

الاختراق: الإلباس – التهييج – الإزاحة





الاستلاب

(1)

تم الاستلاب في المجتمع العربي القديم بأن صُنفت فئة من الناس تصنيفا وضيعا، بالاستناد إلى معايير: صراحة النسب، وفرة المال، بياض اللون، ثم وُضعت في منطقة الهامش، ثم حُرمت من حقوقها الإنسانية، وتأسيسا على هذا فالاستلاب: اغتصاب مقدرات الطبقة الأدنى، استنادا إلى معايير الطبقة الأعلى. والعناصر المستلَبة لا تبعد عن أن تكون مأشوبة النسب، أو منزوعة المال، أو مسلوبة الحرية، كما أن مراحل الاستلاب: التصنيف، ثم الإقصاء، ثم الحرمان.

يتم في عمليات التصنيف أولا: فرز الأفراد إلى مجموعات (صرحاء، عبيد، موالي) ثانيا: إحالة هذه المجموعات إلى مرجعيات (عرقية، سياسية، مكانية: عربي، فارسي، رومي، حبشي...) ثالثا: الحكم على تلك المرجعيات (رفيعة، وضيعة...) رابعا: سحب هذا الحكم على الأفراد والجماعات، ولذا فالتصنيف: إحالة الآخر إلى مرجعية ما؛ لتقييمه، والحكم على مصيره. والمصنف هو: المفصول عن حقيقته من قبل سلطة ما، بالاستناد إلى معايير هذه السلطة، ومن الأمثلة على التصنيف، ما عاناه عنترة بن شداد، عندما عيروه ووسموه بغرابية أمه[1]:

فإنْ تكُ أُمِّي غُرابيَّة   من أبناءِ حامٍ بها عِبْتَني[2]
فإني لطيفٌ ببيضِ الظُّبى   وسُمرِ العوالي إذا جِئتني[3]

---

(1) شرح ديوان عنترة، 201.

(2) غرابية: أي سوداء وقد نسب سوادها إلى الغراب.

(3) الظبى: جمع ظبة وهي حد السيف. العوالي: الرماح.



وأما عروة بن الورد فقد عيروه بأمه إذ كانت قبيلتها وضيعة، لذا قال[1]:

هُــمُ عيَّــرُوني أنَّ أُمِّــي غريبــةٌ   وهل في كــريمٍ ماجــدٍ مــا يُعــيرُ

وقال[2]:

وما بيَ مــن عــارٍ إخــال علمتُــه   سوى أنَّ أخوالي إذا نُسِــبوا نَهْــدُ

وقد يجري التصنيف على أساس معايرة اللون، فإن كان أبيض، فإن صاحبه لاشك سينال قيمة صاعدة، يزيدها أو ينقصها النسب والمال، وأما إن كــان أســود، فــإن صاحبه – في كل الأحوال – سيمنى بقيمة هابطة، وهكذا كان عنترة بن شداد، الذي حاول جاهدا قلب المعادلة، من خلال أشعاره التي ظلت تنافح عن قيمته الأخلاقيــة، على الرغم من لونه الضارب في السواد:

– لَئِن يَعيبوا سَوادي فَهوَ لي نَسَبٌ   يَومَ النِزالِ إِذا ما فاتَني النَسَــبُ[3]

– وإِنْ عابَتْ سَوادي فَهوَ فَخــري   لأني فــارِسٌ مِــن نَســلِ حــامِ[4]

– يَعيبونَ لَــوني بِالسَــوادِ جَهالَــةً   وَلَولا سَوادُ اللَيلِ ما طَلَعَ الفَجــرُ[5]

– وَما عابَ الزَمــانُ عَلَــيَّ لَــوني   وَلا حَطَّ السَوادُ رَفيــعَ قَــدري[6]

– تُعَيِّرُني العِــدا بِسَــوادِ جِلــدي   وَبيضُ خَصائِلي تَمحو السَــوادا[7]

– وَإِن يَعيبوا سَواداً قَد كُسيتُ بِــهِ   فَالدُرُّ يَستُرُهُ ثَوبٌ مِنَ الصَــدَفِ[8]

– يَعيبونَ لَــوني بِالسَــوادِ وَإِنَّمــا   فِعالُهُمُ بِالخُبثِ أَسوَدُ مِن جِلــدي[9]

– وَمَن قالَ إِنّــي أَســوَدٌ لِيَعيــبَني   أُريهِ بِفِعلي أَنَّهُ أَكــذَبُ النــاسِ[10]

---

(1) ديوان عروة بن الورد، 78.
(2) السابق، 47.
(3) ديوان عنترة، 142.
(4) السابق، 365.
(5) السابق، 157.
(6) السابق، 238.
(7) السابق، 199.
(8) السابق، 289.
(9) السابق، 209.
(10) السابق، 167.



وهكذا فقد اجتمع العيب على عنترة؛ من جهة لونه الأسود، ومن جهة أمه "زبيبة" الأمة السوداء، ومن جهة نسبه المجهول، ومع ذلك يقول محاولا تجاوز هذه الأزمات[1]:

ما ساءَني لَوني وإِسمُ زَبيبَةٍ   إِذ قَصَّرَتْ عَن هِمَّتي أَعدائي

ولكنه في الحقيقة عانى ويلات التصنيف، إذ حُشر في عدد الأغربة "الذين تسرب إليهم السواد من أمهاتهم الإماء، والذين في الوقت نفسه لم يعترف بهم آباؤهم العرب، أو اعترفوا بهم على ضيق منهم"[2].

وقد أحاله المجتمع إلى مرجعية عرقية، عندما اختُلِف في اسم أبيه، أي فيمن وطأ أمه و" معظمهم يقول: إن من فعل ذلك هو عمرو بن شداد، ومن هنا يكون شداد هو الجد، وهناك من يقول: إن شدادا هو الأب، وعلى هذا الزعم سار كاتب السيرة، وقيل: إن شدادا لم يكن الأب أو الجد، وإنما كان عما له كفله بعد موت أبيه"[3].

ومع هذا الاختلاف في نسبته إلى أب معلوم "فهو ابن لأم تنتمي إلى الطبقة الثالثة من النساء في المجتمع العربي بعد طبقة الحرائر وطبقة السبايا، فالسبية كانت وقفا على رجل واحد، أما الأمة فكانت شيئا مشاعا، ولهذا فإن الاعتراف بابن السبية، كان أمرا طبيعيا مسلما به، بينما كان الاعتراف بأبناء الإماء أمرا لا يقره العربي ولا يجيزه"[4].

وهكذا كان الحال مع عنترة، حيث ظلت مرجعيته حبشية، والعرب تحتقر العرق الأسود، ومن ثم فهي تسحب حكمها على عنترة، فلا ترى فيه إلا ذلك الرجل الأسود، الذي هو ليس "أكثر من كائن دنيء، وضيع النسب، شرير الخلق، سيء الطباع، وضيع الهمة"[5] يشده إلى هذه النقائص عرقه الأسود "والعرق يسري إذا ما عرَّس الساري"[6].

---

(1) السابق، 135.

(2) الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، الدكتور عبده بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، 21، 22.

(3) السابق، 32.

(4) السابق، 33.

(5) مظاهر القهر الإنساني في الشعر الجاهلي، 17.

(6) قال القتال الكلابي:

إن العروق إذا استنزعتها نزعت   والعرق يسري إذا ما عرس الساري

ديوان القتال الكلابي، 58.



(2)

تضع الذات المتسلطة نفسها في مرتبة أعلى، والآخر في مرتبة أدنى، ثم تفرض بينها وبين هذا الآخر، نطاقا من الحواجز والحدود، وتلك الحواجز هي الفروق التي تخصه بالوضاعة، وجملة المواضعات الاجتماعية، التي لا يمكنه تجاوزها، وعليه فالإقصاء هو: إقامة حاجز القيمة بين الذات والآخر، عندما تحتل الذات موقعا أعلى، والآخر موقعا أدنى.

وفي ظل هذا الإقصاء تتبلور علاقة بين الطرفين مؤطرة بالسخرة، وموسومة بالـ "فوق" من جهة، والـ "تحت" من جهة أخرى، وفي هذه الحالة فالمُقْصِي عنصري بالضرورة، من جهة أنه يشعر بعلو منزلة ذاته، وانحطاط منزلة مقصيه، كما أنه مستبد، يقوي جانبه المجتمع، الذي سوف لن يرحم المَقْصِي، المعترض على التراتب، والفوارق، والحدود، وأما المَقصِى فخاضع لوضعه الاجتماعي البائس، وقيمته الوضيعة، كونه يؤمن – غالبا – بمعايير الطبقة الأعلى، التي لها في اعتقاده حظ الشرف، والسيادة، والحكم. ونلمح عروة بن الورد يذكر المقصي بسبب فقره، فيقول[1]:

دَعيني للغِنى أسْعى فإنّي رأيتُ الناسَ شرُّهم الفقيرُ

وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أمسى له حسبٌ وخيرُ

ويُقصيه النديُّ وتزْدريه حليلتُه وينهرُه الصغيرُ[2]

وعندما نسأل عن عملية الإقصاء من أين تبدأ؟ نجدها لدى مسعود بن خرشة المازني[3] تبدأ من السلطان، ليصبح المرء بعد ذلك مقصيا عن الأهل والديار[4]:

فكيف بكم يا جُمْل أهلاً ودونكم بحورٌ يقمِّصن السفينَ وبيدُ[5]

---

(1) ديوان عروة بن الورد، 91.

(2) الندي: المجلس مادام القوم مجتمعين فيه، مثله النادي وتطلق على أهل المجلس. حليلته: زوجته.

(3) هو مسعود بن خرشة أحد بني حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، شاعر إسلامي بدويّ من لصوص بني تميم. (الأغاني 176/21).

(4) الأغاني، 176/21.

(5) يقمصن: يقلبن ويغمسن.



إذا قلتُ: قد حان القفولُ يصـــدُّنا سليمانُ عـــن أهوائنـــا وســـعيدُ[1]

والواقع أن إقصاء السلطان يعني فيما يعني، الفقر، وانحطـــاط القيمـــة، وانبتـــات الروابط، ما يجعل المرء عرضة للإبعاد من الجميع. يقول قيس بن الحدادية، وهو الخليع.. المقصي.. المشرد[2]:

أنـــا الـــذي تخلعُـــه مَواليـــه وكلُّهـــم بعـــد الصـــفاءِ قاليـــه

ثم يصبح هذا المقصي – في النهاية – مقصيا باختياره، حين يفضـــل أن يكـــون كذلك، انطلاقا من رفضه، وتمرده[3]:

إن تُنصفونا يا آل مـــروانَ نقتـــربْ إلـــيكم وإلا فـــاذنوا ببعـــادِ

فإن لنا عـــنكم مَزاحـــاً ومـــرْحلاً بعيسٍ إلى ريحِ الفـــلاةِ صـــوادي[4]

وفي الواقع فالرفض والتمرد ملازمان للإقصاء، وأي ذات حرة ستقبل باهتضـــام حقوقها فيما يخص المشاركة، والمساواة، والتقدير الاجتماعي؟ وإن الإنســـان الســـوي ليتطلع إلى مثل هذه، وحينما لا ينالها بسبب من أقصائه، فإنه يصـــبح رافضـــا حـــتى للنصيحة، كعبيد الله الجعفي حين قال[5]:

أُهانُ وأُقصى ثُمَّ تُرجـــى نَصـــيحَتي وَأَيُّ امرِئٍ يُؤتي نَصيحَتَهُ قَســـرا[6]

وبهذا فالإقصاء ممارسة تبدأ من السلطان، ثم تمر بموقف الأهل والأقارب، الـــذي عادة ما يتماهى مع موقف السلطان، ثم انتهاء بموقف المقصي نفسه، حين يتبنى فكـــرة الابتعاد، مثلما فعل الكثيرون من بينهم: الشنفرى، وعمرو بن قميئة[7]، وزهير بن عروة

(1) القفول: الرجوع.

(2) الأغاني، 102/14.

(3) قاله مالك بن الريب. الشعر والشعراء، 354/1.

(4) العيس: الإبل تضرب إلى الصفرة. صوادي: ظمأى.

(5) كتاب الفتوح، 296/6.

(6) القسر: القهر والغلبة.

(7) هو عمرو بن قميئة بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة وهو الحصن بـــن عكابـــة بـــن صعب بن علي بن بكر بن وائل. وقيل هو عمرو بن ذريح بن سعد بن مالك ويكنى أبا كعب وكان في عصر مهلهل بن ربيعة ويقول الشعر وعمر حتى جاوز التسعين. وتزعم بكر بن وائل أنه أول مـــن



المازني[1]، وإن كان مثل هؤلاء عدا الشنفرى، لم يصلوا إلى حالة من التوحش، ولم يكونوا منبوذين من الأساس، إلا أنهم عاشوا حالة إقصاء أو ضيم، قابلوها بموقف الإعراض، والانفصال، والمقاطعة[2].

(3)

يحدث الحرمان عندما تمتلك سلطة ما القدرة على الفصل بين المرء وما يستحق، ثم توظف قدرتها هذه في إجراء الفصل منعا أو إبعادا، وتأسيسا على هذا، فالمحروم هو: المفصول عن قيمته، أو ماله، أو حريته. ويتحدث عدد من المستلبين عن فقرهم، وحرمانهم، كالأحيمر السعدي الذي لا يملك من الدنيا شيئا، وكأن الفقر والبؤس أدركا ميلاده[3]:

تربُ بثٍّ أخا همومٍ كأنَّ الـ ـفقرَ والبؤسَ وافيا ميلادي[4]

وكذا يذكر بكر بن النطاح أنه محروم من الغنى، على الرغم من كونه يسعى ويجتهد[5]:

كفى حزناً أنَّ الغنى متعذرٌ علي وأنِّي بالمكارم مغرمُ

قال الشعر وقصد القصيد، وكان امرؤ القيس بن حجر استصحبه لما شخص إلى قيصر يستمده على بني أسد فمات في سفره ذلك؛ فسمته بكر عمراً الضائع. وكان قد ترك قبيلته منكرا عليهم بعض الضيم، ومستجيرا بأحد ملوك الحيرة. (معجم الشعراء 18، والأغاني 100/18، ونشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب 626/2، وتاريخ ابن خلدون 436/2، وديوان عمرو بن قميئة 24 وما بعدها).

(1) هو زهير بن عروة بن جلهمة بن حجر بن خزاعيّ. شاعر جاهليّ. وكان من أشراف بني مازن وأشدّائهم وفرسانهم وشعرائهم، فغاضب قومه في شيء ذمه منهم، وفارقهم إلى غيرهم من بني تميم، فلحقه فيهم ضيم، وأراد الرجوع إلى عشيرته، فأبت نفسه ذلك عليه (الأغاني 189/22 وما بعدها).

(2) انظر: الإنسان في الشعر الجاهلي، 85 وما بعدها.

(3) الحماسة البصرية، 1552/4.

(4) الترب: المماثل في السن، وأكثر استعماله في النساء.

(5) المجموع اللفيف، محمد بن محمد بن هبة الله الحسيني الأفطسي (ت بعد 515)، تحقيق: الدكتور يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1425، 224.



**فو الله ما قصَّــرتُ في نيــلِ غايــةٍ		ولكـــنَّني أســـعى إليهـــا فـــأُحْرَمُ**

ولئن كان الحرمان من المال قاسيا، فإن حرمان المستلب من حقوقه الإنسانية، هو أعظم الحرمان، وليس هنالك أبشع مما ذكره مالك بن حريم الهمداني عن عبدهم، الذي يخلعون نعله؛ ليسلك بخيلهم الأماكن السهلة، رفقا بحوافرها، ثم يعدونـــه بـــالركوب، فيطلع الصبح ولما يركب، فتصبح أصابع رجليه ترعف بالدماء، ثم يظل كذلك أبـــدا. ويال مأساته! إنه المحروم.. المقصي.. المستعبد، لأجل مصالحهم، بل لأجل دوابهم، دون مراعاة لمشاعره، وإنسانيته[1]:

**ونخلعُ نعلَ العبدِ من ســوءِ قــوْدِه		لكيما يكونُ العبدُ للسهلِ أضرعا[2]**

**وقـــد وعـــدوهُ عُقبـــةً ليناهـــا		فما نالها حتى رأى الصبحَ أدْرعـــا[3]**

**وأكَّل عَقْبيه القصـــيمُ وأصـــبحتْ		أصابعُ رجْليـــه رواعـــفَ دُمَّعـــا[4]**

ويطالعنا عبيد الله الجعفي بموقف متمرد، حيث يقابل حرمانه بتهديـــد ضـــمني، تاركا المعنى مفتوحا ليحتمل كل فعل يمكن أن يفعله لحظة نفاد صبره[5]:

مَـــتى تَســـأَلوني مـــا عَلَـــيّ وَتَمنَعـــوا الـــــ

لَذي لِيَ لَـــم أَســـطِعْ عَلـــى ذَلِكُـــم صَـــبرا

وهكذا فقد ألجأت الحاجةُ للوحدة أبناءَ القبيلة إلى تصنيف الأفراد، ومن ثم استبعاد من لم يكن منتميا بالنسب إلى القبيلة، وهذا الاستبعاد أدى من جهة إلى تعزيز الوحـــدة القبلية، وتسبب من جهة أخرى في حرمان المستبعدين مـــن المشـــاركة الاجتماعيـــة، والمساواة، ففقدوا القيمة، والمال، والحرية، ثم أصبحوا تبعا، ثم صار هـــذا الاســـتلاب ثقافة، وفعلا، تمارسه الطبقات الاجتماعية العليا، من أجل الحصـــول علـــى الجـــاه، والسلطة، والمال، والجنس، والقوة.

---

(1) الوحشيات، 23.

(2) أضرع: أدنى أو أميل.

(3) العقبة: النوبة في الركوب. الأدرع: ما فيه بياض وسواد

(4) عقبيه: مؤخرة قدميه. القصيم: نبت.

(5) كتاب الفتوح، 296/6.



والسلب لا يمثل مشكلة عندما يكون فاعله الطبيعة، وإنما يكمن الإشـــكال في أن يكون ممارسة عاقلة منعكسة عن حالة التضاد الاجتماعي، والجدير بالذكر أنه مثلمـــا انبنى التضاد الطبيعي على حالة من السلب، انبنى كذلك التضاد الاجتماعي على حالـــة من الاستلاب، والظلم، والاهتضام.



المناهضة

(1)

لابد للمناهض من وعي، يمكنه أولا: من رفض ما يمارس عليه مـــن اســـتلاب، وإذلال، وثانيا: من التمرد على كل شيء، بما في ذلك ذاته، والمجتمع، والعالم، وثالثـــا: من مجابهة المحاولات التي تسعى لاحتوائه وثنيه، وعليه فالمناهضة: تغيير يتم علـــى نهـــج مدمر للأنساق المستبدة. والعناصر التي يمكن قراءتها في إطار هذا المفهوم هي: الـــوعي، والرفض، والتمرد، والعنف.

أما الوعي فيتطلب ابتداء العلم بالحقائق المتعلقة بالذات والموضوع، ثم الـــتفكير في هذه الحقائق على نحو من التوظيف والاستثمار، ولعل أولى ثمار الـــوعي إدراك المعـــنى العميق للاستلاب. يقول القتال الكلابـــي، وقد أدرك أن الشر - كل الشـــر - إنمـــا يكمن في أن يعيش الإنسان ذليلا[1]:

فما الشرُّ كل الشرِّ لا خـــيرَ بعـــده ... على النـــاسِ إلا أن تـــذلَّ رقابُهـــا

ومن الوعي كذلك معرفة أسباب الاستلاب، وأسباب التحرر من هذا الاستلاب، أما الأولى فيكاد يرجعها عبيد الله الجعفي إلى السلطان، الذي هو وراء كـــل مظلمـــة وغش[2]:

لقدْ رابَني من مُصْـــعَبٍ أن مُصْـــعَباً ... أرى كلَّ ذي غشٍ لنا هو صـــاحبُه

---

(1) ديوان القتال الكلابـــي، 33.

(2) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733هـــ)، تحقيـــق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1424هـــ، 44/21.



وأما الثانية أي أسباب التحرر من الاستلاب، فيراها المرار الفقعسي[1] في الفتك الذي حتما لا يكون بالأصحاب الضعفاء، ولكن بالأمر المفاجئ، الذي ليس له أمارة، ولم تجمع عليه المشاور، أي بالمناهضة حين يركب المرء رأسه، ويطيع نفسه[2]:

هَمَمْتُ بأمرٍ أنْ يكونَ صريمةً زماعاً وأن لا يُدرك المَهْلَ زاجرُ[3]

وما الفتكُ بالأمرِ الذي أنت ناظرٌ به عاجزَ الأصحابِ ممن تُؤامِرُ[4]

وما الفتكُ إلا بالذي ليس قبْله أمارٌ ولم تُجمعْ عليه المشاورُ[5]

ويتميز أصحاب الوعي من المستلبين بالقدرة على تحديد المرجعيات الأكثر جدوى في مجابهة الاستلاب، ولعل تلك المرجعيات هي عقل الفرد، وليس عقل الجماعة، يقول القتال الكلابي[6]:

*** وأتبعُ عقليَ ما هَدَى ليَ أولُ ***

ويتميز جحدر المحرزي[7] بوعي مستقبلي، كما أن العقل وحده هو قائد زمامه، وليس أهل الضعف والهوان[8]:

---

(1) هو المرّار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نضلة بن الأشيم بن جحوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار. وأمّه بنت مروان بن منقذ، وكان المرّار قصيرا مفرط القصر ضئيل الجسم، وكان لصا وشاعرا مشهورا من شعراء الدولة الأموية، وَقد أدْرك الدولة العبّاسيّة. (الأغاني 246/10، ومعجم الشعراء 396، وخزانة الأدب للبغدادي 252/7).

(2) الحماسة لأبي عبادة الوليد بن البحتري (ت 248هـ)، تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم حور وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث – أبو ظبي، 1428هـ، 46.

(3) الصريمة: العزيمة على الشيء وقطع الأمر. الزماع: المضاء في الأمر والعزم عليه.

(4) المؤامرة: أن يأمر القوم بعضهم بعضا.

(5) الفتك: القتل مجاهرة. الأمار: الوقت والعلامة.

(6) ديوان القتال الكلابي، 77.

(7) هو جحدر بن معاوية بن جعدة العكلي. وكان من اللصوص من بني محرز بطن من عكل، غلب على أهل حجر بالبحرين، وأمسك به والي اليمامة وأرسله للحجاج بن يوسف، فأوثقه إلى أسد، فقتل الأسد، فعفى عنه الحجاج ووصله. (منتهى الطلب من أشعار العرب 263/3، وخزانة الأدب للبغدادي 463/7).

(8) التذكرة الحمدونية، 267/1.



إذا الأمرُ ولَّى فاتعظْ مــن طِلابــه　　　بعقلك واطلبْ سيبَ آخرَ مُقْبِــلِ(1)

فإنكَ لا تدري إذا كنــتَ راجيــاً　　　أفي الريثِ نُجْحُ الأمرِ أم في التَّعَجُّــلِ

ولا تمشِ في الحربِ الضَّراءِ ولا تُطِعْ　　　ذوي الضَّعفِ عند المأزقِ المُتَحَفِّلِ(2)

ولا شك أن الواعي يعرف الوسائل المعينة في مواجهة الاستلاب، فعبيد الله الجعفي يدرك أن السيف، والرمح، والجواد، من الأدوات التي تدني الإنسان مما يؤمل(3):

إذا كنتَ ذا رمحٍ وسيفٍ مصــممٍ　　　على سابحٍ أدنــاكَ ممــا تُؤَمِّــلُ(4)

كما أن عمرو بن براقة يعي تماما ما الذي يتطلبه الأمر، لكي يتخلص المرء مــن حيثيات استلابه(5):

متى تَجْمَع القلبَ الــذكيَّ وصــارماً　　　وأنفــاً أبيــاً تَجْتَنِبْــك المظــالمُ

ومثله عروة بن الورد إذ يملك عددا آخر من الوسائل والأدوات(6):

لسانٌ وســيفٌ صــارمٌ وحفيظــةٌ　　　ورأيٌ لآراءِ الرجــالِ صَــرُوعُ(7)

ويتميز الواعون بمعرفة الكيفية التي يتم بها الاستلاب، وبالكيفية التي يتم بها تجــاوز هذا الاستلاب، أما الأولى فيكاد يحصرها مالك بن الريب في الممارسات الملتوية الــتي يفعلها السلطان(8):

أحقاً على السلطانِ أمَّا الــذي لــه　　　فيُعْطَى وأمَّــا مــا يُــرادُ فيَمْنَــعُ

وأما الثانية أي الكيفيات التي يتم بها تجاوز الاستلاب، فيكاد يجملها تأبط شرا في براعة الاحتيال، وفي وضوح الرؤية، التي من شأنها أن تحدد للمــرء في أزماتــه أنجــح

---

(1) السيب: العطاء والفضل.

(2) الضراء: ما تواريت فيه من شجر خاصة.

(3) الحماسة الشجرية، ابن الشجري (هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني، ت 542هـــ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة – دمشق، 1970م، 107.

(4) السابح: الحصان.

(5) الوحشيات، 32.

(6) ديوان عروة بن الورد، 96.

(7) الحفيظة: الحمية.

(8) الأغاني، 204/22.



التدابير، وأن تقوده من ثم إلى بر الأمان[1]:

إِذا المَرءُ لَم يَحتَل وقَد جَـــدَّ جَـــدُّهُ   أَضاعَ وقاسى أَمـــرُهُ وَهـــوَ مُـــدبِرُ

ولكنْ أَخو الحَزمِ الَّذي لَيسَ نـــازِلاً   بِهِ الأَمرُ إلا وهـــوَ لِلأَمـــرِ مُبصِـــرُ

والواعون يعرفون جيدا الإمكانات الذاتية، والموضـــوعية؛ لإيقـــاف عمليـــات الاستلاب، لذلك هم أبعد شيء عن الهزيمة، لطول ما قارعوا الدهر، وجربوا، وبرعـــوا في تحويل الأمور، وعرفوا المنافذ، يقول تأبط شرا[2]:

فذاكَ قريعُ الدهرِ ما عـــاشَ حُـــوَّلٌ   إذا سُدَّ منه مَنْخَرٌ جـــاشَ مَنْخَـــرُ[3]

كما أن خفاف بن ندبة يمتلك القدرة على تصريف الأمر من حال إلى حـــال[4] وتأسيسا على ذلك فالواعون يعرفون ما يجب أن يكون عليه المنـــاهض؛ إزاء واقعـــه السالب، ويعلمون كذلك أن الالتزام بنهج مثالي، في واقع غير مثالي، لا يجدي البتة، لذا يقول عنترة بن شداد[5]:

وإِذا بُليـــتَ بِظـــالِمٍ كُـــن ظالِمـــاً   وَإِذا لَقيتَ ذَوي الجَهالَـــةِ فَـــاجهَلي

ويقول مالك بن حريم الهمداني منحازا لمعنى أنه لابد من تنحيـــة الحلـــم جانبـــا، والتوسل بالجهل مع الجهال، لدفع المظالم[6]:

ولنْ يلبثَ الجُهَّـــالُ أنْ يتَهَضَّـــمُوا   أخا الحلمِ ما لم يَسْـــتَعِن بِجَهُـــولِ

وكذا يصل إلى هذه النتيجة عنترة بن شداد[7]:

---

(1) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 33.

(2) السابق، 33.

(3) قريع الدهر: المجرب للأمور. الحُوَّل: البصير بتحويل الأمور. إذا سد منه منخر جاش منخر كنايـــة عن القدرة على الخلاص من الشدة.

(4) قال خفاف بن ندبة:

إني صبور على ما ناب معترف   أصرف الأمر من حال إلى حال

منتهى الطلب من أشعار العرب، 136/1.

(5) ديوان عنترة، 333.

(6) الحماسة البصرية، 881/2.

(7) ديوان عنترة، 186.





حلِمتُ فما عــرفتُم حــقَّ حِلمــي   ولا ذكــرتْ عشــيرتُكم وِدادي

سأجهلُ بعد هــذا الحِلــمِ حــتى   أُريــقَ دمَ الحواضــرِ والبَــوادي

(2)

يقتضي الرفض وجود أمر بلغ حدا لا يطاق، فيتخذ الرافض قــرارا بإيقافــه، ثم يشرع في تنفيذ قراره؛ عن طريق قول: "لا"[1]. وتأسيسا على هذا فالرفض أن تقــول: "لا" منعا أو امتناعا. ويحدث الرفض نتيجة لعدم القدرة على تحمل الشعور بالقهر، ولئن كان الرفض تقابله السلطة بالاستنكار، فإنه في واقع الرافضين يُعدُ كسرا لديمومة الظلم، والتمادي فيه، وتغييرا لطرق الاستجابة، حين يأخذ الرافض وضع الهجوم، بــدلا مــن وضع الطأطأة والخضوع، ويشمل الرفض عددا من الأشياء، لم يقبلــها الرافضــون، فأعلنوا إما الامتناع عن فعلها، أو منع أن تُفعل ضدهم، وقد احتملت لفظــة "الإبــاء" جميع أشكال الرفض التي مارسوها، فتكررت كثيرا في شعرهم، ومن الأشــياء الــتي رفضوها "الظلم" قال حريث بن عناب الطائي[2]:

ســـتمنع مُـــرَّى والشـــموسُ أخاهمـــا

إذا حكـــمَ الســـلطانُ حُكمـــاً يُضَـــاجِمُه[3]

ورفضوا كذلك الظلامة، وهي "مَظْلمتك التي تَطْلُبها عند الظّالم"[4] قال عبيد الله الجعفي[5]:

وقِـــدماً أَبَينـــا أَن نُقِـــرَّ ظُلامَـــةً   وَقِدماً رَتَقنا كُلَّ فَتــقٍ مِـــنَ الأَمــرِ

---

(1) انظر: الإنسان المتمرد، ألبير كامو، ترجمة: نهاد رضا، عويدات – بيروت، ط3، 1983م، 18.

(2) الأغاني، 251/14.

(3) مرى والشموس: جبلان في بلاد طيئ. يجاضم: يميل في حكمه.

(4) لسان العرب: "ظلم".

(5) كتاب الفتوح، 305/6.



وقال تأبط شرا في هذا السياق[1]:

*** لقـــد كنـــت أبَّـــاء الظُّلامـــة قَسْـــورا ***

وبإزاء هذا رفضوا ما أسمـــوه اهتضـــاما، فالقتـــال الكلابـــــي "لم يكـــن متهضما"[2] وكذا قال صخر الغي[3]: "إني غير مهتضم"[4] كما أن المرار الفقعسي؛ مُرٌّ إذا ما أراد ذو إحنة هضمه[5] ويرفض ســـعد بـــن ناشـــب[6] دار الهضـــيمة، قائلا[7]:

ولسْـــنا بمحـــتلينَ دارَ هَضِـــيمَةٍ مخافةَ موتٍ إذْ بنا نَبَـــت الـــدارُ[8]

---

(1) قال:

يخفن عليه وهو ينزع نفسه لقد كنت أباء الظلامة قسورا

ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 27.

(2) قال القتال الكلابـــي:

بكف امرئ لم تخدم الحي أمه أخي نجدات لم يكن متهضما

ديوان القتال الكلابـــي، 90.

(3) هو صخر بن عبد اللّه الخيثمي، أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل. ولقب بصخر الغيّ لخلاعته، وشدة بأسه، وكثرة شرّه. وهو من العدائين المشـــهورين في جاهليـــة العرب. (الأغاني 5/23، ونشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب 411/1، وجمـــل مـــن أنســـاب الأشراف للبلاذري 244/11).

(4) قال صخر الغي:

أبا المثلم إني غير مهتضم إذا دعوتُ تميما سالت المُسُلُ

ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة، 1385هـــ، 228/2.

(5) قال المرار الفقعسي:

فإني إذا حُولِيتُ حُلْوٌ مَذاقتي ومُرٌّ إِذَا مَا رامَ ذُو إحْنةٍ هَضْمي

لسان العرب: "حلا".

(6) هو سعد بن ناشب بن معاذ بن جعدة المازني شاعر إسلامي، وقال ابن قتيبة: إنه من بني العنـــبر، وكان أبوه ناشب أعور، وكان من شياطين العرب ومردهم، وهو صاحب يوم الوقيط في الإسلام بين تميم وبكر. (سمط اللآلئ 792/1، والشعر والشعراء 669/2).

(7) التذكرة السعدية في الأشعار العربية، محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطابع النعمان – النجف، 1391هـــ، 122.

(8) دار الهضيمة: دار المذلة. نَبَتْ: ابتعدت.



وقد رفض الرافضون الضيم، فصخر الغي لا يقبل ضيما يأتي به أحد[1]، كما أن مالك بن الريب يرفض أن يجلس في الدار كالعير راتعا على الضيم[2]، وأما حريث بن عناب الطائي فيصف نفسه بـ "أني عند ضيمي أروع"[3].

ومثلما رفض الرافضون الظلم بأشكاله المختلفة، رفضوا كذلك القسر والإجبار، واعتبروها شكلا من الإذلال، الذي يهبط بقيمة الإنسان إلى أسفل السافلين، ومن هنا فالقتال الكلابي يدنو إلى المعروف ما استدنيته، فإذا يُقاد معاسرا لم ينقد[4]، وعبيد الله الجعفي له نفس "لا تذل على القسر"[5]، كما أن مالك بن الريب تأبى نفسه "وكانت أبية تقاعَسُ"[6]، وأبو خراش يرى أن الموت "خير من حياة على رغم"[7] وكذا سعد بن ناشب يقول[8]:

---

(1) قال صخر الغي:

فلست عبدا لموعدي ولا   أقبل ضيما يأتي به أحد

ديوان الهذليين، 61/2.

(2) قال مالك بن الريب:

وما أنا كالعير المقيم لأهله   على القيد في بحبوحة الضيم يرتع

التذكرة الحمدونية، 231/5.

(3) قال:

وجعلتني هزؤاً ولو يعرفنني   لعلمن أني عند ضيمي أروع

الأروع: الذي قلبه كالحديد. الأغاني، 251/14.

(4) قال:

أدنو إلى المعروف ما استدنيتني   فإذا أقاد معاسرا لم أنقد

منتهى الطلب من أشعار العرب، 289/3. العسر: ضد اليسر والمعاسر المكره.

(5) قال عبيد الله الجعفي:

فقتّلتهم حتى شفيت بقتلهم   حرارة نفس لا تذلّ على القسر

القسر: القهر. معجم البلدان 322/2

(6) قال مالك بن الريب:

ولكن أبت نفسي وكانت أبية   تقاعس أو ينصاع قوم من الرعب

التقاعس: التراخي والتراجع. الأغاني، 208/22.

(7) قال:

مخافة أن أحيا برغم وذلة   وللموت خير من حياة على رغم

الرُّغْم: الهوان والمذلة. ديوان الهذليين، 128/2.

(8) الحماسة البصرية، 196/1.



وما بـــي على مَنْ لانَ لي مِنْ فَظَاظَةٍ   ولكـــنني فـــظٌّ أبيٌّ علـــى القَسْـــرِ

ومن يرفض الظلم، والظلامة، والاهتضام، والضيم، والقسر، لا شك يرفض الذل، لأنه نتيجة حتمية لتلك الممارسات الغاشمة، وفي الواقع فالإذلال لم يكن ممارسة عابرة، وإنما أصيلة في المجتمعات العربية القديمة، يدعم وجودها تراتب الطبقات الاجتماعيـــة، وعدم سلامة المعايير، وتحيز الأسياد ضد الفئات المستلبة؛ التي لا تملك أن تحدد شـــكل حياتها، ولا حتى قرار مصيرها، من هنا كان الإذلال ممارسة طبيعية في المجتمعات الظالمة، ولئن كان الحال كذلك؛ فإن عددا من المستلبين لم يرضوا بالذل، ومن أولئك عنترة بن شداد، حيث يقول[1]:

أَظُلماً ورُمحي ناصِـــري وحُســـامي   وذلاً وعِـــزّي قائِـــدٌ بِزِمَـــامي

ويقول بنبرة تتضمن الكثير من الرفض[2]:

لا تَســـقِني مـــاءَ الحَيـــاةِ بذِلَّـــةٍ   بَل فَاسقِني بِـــالعِزِّ كَـــأسَ الحَنظَـــلِ

ومثله القتال الكلابـــي صاحب النفس الشرسة، حين يقول[3]:

رَدَدتُ عَلى المَكروهِ نَفساً شَريسَـــةً   إذا وُطِّنَت لَم تَســـتَقِد لِلتَـــذَلُّلِ[4]

وقد كان شعار مالك بن حريم الهمداني أن "قليل الذم غير قليل"[5] لذا امتد رفض الرافضين إلى المكان الذي يتضمن ذلا لهم، فمالك بن الريب يرى أن في الأرض مذهب عن دار المذلة[6]:

---

(1) ديوان عنترة، 358.

(2) السابق، 335.

(3) ديوان القتال الكلابـــي، 75.

(4) وطن نفسه على شيء: حملها عليه فتحملته وذلت له.

(5) قال مالك بن حريم الهمداني:

أجود على العافي وأحذر ذمه   إذا ضن بالمعروف كل بخيل

بذلك أوصاني حريم بن مالك   وأن قليـــل الذم غيـــر قليل

ديوان مالك بن حريم الهمداني، 59.

(6) ديوان مالك بن الريب، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، مستل من "مجلة معهـــد المخطوطـــات العربية"، مجلد 15، ج1، 99.

ففي الأرْضِ عن دارِ المذلةِ مــذْهبٌ وكــلٌّ بِــلادٍ أُوطِنَــتْ كَــبِلادي

ويتخذ المرار الفقعسي الموقف ذاته[1]:

إِذا اعْتَنَفَــتْني بلـــدةٌ لمْ أكــنْ لهــا نسيباً ولمْ تُسددْ علـــيَّ المطــالعُ[2]

كما أن عبيد الله الجعفي يتخذ الموقف ذاته، في إطار مـــن الـــرفض للســـلطان، ولأرضه معا[3]:

فإن بِنتَ عنِّـــي أوْ تُـــرِدْ لي إهانـــةً أجــدْ عنــكَ في الأرضِ العريضـــةِ

فلا تحســبنَّ الأرضَ بابــاً ســـددْته عليَّ ولا المِصْــرين أُمَّـــاً ولا أبَـــا

ومن الأمور التي رفضها المناهضون المصالحة، التي تهدف إلى التهدئـــة أو الإذلال، بل عمدوا إلى خيار آخر، يرونه أعظم فائدة، وأجدى نفعا[5]:

إني لَعمْـــرُ أبـــيهمْ لا أُصَـــالحهم حتى يُصَالح راعي الثَّلَّةِ الـــذيبُ[6]

أو تنْجلي الخيلُ عنْ قتلى مصـــرَّعةٍ كأنها خشبٌ بالقـــاعِ مقْطـــوبُ[7]

ويقول عمرو بن براقة في هذا المعنى[8]:

فَلا صُلحَ حَتّى تُقدَعَ الخَيلُ بِالقَنـــا وَتُضرَبَ بِالبيضِ الخِفافِ الجَماجِمُ[9]

كما أن عبيد الله الجعفي، يختار الخيار ذاتـــه، إذ يـــرفض الصـــلح، ومحـــاولات الاستمالة، عامدا إلى الخيار الحربـــي[10]:

---

(1) كتاب الجيم، أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (ت ما بين 205هـــ و220هـــ)، تحقيـــق عبـــد العليم الطحاوي، مراجعة الدكتور محمد مهدي علام، الهيئة العامة لشؤون المطـــابع الأميريـــة – القاهرة، 1395هـــ، 281/2.

(2) اعتنفتني: ظلمتني.

(3) التذكرة الحمدونية، 119/8.

(4) بِنْتَ: ابتعدت.

(5) ديوان القتال الكلابـــي، 32.

(6) الثلة: جماعة الغنم.

(7) المقطوب: المقطوع.

(8) الوحشيات، 32.

(9) القدع: الكف والمنع.

(10) كتاب الفتوح، 303/6.

فَإِنَّكَ لَو أَعطَيــتَني خــرج فــارِسٍ وَأَرضاً سواء كُلُّها وقُرى الجَبَــلِ[1]
وجدكَ لَم أَقبَل ولَــم آتِ خطــةً تَسُرُّكَ فَإِيأَسْ مِن رُجوعي لَكَ الهَبَل[2]
بَل الدَّهرُ أَو تَأتيكَ خَيــلٌ عَــوابِس شَوازِبَ قُبٌّ تَحمِلُ البيضَ والأَسَل[3]

ومثلما رفضوا الظلم، والذل، والصلح، رفضوا كذلك الأمن؛ حين يكون مساومة على الحقوق، وطريقا إلى الإذلال، قال عمرو بن براقة[4]:

* وَلا أَمنَ حَتّى تَغشِــمَ الحَــربُ جَهــرَةً[5] *

وأما الشنفرى فيرفض حتى أن يقبروه، ذلك أنه إن لم ينل حقه حيا، فلا حاجة له به ميتا "فلا تقبروني، إن قبري محرم عليكم"[6] ولا عجب أن يكون هذا هو موقفه، فقد عاش حياته "أبــي لما يُأْبى"[7] رافضا الإذلال، غاضبا لذلك، و"كذلك يأبى المغضــبون القماقم"[8]، ويتكرر مثل هذا الرفض لدى عنترة بن شداد، الذي لم يــرد أن تكــون ميتته كميتة النماذج؛ التي تنوح عليها النوائح[9]:

---

(1) الخرْج: الغلة.
(2) لك الهبل: لك الثكل، أي ثكلتك أمك.
(3) شوازب: جمع شازب وهي الضامرة. قُب: أي ناشفة لشدة الظمأ. الأسل: نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا أوراق، والمقصود الرماح.
(4) منتهى الطلب من أشعار العرب، 202/4.
(5) الغشم: شدة الظلم.
(6) قال:

فلا تقبروني إن قبري محرم عليكم ولكن أبشري أم عامر

ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 51.
(7) قال الشنفرى:

أبــي لما يُأبى سريع مباءتي إلى كل نفس تنتحي في مسرتي

ديوان الشنفرى، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربــي – بــيروت، ط2، 1417هـــ، 38.
(8) قال الحارث بن ظالم المري:

شفيت غليل الصدر منه بضربة كذلك يأبى المغضبون القماقم

الحارث بن ظالم المري، هو شاعر جاهلي ضرب المثل بفتكه فَقيل: أفتك من الْحَارِث بن ظَالِم.
القماقم: جمع قمقام وهو السيد كثير الخير واسع الفضل. الأغاني 72/11، وخزانة الأدب للبغدادي 81/7.
(9) ديوان عنترة، 181.



فيا ربِّ لا تجعلْ حياتي مذمةً   ولا مَوْتتي بين النساءِ النوائحِ
ولكن قتيلاً يدرجُ الطيرُ حولَه   وتشْربُ غربانُ الفَلا من جَوانحي

(3)

والتمرد حالة أخرى بإزاء الرفض تمتاز بها المناهضة، والمتمردون يرفضون واقع الاستلاب، ويتبنون الأفكار، والممارسات المخالفة للسائد، والمنتهكة للثوابت والمقدسات، على نحو يضع الذات في موقع الخطر، وتأسيسا على هذا فالتمرد: فعل موسوم بالمخالفة والمخاطرة والانتهاك، ويأتي عمليا بعد الرفض؛ لترجمته إلى ممارسات، يعلن من خلالها المتمرد الخروج على السواد الأعظم باتجاه المختلف، ومن الأشياء التي تمردوا عليها السلطة، ممثلة في السيد، والقبيلة، فعياش الضبي[1] لولا أنه استأمن خليلا فخانه لم يقدر عليه أحد بما فيهم السادة الأمراء[2]:

فلوْلا خليلٌ خانَني وأَمِنْتُهُ   وجدِّكَ لمْ يَقْدِرْ عليَّ أميرُ

ومالك بن الريب يخرج على السلطان ويتهمه بالاستبداد، حيث الذي له يريده، وما لغيره يمنعه[3] ويتهم جحدر العكلي الحجاج بن يوسف الثقفي، بالظلم لمن كان بريئا، وبالتجاوز عمن كان مجرما، ومن ثم فقد أصبح جحدر[4]:

يحاذرُ صوْلَةَ الحجَّاجِ ظُلْمَاً   وما الحجَّاجُ ظلاَّماً لجانِ

وأما عبيد الله الجعفي فقد خرج على المختار الثقفي، ومصعب بن الزبير، وعلى عامله يزيد بن الحارث، فقاتلهم وانتصر عليهم، ثم قال[5]:

---

(1) هو شاعر لص، لا يعرف من أخباره إلا القليل، وله ذكر في معجم البلدان، وقال المرزباني: قطعت يده ورجله وحبس. (معجم الشعراء 166، ومعجم البلدان 496/2)

(2) معجم البلدان، 496/2.

(3) قال:

أحقا على السلطان أما الذي له   فيُعطى وأما ما يُراد فيمنع

ديوان مالك بن الريب، 79.

(4) منتهى الطلب من أشعار العرب، 271/3.

(5) تاريخ الطبري، 135.



أكـــرُّ علـــيهم مُعلَمـــا وتـــراهمُ كمِعزى تحَنَّى خشيةَ الذئب بالصخر[1]

ومثلما خرج المتمردون على السلاطين، خرجوا كذلك على قبائلهم، إما بالحرب والغارات كما فعل الشنفرى، وقيس بن الحدادية، وغيرهم، وإما بالهجاء، على نحو مـــا فعل السمهري العكلي، حين هجا قومه قائلا[2]:

ألا ليْتَني منْ غـــيرِ عُكْـــلٍ قبـــيلتي ولم أدْرِ ما شُـــبَّان عُكْـــلٍ وشِـــيبُها

قُبَيِّلَـــةٌ لا يقـــرعُ البـــابَ وفـــدُها بخيرٍ ولا يـــأتي الســـدادَ خطيبُهـــا

وعلى نحو ما فعل القتال الكلابـــي حين هجا قومه[3]:

ولكنما قـــومي قُمَاشَـــةُ حاطـــبٍ يجمِّعُها بـــالكفِّ والليـــلُ مظلـــمُ

وعلى نحو ما فعل الخطيم المحرزي عندما قال[4]:

بني مِحْرزٍ هل فـــيكم ابـــن حميـــةٍ يقومُ ولو كان القيـــامُ علـــى جمْـــرِ

و لم يقتصر التمرد على السلطة ممثلة في السيد، والقبيلـــة، وإنمـــا تجاوزهـــا، ليصبح تمردا وجوديا، يطول المكان، والزمان، والذات من حيث هـــي حضـــور في مكانها وزمانها، ويتجلى التمرد على المكان تارة في "القطع" كما في قول: الشنفرى: "وخرق كظهر الترس قفر قطعته"[5] وتأبط شرا: "وواد كجوف العير قفر قطعته"[6]

---

(1) المعزى: قطيع الغنم.

(2) الوحشيات، 222.

(3) ديوان القتال الكلابـــي، 85.

(4) منتهى الطلب من أشعار العرب، 251/3.

(5) قال:

وخرق كضهر الترس قفر قطعته بعاملتين ظهره ليس يُعمل

الخرق: الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح. ضهر الترس: أرض مستوية استواء ظهر الترس. قفر: ليس فيها أحد أي خالية. بعاملتين: يريد بهما رجليه. ليس يُعمل: غير مسلوك. ديوان الشـــنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 68.

(6) قال:

وواد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوي كالخليع المعيل

العير: الحمار الوحشي. الخليع: المقامر. المعيل: كثير العيال. ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 85.



وعروة بن الورد: "وغبراء مخشي رداها مخوفة... قطعت بها..."[(1)] وتارة ثانية في "الاعتساف" كما في قول: المرار الفقعسي: "تعسفت الفلاة الطلمسا"[(2)] وتأبط شرا: "وشعب... تعسفته بالليل"[(3)] والشنفرى: "وواد بعيد العمق... تعسفت منه..."[(4)] وتارة ثالثة يحصل التمرد على المكان من خلال "الاجتياز" كما في قول: طهمان بن عمرو الكلابي[(5)]: "وتنوفة تجري النعاج بعرضها

---

(1) قال:

وغبراء مخشي رداها مخوفة أخوها بأساب المنايا مغرر
قطعت بها شك الخلاج و لم أقل لخيابة، هيابة، كيف تأمر؟

غبراء: أي صحراء مظلمة ليست بمسفرة الطريق.
شك الخلاج: ما خالجني وشككني. الخيابة الهيابة: الجبان.
ديوان عروة بن الورد، 77.

(2) قال:

لَقَدْ تَعسَّفتُ الفَلاة الطِّلمِسا يسِير فِيهَا القومُ خِمْساً أَمْلَسا

الطلمس: الأَرض التِي لَيسَ بِهَا مَنارٌ ولا عَلَم.
لسان العرب، "طلمس".

(3) قال:

وشعب كشل الثوب شكس طريقه مجامع صُوحيه نطافٌ مَخاصر
تعسفته بالليل لم يهدني له دليل و لم يحسن لِي النعت خابر

الشعب: الطريق في الجبل. شل الثوب: خياطته. شكس: ضيق وعر. المجامع: ما اجتمع من الرمل. الصوحان: وجها الجبل القائمان وحائطا الوادي والشعب. نطاف مخاصر: قليلة صغيرة. التعسف: السير على غير علم ولا هداية ولا أثر.
تأبط شرا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1404 هـ، 94 - 95.

(4) قال:

وواد بعيد العمق ضنك جماعه بواطنه للجن والأسد مألف
تعسفت منه بعد ما سقط الندى غماليل يخشى عيلها المتعسف

ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 52 - 53.

(5) هو طهمان بن عمرو بن سلمة بن سكنة بن قريظ بن عبد بن أبي بكر بن كلاب. وعمرو والده هذا كان من الصحابة. كان طهمان من لصوص العرب وفتاكهم، عاش في العصر الأموي، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان. (منتهى الطلب من أشعار العرب 276/3، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر 174/25، ومعجم البلدان 321/2، وسمط اللآلئ 473/1).



جاوزها"[1] وعبيد بن أيوب العنبري: "تراك بلدة إلى جوز أخرى"[2] ويحصل أيضا هذا التمرد بصعود المراقب[3] وورود المشارب المخوفة[4] واجتياب المهامه الموحشة، وهكذا فعلى الرغم من أن تلك الأماكن كانت مخيفة، ومهلكة، فإن المتمردين ذللوا صعابها، وتجاسروا على أهوالها، وانتصروا عليها بالقطع، والاعتساف، والاجتياز.

ومثلما تمردوا على المكان تمردوا على الزمان أيضا، ممثلا في الليـــل والنـــهار، وفي أشعار المتمردين لا نكاد نلمح الدهر، الذي علق عليه الناس إخفاقاهم، وأبرزوه قـــوة جبارة تفني الموجودات، ذلك أنهم – أقصد المتمردين – لم يبالوا بالموت والمصير، والليل والنهار إنما يبرزان في أشعارهم مقهوريْن لا قاهريْن، فالشنفرى يذكر ليلة فيها ما فيهـــا من البرد، والظلمة، والمطر، والجوع، إلا أنه ظفر خلالها بمراده، وحقق انتصاراته، على أحسن ما فكر ودبر[5]:

وليلةِ نحسٍ يصطلي القــوسَ ربُها وأَقْطُعَــه الــلاَّتي بهــا يتنبَّــلُ[6]

---

(1) قال:

وتنوفة تجري النعاج بأرضها جاوزها غلسا بعنس ضامر

التَّنُوفةُ: القَفْرُ مِنَ الأَرض. الغلس: ظلام آخر الليل. العنس: الناقة القوية.

ديوان طهمان بن عمرو الكلابـــي، تحقيق: محمد جبار المعيبد، مطبعة الإرشاد – بغداد، 1968م، 32.

(2) قال:

قليل رقاد العين تراك بلدة إلى جوز أخرى لا تُبن منازله

منتهى الطلب من أشعار العرب، 240/3.

(3) قال الشنفرى:

ومرقبة عنقـــاء يقصر دونهـــا أخو الضروة الرِجْل الحفي المخفف
نعبت إلى أدنى ذراها وقد دنا من الليـــل ملتفُ الحديقة أســـدف

ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 50.

(4) قال الشنفرى:

وإنك لو تدرين أن رب مشرب مخوف كداء البطن أو هو أخوف
وردت بمأثـــور يمـــان وضـــالة تخيرتها ممـــا أريـــش وأرصـــف

السابق، 52.

(5) السابق، 67.

(6) النحس: ضد السعد وهنا بمعنى البرد. أقطعه: جمع قطع وهو السهم القصير العريض النصل. يتنبل: يختار لرميه.



دعستُ على غطشٍ وبغشٍ وصُحْبتي سعارٌ وإرزيــزٌ ووجــرٌ وأفكُــلُ[1]

فأيمــتُ نســواناً وأيتمــتُ إلْــدة وعدتُ كما أبدأتُ والليل أليــلُ[2]

وإذا كان الشنفرى قد تمرد على تلك الليلة، فقهر كل ظروفها، فإنه كذلك يتمرد على النهار، غير مبال بما فيه من حرارة، ناصبا له وجهه، ولا ستر على جسده الناحـل إلا البرود الرقيقة[3]:

ويومٌ من الشعرى يــذوبُ لُوابــه أفاعيــهِ في رمضَــائِه تتملْمَــلُ[4]

نصبتُ له وجْهي ولا كِــنَّ دُونــه ولا سترَ إلا الأتْحَمِــيّ المرعْبَــلُ[5]

وكذلك يفعل عبيد بن أيوب العنبري، غير مبال بحرارة النهار[6]:

ويــومٍ كتنُّــورِ الإمــاءِ سَــجَرْنه حملن عليه الجِذْلَ حــتى تأجَّمــا[7]

رميتُ بنفسي في أجــيجِ سَــمُومه وبالعنسِ حتى جَاشَ منْسِــمُها دمــا

ومثلما تمردوا على المكان، والزمان، تمردوا أيضــا علــى ذواقمــم، فقهــروا جوعها، وأخمدوا رغباقما، وألجؤوها إلى الصبر، كل ذلك في سبيل أن يروضــوها على المكاره، ويردوها مُخطِرة شرسة، وكان الشنفرى من أكثر الــذين أرغمــوا أنفسهم على تحمل الجوع، إذ كان يديم مطاله حتى يميته[8] ويطوي على الخمــص

(1) الغطش: الظلمة. البغش: المطر الخفيف. السعار: حر يجده الإنسان في جوفه من شدة الجوع والبرد. الإزرير: من الارتزاز أي الثبوت يريد أنه يجمد في مكانه من شدة البرد، وإما من الرز وهو صوت أحشائه. الوجر: الخوف. الأفكل الرعدة.

(2) أيم: أي جعلهن أيامى بلا أزواج. أيتم: جعلهم يتامى. إلدة: أولادا. أليل: شديد الظلمة.

(3) السابق، 68.

(4) الشعرى: كوكب يطلع بعد الجوزاء. لوابه: لعابه، ولعاب الشمس أشعتها. التململ: التحرك.

(5) نصبت: أقمت. الكن: الستر. الأتحمي: ضرب من البرود. المرعبل المقطع الرقيق.

(6) لسان العرب: "أجم".

(7) الإماء: الخدم. سجرنه: أحمينه. الجذل: ما عظم من أصول الشجر المقطع. تأجم: اشتد حره.

(8) قال:

أديم مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل

المطال: مأخوذ من المماطلة. أذهل: أنساه وأنشغل عنه. ديوان الشنفرى، إعداد وتقــديم: طــلال حرب، 58.

الحوايا[1] ويغدو طاويا يعارض الريح[2] لا يستفزه إلى الزاد حـــرص[3] وإن كـــان ولابد من الطعام، فإنه ينال منه أيسره[4]:

ويغدو على القوتِ الزَّهيدِ كما غدا أزلُّ تَهَـــاداهُ التَّنَـــائفُ أطْحَـــلُ[5]

ويتفق مع الشنفرى في هذا المسلك طهمان بن عمـــرو الكلابـــــي، الـــذي يصبح طاويا، فتظل عتاق الطير حوله حواني[6] تنتظـــر أن يمـــوت مـــن الجـــوع فتأكله، وكذلك السليك، الذي يضره الجـــوع بالصـــيف فيقـــول: "إِذا قُمـــتُ تَغشاني ظِلالٌ فَأُســـدِفُ"[7] وكـــذا عنتـــرة إذ يقـــول: "ولقـــد أبيـــت علـــى

(1) قال:

وأطوي على الخمص الحوايا كما انطوت خيوطة ماري تغار وتفتل

الخمص: الجوع. الحوايا: جمع الحوية وهي ما تحوي في البطن إذا اجتمع واستدار. الماري: الفاتل. تغار: يُحكم فتلها.

السابق، 58.

(2) قال:

غدا طاويا يعارض الريح هافيا يخوت بأذناب الشعاب ويعسل

طاويا: جائعا. هافيا: مسرعا متمايلا يمينا وشمالا من شدة الجوع. يخوت: ينقض ويختطف. يعسل: يمر في استقامة. السابق، 59.

(3) قال:

وأغدو خميص البطن لا يستفزني إلى الزاد حرص أو فؤاد موكل

خميص البطن: خالي البطن ضامره. يستفزني: يثيرني.

ديوان الشنفرى، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربـــي – بـــيروت، ط2، 1417هـــ، 61.

(4) ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 58.

(5) الأزل: الذئب الأرسح الذي لا إست له. تهاداه: أي تهديه المفازة إلى أخرى. التنائف: الأراضـــي القفار. أطحل: لونه كلون الطحال.

(6) قال:

وأشرب ليلا ثم أصبح طاويا تظل عتاق الطير حولي حوانيا

حواني: أي عواطف. ديوان طهمان بن عمرو الكلابـــي، 53.

(7) قال:

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضربني إذا قمت تغشاني ظلال فأسدف

يسدف: تظلم عيناه من الجوع. الأغاني، 243/20



الطوى"[1] وفي الواقع فبقدر ما كان الجوع حالة اضطرار، كان شكلا من أشكال الترويض – كما أسلفت – قال القتال الكلابـــي[2]:

إذا جاعَ لم يفــرحْ بأكلـــةِ ســـاعةٍ ولم يبتئسْ من فقدِها وهو ساغِبُ[3]

وأبو خراش يقترب من هذا المعنى في قوله[4]:

وإنّي لأثوي الجوعَ حَتّــى يَمَلَّــني فأحيا ولَــم تــدنسْ ثِيابـــي ولا
أردُّ شُجاعَ الــبطنِ قــد تعلمينــه وأوثرُ غيري من عيالكِ بــالطُّعم[6]

(4)

المخالفة حالة أصيلة في ظاهرة التمرد، يُعلن من خلالها الفرد مفارقة الجماعة، على نحو من الإيمان، والكفر، وتحدُث مخالفة القيم السائدة – عمليا – بمقارفة فعل، أو فكر، موسوم بالجدة، وعند تأمل المخالفات التي صدرت عن المتمردين في المجتمعات العربيـــة القديمة، يبرز عدد منها يفوق الحصر، وقد كان بعضها يتعلق بقيمة النســـب، غـــير أن الأنساب الصريحة لم يجرؤ أحد على تبني فكرة عدم الإيمان بهـــا، ولكـــن الأنســـاب المختلطة؛ هنالك من حاول النظر إليها من زاوية مختلفة، كما فعل الشنفرى حين فخـــر على السلامانية بكرم أصله، وقد سرت الخلطة إليه – في العرف العربـــي – عن طريق أمه وضيعة النسب من جهة أمها[7]:

---

(1) قال:

ولقد أبيت على الطوى وأظَله حتى أنال به كريم المأكل

أظله: أي أظل طاويا. ديوان عنترة، 88.

(2) ديوان القتال الكلابـــي، 29.

(3) ساغب: جائع.

(4) الأغاني، 153/21.

(5) أثوي الجوع: أطيل حبسه عندي حتى يملني. الجرم: الجسد.

(6) الشجاع: الثعبان، ويقصد ألم الجوع.

(7) ديوان الشنفرى، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، 78.



ألا هل أتى فتيـــانُ قـــومي جماعـــة   بما لطمت كــفُّ الفتـــاة هجينَهـــا
ولو علمت قُعسوس أنسابَ والدي   ووالدَها ظلـــت تقاصـــرُ دونهـــا[1]
أليس أبـــي خير الأواس وغيرِهـــا   وأمي ابنة الخَيْريْن لـــو تعلمينـــها[2]

وهنالك مخالفات على مستوى الإيمان بجمال اللون، وقد كان العربـــــي يحـــب الأبيض، ويكره الأسود، وفوق ذلك يعتقد بعلو رتبة الأول، وانحطاط رتبـــة الثـــاني، ولكن الذين امتلؤوا رفضا، واعتراضا على هذه المعايير، خالفوها جهرة، كمـــا فعـــل عنترة بن شداد، حين افتخر بجمال أمه سوداء البشرة، ضامرة الساقين، مفلفلة الشـــعر، مستندا إلى معايير جمال أخرى[3]:

وأنا ابـــن ســـوداءَ الجـــبين كأنهـــا   ضبعٌ ترعـــرعَ في رســـوم المنـــزلِ
الساقُ منـــها مثـــل ســـاقِ نعامـــةٍ   والشَّعْرُ منها مثـــل حـــبِ الفلفـــل
والثغرُ مـــن تحـــت اللثـــامِ كأنـــه   برقٌ تـــلألأ في الظـــلامِ المســـدل

وفي موضع آخر يصف أمه على نحو من الصلابة والقساوة، على خلاف ما كانت تُمتدح به المرأة العربية من الليونة، والنعومة، حيث يشبهها بالحجر الأسود الـــذي لـــه هيبة، وجمال تدركه الأرواح قبل العيون[4]:

عجوزٌ من بـــني حـــامِ بـــن نـــوحٍ   كـــأن جبينـــها حجـــرُ المقـــامِ

ويخالف عنترة أيضا الآخرين في مسألة الإيمـــان بجـــدوى الســـلطة، حيـــث يرى على خلاف الرؤية القبلية؛ أنه ليس من الضروري ألا يثب المـــرء للأمـــر إلا بقائد[5]:

ولَلمَوتُ خَيرٌ لِلفَـــتى مِـــن حَياتِـــهِ   إِذا لَـــم يَثِـــب لِلأَمـــرِ إلا بِقائِـــدِ

---

(1) قعسوس: لقب لابنة سيده.
(2) الأواس: قوم الشنفرى.
(3) ديوان عنترة، 335.
(4) السابق، 105.
(5) السابق، 183.

وكذلك خالف مالك بن الريب الآخرين، إذ لم يؤمن بما تقره السلطة، أو بما فعله آل مروان، حين أرادوا ما لهم على الناس من واجبات، ومنعوا ما للناس عليهم من حقوق[1] وإذاً فمخالفة المتمردين تنال – عادة – من الأفكار، والممارسات، والقيم، والمعايير السائدة، حين تؤمن بغيرها، أو تمارس سواها، مستندة إلى مرجعية ذاتية، بعد أن كان الرجوع في ذلك إلى السلطة الاجتماعية، أو السياسية، أو الدينية، ونحوها، ذلك أن "كل حركة تمرد تستدعي ضمنيا وجود قيمة"[2] وعليه فالمخالفة فعل حر، لا يستطيعه إلا من اتصف بالحرية، والجرأة "ومن يكن عبد قوم لا يخالفهم"[3] كما قال عنترة.

(5)

كل متمرد مخاطر بالضرورة، وتقتضي المخاطرة تبني الأفكار الموسومة بطابع التحدي، وركوب المخاطر والأهوال، أي إنها تنطوي على جانب فكري وآخر عملي، وكلاهما يعملان معا في الذات لدفعها نحو المخاطرة، والملاحظ أن دال "الركوب" له أهمية كبيرة في التعبير عن حالة المخاطرة، فمالك بن الريب "ركاب منسج كل أمر هائل"[4] وتأبط شرا "يعروري ظهور المهالك"[5] وكذا "يركب الهول

---

(1) قال:

أحقا على السلطان أما الذي له   فيُعطَى وأما ما يُراد فيمنع

الأغاني، 204/22.

(2) الإنسان المتمرد، 22.

(3) قال:

ومن يكن عبد قوم لا يخالفهم   إذا جفوه ويسترضي إذا عتبوا

ديوان عنترة، 142.

(4) قال:

فوجدته ثبت الجنان مشيعا   ركاب منسج كل أمر هائل

مشيعا: غير مفرد. الأغاني، 206/22.

(5) قال:

يظل بموماة ويمسي بغيرها   جحيشا ويعروري ظهور المهالك

الموماة: المفازة التي لا ماء فيها. جحيشا: وحيدا. يعروري: يركب. ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 56.



وحيدا"[1] والقتال الكلابـــي "لم تصعب عليه المراكب"[2] وأما تليد الضبـــي فيهوى "ركوب الموارد"[3] كما أن الخطيم المحرزي "ركاب أهوال يُخاف بهـــا الـــردى"[4] وعبيد الله الجعفي يرى رأيا في المخاطرة، يُبرز خلاله أهميتها، ومســـألة الاضـــطرار إليها[5]:

وإنك إنْ لا تركب الهـــولَ لا تنـــلْ   من المال ما يكفي الصديقَ ويفضـــلُ

وإضافة إلى هذا، فصخر الغي "ماض على الهول"[6] ومالك بن الريب "مقدم على غمرات الحادث المتفاقم"[7] وكان القتال الكلابـــي "يُعني بالمصاعب حقبة"[8] وأمـــا

---

(1) قال تأبط شرا:

يركب الهول وحيدا ولا يصْـــ   ـــحبه إلا اليماني الأفل

السابق، 64.

(2) قال القتال الكلابـــي:

إذا هم هما لم ير الليل غمة   عليه و لم تصعب عليه المراكب

الحماسة البصرية، 230/1.

(3) قال تليد الضبـــي:

على أَن فِي نَفسِي إِلَى الْبيض طربةً   وَأَنِّي قد أَهوى ركُوب الْمَوَارِدِ

خزانة الأدب، 350/10.

(4) قال الخطيم المحرزي:

وإني لماضي الهم لو تعلمينه   وركاب أهوال يخاف بها الردى

منتهى الطلب من أشعار العرب، 256/3.

(5) الحماسة الشجرية، 107.

(6) قال صخر الغي:

أبا المثلم إني ذو مبادهة   ماض على الهول مقدام الوغى بطل

ديوان الهذليين، 229/2.

(7) قال مالك بن الريب:

ولكنني مستوحد العزم مقدم   على غمرات الحادث المتفاقم

الأغاني، 207/22.

(8) قال القتال الكلابـــي:

فإمـــا تريني قد تجلل لِمتي   رداع الشباب فاسألي مـــا أمارس

بأني أُعني بالمصاعب حقبة   من الدهر حتى هن حدب حرامس

منتهى الطلب من أشعار العرب، 296/3.

جعفر بن علبة الحارثي[1] فيرى أنه:

لا يكشفُ الغمَّاءَ إلا ابـــنُ حـــرةٍ يرى غمراتِ الموتِ ثم يزورُهـــا[2]

وهكذا تبدو المخاطرة تحتل مكانة مرموقة في حياة المتمردين، ذلك أنها تؤدي دورا مهما، وتضطلع بوظيفة محددة لدى كل واحد منهم، والملاحظ أن وظيفتـــها لـــدى جعفر بن علبة الحارثي "كشف الغماء" ولدى كل من عروة بن الـــورد، وعبيـــد الله الجعفي: إصابة الغنيمة، أي أنها تفرج الهم المطبق على النفس من جهة، وتمنح القيمـــة المادية، ومن ثم الاجتماعية، من جهة أخرى، ولذا فهي ملزمـــة في رأي عـــروة بـــن الورد[3]:

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمـــة إن القعـــود مـــع العيـــال قبـــيح

(6)

يفتقد المتمرد إلى ما يحرص المرء – عادة – على وضعه في حالة سليمة، أي أنه قد سُلِبَ شيئا ثمينا في حياته، فانخفضت من ثم قيمة ما عدا هذا الشيء، ثم أصـــبح بعـــده المتمرد لا يضرب حسابا لشيء، أي لا مبال، وعليه فاللامبالاة، هي: انعدام الشـــعور بقيمة الأشياء، التي قد تحظى بأهمية لدى الغير. والملاحظ أن المتمردين لا يبالون بالدهر، ولا يتفاعلون معه، فتأبط شرا لا يبالي به أسره، أم تقلَّب إلى ما لا يسره[4]:

---

(1) هو جعفر بن علبة بن ربيعة بن عبد يغوث (الشاعر أسير يوم الكلاب) بن معاوية بن صلاءة بـــن المعقّل بن كعب بن الحارث بن كعب. يكنى أبا عارم، وعارم، ابن له ذكره في شعره. وهو مـــن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مقلّ غزل فارس مذكور في قومه، وكان أبوه علبة بن ربيعة شاعرا أيضا، وكان جعفر قتل رجلا من بني عقيل، فأقامت عليه بنو عقيل قسامة أنه قتـــل صاحبهم فقتل به. (الأغاني 31/13 وما بعدها، والمؤتلف والمختلف 22، ومعجم الشـــعراء 210، وصفة جزيرة العرب للهمداني 285، ومعجم البلدان 194/3).

(2) الحماسة البصرية، 143/1

(3) ديوان عروة بن الورد، 43.

(4) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 19.



ولستُ بمفراحٍ إذا الـــدهرُ ســـرَّني ولا جازعٍ مـــن صـــرفِه المتقلِّـــب

وكذلك بالمثل يقول عروة بن الورد: "ولا أنا مما أحدث الدهر جازع"[1]، ومثلما أسقطوا الدهر من حساباتهم؛ أسقطوا أيضا الماضي، والحاضر، والمستقبل، فتأبط شرا لا يبالي بما انقضى "وإذا مضى شيء كأن لم يُفعل"[2] وكذلك عنتـــرة إذا حُمـــل علـــى الكريهة لم يقل "بعد الكريهة ليتني لم أفعل"[3] وكذا حبيب بن عوف العبدي[4] ينـــهى صاحبيه أن يقولا "لشيء فات ما فعلا"[5] وأما أبو الطمحان القيني فلا يبالي بالحاضـــر ممثلا في المتالف، وكل الأماكن في ظنه مليئة بها، وإذاً فما الذي سيتوقاه، ومـــا الـــذي سوف لا يتوقاه، الأمر الذي جعله غير عابئ بحاضره البتة[6]:

فمِنْ رهبـــةٍ آتي المتـــالفَ ســـادراً وأية أرضٍ لـــيس فيهـــا متـــالفُ[7]

---

(1) قال عروة بن الورد:

فلا أنا مما جرت الحرب مشتك ولا أنا مما أحدث الدهر جازع

ديوان عروة بن الورد، 98.

(2) قال تأبط شرا:

فإذا وذلك ليس إلا ذكره وإذا مضى شيء كأن لم يُفعل

ديوان تأبط شرا، طلال حرب، 93.

(3) قال عنترة:

إذا حُملت على الكريهة لم أقل بعد الكريهة ليتني لم أفعل

ديوان عنترة، 90.

(4) حبيب بن عوف العبدي، شاعر مقل من قواد المهلب، لم نعثر له على ترجمة فيما لدينا من كتب، سوى بعض الأخبار القليلة، منها أنه كان فاتكا، فلقي رجلا من أهل الشام قد بعثه زيـــاد ومعـــه ستون ألفا يتّجر بها فسايره، فلما وجد غفلة قتله وأخذ المال.

عيون الأخبار، ابن قتيبة (أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت 276هـــــ)، دار الكتاب العربـــي – بيروت، 175/1.

(5) قال حبيب بن عوف العبدي:

يا صاحبـــي أقلا اللوم والعذلا ولا تقولا لشيء فات ما فُعِلا

عيون الأخبار 175/2.

(6) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، 8/13.

(7) السادر: الذي لا يبالي.



وإذا كان الأمر كذلك فإن مالك بن الريب غير مبال لا بالحاضر – الظرف الحاوي لجرائمه – ولا بالمستقبل؛ ممثلا في العواقب[1]:

وما أنا بالنائي الحفيظة في الوغى ولا المتقي في السلم جر الجرائم

ولا المتأني في العواقب للذي أهمُّ به من فاتكات العزائم

ومثلما أسقطوا الزمان من حسابهم، أسقطوا كذلك حوادثه المهمة، فلا يتفاعلون معها، لا بالفعل، ولا بالمشاعر، والشنفرى واحد من هؤلاء اللامبالين، يقول عن نفسه[2]:

فلا جزعٌ من خَلة متكشِّفٌ ولا مرحٌ تحت الغنى أتخيلُ[3]

وإذا مدح المتوحشون، فإن مما يمدحون به اللامبالاة هذه، ويا سعد من صاحب اللامبالين، يقول عنترة بن شداد[4]:

ولا عاش إلا من يصاحب فتية غطاريف لا يعنيهم النحس والسعد[5]

إذا طولبوا يوماً إلى الغزو شمروا وإن ندبوا يوما إلى غارة جدَّوا

وعلى هذا النهج يسير تأبط شرا الذي من صفاته أنه "قليل التشكي للمهم يصيبه"[6]. وتبعا لذلك لم يكن الموت شيئا يبالون به، يقول الشنفرى: "إذا ما أتتني ميتتي لم أبالها"[7] وكذا السمهري العكلي؛ لا يبالي بالموت فإن نجا نجا "وإن تكن الأخرى

---

(1) السابق، 22، ص 207.

(2) ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 67.

(3) الخلة: الحاجة. المتكثف: الذ يظهر فقره وحاجته للناس. التخيل: من الخيلاء وهو التكبر.

(4) ديوان عنترة، 203.

(5) الغطاريف: جمع غِطريف: وهو السيد الشريف.

(6) قال:

قليل التشكي للمهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك

ديوان تأبط شرا، طلال حرب، 52.

(7) قال:

إذا ما أتتني ميتتي لم أبالها ولم تُذْر خالاتي الدموع وعمتي

ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 39.

فتلك سبيل"[1] كما أن جعفر بن علبة الحارثي لا يفْرق من الموت[2] ومالك بن الريب يراه فلا ينحاش عنه[3] وأما عبيد الله الجعفي فلا يبالي بمن سيموت أولا، إذا ما لاقى عدوا من أعدائه[4]:

إذا القِرْنُ لاقاني وملَّ حياتَه فلستُ أبالي أينا ماتَ أول

أما تأبط شرا فبالإضافة إلى أنه لا يبالي بالموت، نلاحظ سخريته اللاذعة منه، تارة حين لم يقدر عليه الموت وظل أنف منخره رثيم[5]، وتارة أخرى حين نجا من هلاك محقق "والموت خزيان ينظر"[6] وأما عنترة بن شداد فيذهب إلى أبعد من السخرية، حيث إنه إذا ما لقي الموت عمم رأسه بالسيف، مثله مثل غيره من الذين يجندلهم، ويقضي عليهم[7].

---

(1) قال السمعري العكلي:

فإن أنج منها أنج من ذي عظيمة وإن تكن الأخرى فتلك سبيل

الأغاني، 171/21.

(2) قال جعفر بن علبة الحارثي:

فلا تحسبي أني تخشعت بعدكم لشيء ولا أني من الموت أفرق

السابق، 35/13.

(3) قال مالك بن الريب:

أرى الموت لا أنحاش عنه تكرما ولو شئت لم أركب على المركب الصعب

السابق، 208/22.

(4) الحماسة الشجرية، 107.

(5) قال:

نحز رقابهم حتى نزعنا وأنف الموت منخره رثيم

نزعنا: كففنا وامتنعنا. الرثيم من الأنوف: الذي كسر وسال منه الدم. ديوان تأبط شرا، طلال حرب، 103.

(6) قال:

فخالط سهل الأرض لم يكدح الصفا به كدحة والموت خزيان ينظر

السابق، 38.

(7) قال عنترة:

إذا ما لقيت الموت عممت رأسه بسيف على شرب الدما يتجوهر

ديوان عنترة، 240.



وأمر آخر يمكن الوقوف عنده، هو أن المتمردين لم يكونوا يبالون بعدد من الشخصيات الاجتماعية، سواء أكانت ذات خطر، أم لم تكن كذلك، ومن ذلك أنهم لا يبالون بالرجل الحاضر، أو الغائب، فعنترة لا يراعي القائد بوصفه ذاتا حاضرة[1] كما أن فرعان بن الأعرف المري[2] يفتخر بأبنائه الذين لا يراعون بعيدا، ولا يخبؤون طعاما لغائب[3]:

إذا اصْطنعوا لا يخْبأون لغائبٍ　　طعاماً ولا يرعَوْن من كان نائيا

والمتمردون لا يبالون بالرجل المادح، أو الهاجي، فكلاهما غير مهم لديهم، ومن هنا فتأبط شرا يضرب الأعداء "وما ضربه هام العدا ليشجعا"[4] وكما لم يبالوا بالحاضر والغائب، والمادح والهاجي، لم يبالوا كذلك بالإنسان النافع والضار، فالسليك لما أسر أسيرا؛ أطلقه ثم قال[5]:

فإن تكفرْ فإني لا أُبالي　　وإن تشكرْ فإني لستُ أدري

وتأبط شرا لا يهمه كاهن خثعم، كما عادة الناس الذين يرهبون الكهنة، ويجلونهم، بل يسخر منه قائلا: إن أثري الذي طلبته فيه عذاب لكم[6]. وفيما يبدو أن

---

(1) قال عنترة:

وللموت خير للفتى من حياته　　إذا لم يثب للأمر إلا بقائد

السابق، 183.

(2) هو فرعان بن الأعرف بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن مقاعس بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، أحد بني مرة. شاعر لص، يغير على إبل الناس. (المؤتلف 61/1، والإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف 59/7، والشعر والشعراء 644/2).

(3) الشعر والشعراء، 644/2.

(4) قال:

يماصعه كل يشجع قومُه　　وما ضربه هام العدا لِيُشجعا

ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 43.

(5) الأغاني، 247/20.

(6) قال تأبط شرا:

أرى قدمي وقعهما حثيث　　كتحليل الظليم دعا رئاله

أرى بهما عذابا كل يوم　　لخثعم أو بجيلة أو ثمالة

ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 60.



اللامبالاة هذه ناتجة عن أن المتمرد لم يعد يملك شيئا ذا بال، لذا صار كل شيء في تصوره تافها، يقول جعفر بن علبة الحارثي[1]:

أرادُوا ليُثنوني فقلتُ تجنبوا　　طريقي فمالي حاجةٌ من ورائيا

ويصدق هذا الرأي على سعد بن ناشب لما هدموا داره فأعلن عدم مبالاته بأشياء كثيرة منها: الدار، والعواقب، والصاحب، والموت، والمشورة، والمال، والخوف[2]:

سأغسلُ عني العارَ بالسيفِ جالبا　　علي قضاءَ الله ما كان جالبا

وأذهلُ عن داري وأجعلُ هدمَها　　لعرضي من باقي المذمة حاجبا

ويصغرُ في عيني تلادي إذا انثنت　　يميني بإدراك الذي كنتُ طالبا

فإن تهدموا بالغدر داري فإنها　　تراثُ كريم لا يبالي العواقبا

أخي عزماتٍ لا يريد على الذي　　يهمُّ به من مقْطع الأمر صاحبا

فيال رزامٍ رشحوا بي مُقدما　　إلى الموت خوَّاضاً إليه الكتائبا

إذا هُمَّ ألقى بين عينيه عزمَه　　ونكَّبَ عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستَشِرِ في رأيه غير نفسه　　ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

(7)

يتحقق التمرد فيما يتحقق بالانتهاك، ويقتضي الانتهاك وجود أعراف اجتماعية، أو قوانين سياسية، أو مقدسات دينية، يستخف المتمرد بها، أو يلغي وجودها، ليثير غضب من يعليها ويجلها.

وتأسيسا على هذا فالانتهاك: فعل موسوم بالاجتراء على المحرمات. ومنه التطاول على المقدسات، كما فعل الشنفرى حين قتل محرما وسط الحجيج، ثم قال[3]:

---

(1) الأغاني، 32/13.

(2) التذكرة السعدية في الأشعار العربية، 60 – 61.

(3) ديوان الشنفرى، د. إميل بديع يعقوب، 37.

قتلنـــا قتـــيلاً محرمـــاً بملبـــدٍ جمار منى وسط الحجيج المصـــوِّت[1]

وكما فعل أيضا أبو لطيفة العقيلي[2]، حين تجاهل أن من يتوجه إليه بالدعاء إنمـــا هو الله، الذي لا يقبل الجرائم، وكان يفترض أن يطلب منه العون على الخـــير، لا أن يهيئ له أسباب السرقة[3]:

يـــا رب يـــا رب العشـــاء والسَّـــحَرْ

أُقـــدُر لنـــا الليلـــة مـــن خـــير القَـــدَرْ

قطْـــرا وريحـــاً قَـــدْرَ مـــا يعفـــو الأثـــر

ومن المقدسات التي انتهكها المتمردون الأيمان، والمواثيق، ولعل السبب في انتهاكها هو أنها تتعلق على نحو ما بالجهات المستبدة السالبة، وما كان كذلك فإنـــه يـــدخل في حيز الرفض، حتى لو كان في جملة المقدس، من ذلك ما أعلنه الأحيمر الســـعدي مـــن الانتهاكات الصريحة[4]:

إذا حلَّفُـــوني بـــاليمينِ منحـــتُهم يميناً كشِـــق الأتحمـــيِّ الممـــزَّق[5]

وإن حلَّفُونِي بالعتـــاقِ فقـــد درى سحيم غلامي أنـــه غـــير مُعتـــق[6]

وإن حلَّفُـــونِي بـــالطلاقِ رددتُهـــا على خير ما كانت كـــأنْ لم تُطلَّـــق

---

(1) بملبد: إشارة إلى عادة العرب في العصر الجاهلي بدهن شعورهم بشيء من الصمغ للتلبد.

(2) هو أبو لطيفة بن مسلمة العقيليّ، شاعر إسلامي، قتل المندلث وصلبه، فلما بلغ عبد الله بن النعمان قتل المندلث جمع ألفا من حنيفة وغيرها وغزا الفلج، فلما تصافّ الناس انهزم أبو لطيفة بن مسلمة العيلى، وكان ذلك في سنة 126هـــ. (الكامل في التاريخ 492/4، وجمل من أنســـاب الأشـــراف 209/9، ونهاية الأرب في فنون الأدب 306/21، والأغاني 52/24).

(3) مجموعة المعاني، المؤلف مجهول، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيـــل – بـــيروت، ط1، 1412هـــ، 1042/2 – 1043.

(4) كتاب المناقب والمثالب، أبو الوفاء ريحان الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الصالح، دار البشائر – دمشق، ط1، 1420هـــ، 339.

(5) الأتحمي: ضرب من البرود.

(6) العتاق: الحرية خلاف الرق.



وينقُضُ أبو النشناش العقيلي[1] وعودا وعدها لقوم يطالبونه بدين، ليبدو بـــذلك مخادعا، ومخلفا لوعوده[2]:

ومـــا أُواعِـــدهم إلا مخادعـــةً   منِّي ليُفلِتَني نقْضِـــي وإِمْـــراري[3]

وإذا كانت هذه المنتهكات قد اكتسبت قداسة دينية، فإن منتهكات أخرى يمكن اعتبارها محرمات اجتماعية، ولكنها لم تعد كذلك لدى المتمردين، وإنما أصبحت عرضة للمقارفات الآثمة، ومن ذلك ما فعله سحيم عبد بني الحسحاس بأعراض أسياده الـــذين استعبدوه، وسلبوه أعز ما يملك، من القيمة، والحرية، فانتقم منهم في أعراضـــهم شـــر انتقام[4]:

شُدّوا وَثـــاقَ العَبـــدِ لا يُفلِـــتْكُمُ   إنَّ الحَيـــاةَ مِـــنَ المَمـــات قَريـــب

فَلَقَد تَحَدَّرَ مِـــن جَـــبينِ فَتـــاتِكُم   عَرَقٌ عَلى ظَهرِ الفِـــراشِ وطيـــبُ

ويقول بنبرة تحمل غير قليل من العناد[5]:

إِن تَقتُلوني تَقتُلـــوني وَقَـــد جَـــرى   لَها عَـــرَقٌ فَـــوقَ الفِـــراشِ ومـــاءُ

ثم يصر على عناده، وعلى كونه قد فعل ما فعل، معترفا بجرمه، وبانتهاكه أعز ما يملكون[6]:

إِن تَقتُلوني فَقَد أَســـخَنتُ أَعيُـــنَكُم   وَقَد أَتَيـــتُ حَرامـــاً مـــا تَظُنّونـــا

وَقَد ضَمَمتُ إِلى الأَحشاءِ جاريـــةً   عَـــذبٌ مُقَبَّلـــها مِمّـــا تَصـــونونا

ثم فوق ذلك يسرد عليهم ليس حادثة واحدة، وإنما عددا من الحوادث، التي يندى لها جبينهم قبل جبينه[7]:

---

(1) هو شاعر أموي، وأحد لصوص بني تميم، كان يعترض القوافل في شذّاذ من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها. (التذكرة الحمدونية 284/1، الحماسة البصرية 342/1، الأغاني 121/12).

(2) الحماسة البصرية، 1598/4.

(3) النقض: إفساد ما أُبرم. والإمرار: إحكام الشيء.

(4) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، 60.

(5) السابق، 60.

(6) السابق، 59.

(7) السابق، 16.



فَكَم قَد شَــقَقنا مِــن رِداءٍ مُنَيَّــر ومِن بُرقُعٍ عَن طَفلَةٍ غَيرِ عــانِس[1]
إِذا شُقَّ بُردٌ شُــقَّ بِــالبُردِ بُرقُــعٌ دَوَالَيكَ حتَّى كُلُّنا غَــيرُ لابِــس[2]

ولا ينسى أن يلتفت – في اللحظات الأخيرة – إلى واحدة سرها مصيره، ليذكرها بما فعله بها على نحو من التشفي[3]:

فَإِن تضحَكي مِنّي فَيــا رُبَّ لَيلَــةٍ تَرَكتُكِ فيهــا كالقَبــاءِ المُفَــرَّجِ[4]

ولعل وظيفة الانتهاك؛ هي النيل من كرامة المجتمع، عن طريق تدنيس مقدســاته، وتحليل محرماته، واختراق سياجاته؛ من القوانين، والأعراف، والعادات، والتقاليد، الــتي لم تعد محظورة في نظر المتمرد.

(8)

يحدث التناقض عندما يجتمع جوهران، فينفي أحدهما الآخر، وسبب وجود التناقض في واقع المتمردين؛ هو أن المتمرد منفلت من القيم والمعايير، ومرتهن في الوقت ذاتــه لمــا يكتشفه هو من قيم ومعايير جديدة، قد تثبت نجاعتها حينا، وخذلانها له حينا آخر.

ولعل وظيفة التناقض تكمن في أنه يتيح للمتمرد حرية التردد بين حالات متضادة؛ للتكيف مع حال اليسر والعسر، فيما يبقى أصحاب المعايير الثابتــة مــن الطبقــات الاجتماعية المستقرة على حال واحدة من الخير، واللين، والوصل، والحلاوة، في حين أن المتمرد يزيد عليهم بالشرية، والخشونة، والقطيعة، والمرارة.

وهكذا فالتناقض يتيح للمتمرد القدرة على التكيف مع الأوضاع المتضادة، ليصبح قادرا على العيش في أي حال وجد نفسه فيها، وتأسيسا على هذا يمكننا تفسير وجود مكونين متطرفين في البنية السيكولوجية للمتمردين: مكون الرحمة، ومكون العنف.

---

(1) الطفلة: اللينة. العانس: الكبيرة.
(2) دواليك: دولة بعد دولة، أي مازالت تلك مداولتنا.
(3) السابق، 59.
(4) القباء: هو من ملابس الأعاجم. والمفرج: المشقق.



والخير والشر لاشك أنهما مكونان أصيلان في النفس البشرية، والأمر الطبيعي هو ظهور أحدهما وتواري الآخر، وأما أن يكونا كلاهما بارزين في الشخصية، فهذا أمر خارج عن المألوف، ويعطي انطباعا بانعدام القيم والمعايير، فلا المرء حينئذ إلى خير، ولا إلى شر، وإنما متناقض، منفلت، وهكذا يبدو بكر بن النطاح، حين يقول[1]:

تصفُ القِيان إذا خلونَ مجانتي ويصفْنَ للشَّرْب الكرامِ سماحي[2]

وهكذا يبدو القتال الكلابي، حين يصف نفسه بأنه أخو ما يعرفه الناس من الخير، وما ينكروه من الشر[3]:

أخي العُرْفِ والأنْكَارِ يَعْلوكَ وَقْعَةً بأبيضَ سقَّاطٍ وراءَ الضرائب[4]

ومن التناقضات التي تسم المتمردين اللين والخشونة، ولعلها ديدنهم الذي يسلكونه، والذي يمدحون به إن مدحوا، فالسمهري العكلي يمدح أحدهم قائلا[5]:

هو السيف إن لاينْته لانَ مسُّه وغرباه إن خاشنْته خشنان[6]

كما أن عبد الله بن الحجاج[7] يمدح أصحابه بأنهم مترفون، خشنون، في الوقت ذاته[8]:

تراهم في البيوت وهم كُسالى وفي الهيْجا إذا هِيجوا نِشاطُ

(1) الأغاني، 89/19.
(2) القيان: الإماء المغنيات.
(3) ديوان القتال الكلابي، 38.
(4) العرف: كل ما تعرفه النفس وتطمئن إليه. والأنكار: ما تنكره النفس. أبيض: صفة للسيف. سقاط وراء الضرائب: أي يقطع ضرائبه ويسقط خلفها.
(5) أشعار اللصوص وأخبارهم، جمع وتحقيق عبد المعين الملوحي، دار أسامة، 38.
(6) الغرب: حد كل شيء.
(7) هو عبد اللّه بن الحجاج بن محصن بن جندب بن نصر بن عمرو بن عبد غنم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. ويكنى أبا الأقرع. شاعر شجاع من معدودي فرسان مضر ذوي البأس والنّجدة فيهم، وكان فاتكا صعلوكا من صعاليك العرب، وكان متسرعا إلى الفتن. (الأغاني 110/13، وجمل من أنساب الأشراف 149/13).
(8) الأغاني، 119/13



ويصف بكر بن النطاح نفسه قائلا[1]:

يتلقـــى النـــدى بوجـــهٍ حَيِـــيٍّ وصـــدورَ القنـــا بوجـــهٍ وَقـــاحِ

وبالطريقة نفسها يصف تأبط شرا ممدوحه، قائلا[2]:

غيثُ مُزْنٍ غـــامرٍ حيـــثُ يُجـــدي وإذا يسْـــطُو فليـــثٌ أبـــلُّ[3]

مُسْـــبلٌ في الحـــيِّ أحـــوى رِفـــلٌّ وإذا يغـــــزو فسِـــــمع أزلُّ[4]

والمتمردون شجعان – لاشك في ذلك – ويخافون أيضا، أما الأولى فلماختصـــوا به من الشر الظاهر والخشونة، وأما الثانية فلما يجدون أنفسهم فيه من المواقف الخطرة، لذا نجد تأبط شرا على ما يمتلك من الشجاعة إلا أنه لا ينجو نجاءه نقنق ساعة الموت[5] وكذلك عبيد بن أيوب العنبري يصف نفسه بأنه لا يُهال[6]، إلا أنـــه – في الواقـــع – يخاف حد التوهم والوسوسة[7]:

رأيتُ بـــلادَ الله وهـــي عريضـــةٌ على الخائفِ المطرودِ كفَّةُ حابـــلِ[8]

تـــؤدي إليـــه أن كـــلَّ ثنيَّـــة تيممهـــا ترمـــي إليـــه بقاتـــلِ[9]

---

(1) التذكرة السعدية في الأشعار العربية، 209

(2) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 64.

(3) الأبل: المصمم الماضي على وجهه لا يبالي ما لقي.

(4) مسبل: مسبل إزاره ويمدح الرجل بذلك في السلم. الأحوى: من في شفتيه سواد. الرفل: الكـــثير اللحم. السمع: ولد الذئب من الضبع. الأزل: السريع المشي الممسوح العجز.

(5) قال:

فأدبرت لا ينجو نجائي نقنق يبادر فرخيه شمالا وداجنا

تأبط شرا وأخباره، علي ذو الفقار شاكر، 216.

(6) قال عبيد بن أيوب العنبري:

فلمـــا رأت ألا أهـــال وأننـــي وقور إذا طار الجنان المطير

دنت بعد ذاك الروع حتى ألفتها وصافيتها والله بالغيب أخبر

منتهى الطلب من أشعار العرب، 236/3.

(7) الحماسة البصرية، 98/1.

(8) الكفة: حبال الصائد.

(9) الثنية: ما يتثنى في طريق الجبل.



كما أن الخطيم المحرزي يتمتع بشجاعة مفرطة[1]:

ومسعرُ حربٍ كنتُ ممــن أشــبُّها   إذا ما الجبان النكْسُ هاب وعردا[2]

وأزداد في رَغــم العــدو لجاجــة   وأُمكن من رأس العــدو المهنــدا[3]

ومع هذا يُظهر خوفا شديدا، وفَرَقا يكاد ينخلع له قلبُه[4]:

أعذْني عِيــاذا يــا ســليمان إنــني   أتيتكَ لما لم أجِــدْ عنــكَ مقْعــدا

لِتُؤْمِنَني خوف الذي أنــا خــائفٌ   وتُــبْلِغَني ريقــي وتُنظــرني غــدا

ومن تلك التناقضات التي عاشها المتمردون؛ أن الواحد منهم دمث وغليظ في الوقت نفسه، وقد كنُّوا عن ذلك بالحلاوة والمرارة، يقول المرار الفقعسي[5]:

فإني إذا حوليــتُ حلــوٌ مــذاقتي   ومرٌّ إذا ما رامَ ذو إحنــةٍ هضْــمي

ويقول الشنفرى[6]:

وإني لحلــوٌ إن أريــدتْ حــلاوتي   ومرٌ إذا نفس العزوف اســتمرتِ[7]

ويقول تأبط شرا[8]:

ولــــه طعمــــان أرْيٌ وشـــرْيٌ   وكلا الطعمــين قــد ذاق كُــلٌّ[9]

وأما سعد بن ناشب فيتحدث عن حال الرجل الكريم، فيذكر أن الحلاوة والمرارة واقع يعيشه أساسا، ولذا لا غرو أن يكون الكريم على حال من التناقض[10]:

فقلتُ لهــا إن الكــريمَ وإن حــلا   لَيُلفى على حالٍ أمرُّ مــن الصــبر

---

(1) منتهى الطلب من أشعار العرب، 256/3.

(2) النكس: الضعيف البليد. عرد: أحجم وهرب.

(3) اللجاجة: التمادي.

(4) منتهى الطلب من أشعار العرب، 258/3.

(5) لسان العرب، "حلا".

(6) ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 40.

(7) العزوف: المنصرف عن الشيء. استمرت: أي أصبحت أكثر مرارة، ويقصد عداوة.

(8) السابق، 68.

(9) الأري: العسل. الشري: الحنظل.

(10) الحماسة البصرية، 196/1.

مكتبة التنوير

وما دام المتمردون كذلك، إذاً هم أقدر الناس على الوصل والقطيعة في آن، لما امتازوا به من اللين والغلظة، يقول حريث بن عناب الطائي[1]:

يدومُ وُدي لمن دامتْ مودتُه   وأصرفُ النفسَّ أحياناً فتنصرفُ

ويقول القتال الكلابي[2]:

إني لعمر أبيكِ لو تجزينني   وصَّال من وصلَ الحبال صَروم

ويقول سحيم عبد بني الحسحاس في المعنى نفسه[3]:

فإن تُقبلي بالود أُقبِل بمثله   وإن تُدبري أذهب إلى حال باليا

ألم تعلمي أني صَروم مواصِل   إذا لم يكنْ شيءٌ لشيء مواتيا

وبالإضافة إلى هذا هنالك تناقضات أخرى بين خلائق شتى، كامنة في شخصية المتمرد، فبكر بن النطاح له "غضب الملوك ونية العباد"[4] كما أن من عاداته أن يوقد "نارين: نار وغى، ونار زناد"[5] وعبيد بن أيوب العنبري يثور أحيانا، ويبكي في أحايين أخرى[6]:

فثرتُ وقلبي مقصدٌ للذي به   وعينيَّ أحيانا تجِمُّ فتغمُرُ[7]

وأما تأبط شرا فيعيش حالتين متناقضتين تماما، يقول عنهما[8]:

---

(1) الأغاني، 249/14.

(2) ديوان القتال الكلابي، 88.

(3) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، 22.

(4) قال بكر بن النطاح:

ومُقسِّم بين القواضب والقنا   غضب الملوك ونية العباد

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، ت 429هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، ط1، 1424هـ، 155.

(5) قال بكر بن النطاح:

أُذكي وأوقد للعداوة والقِرى   نارين: نار وغى، ونار زناد

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، ت 456هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل – بيروت، 17/2.

(6) منتهى الطلب من أشعار العرب، 236/3.

(7) ثرت: وثبت. مقصد: معمود بالحب. تجم عينيه: يكثر دمعها.

(8) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 26.



فقلت لهـــا: يومـــان، يـــوم إقامـــة أهز به غصناً من البـــان أخضـــرا[1]
ويومٌ أهزُّ السيفَ في جيـــدِ أغيَـــدٍ له نِسْوةٌ لم تلـــقَ مثلـــيَ أنكـــرا[2]

ومثله قيس بن الحدادية، إذ يقول[3]:

فيوماي يومٌ في الحديـــد مســـربلاً ويومٌ مع البيضِ الأوانسِ لاهيـــا[4]

ومثلهما عبيد الله الجعفي، حيث تدور حياته في إطار حالتين متناقضـــتين كـــل التناقض[5]:

أرى الدهرَ لي يومين يومـــاً مطـــرداً شريداً ويومـــاً في الملـــوك متوجـــا

هكذا يعيش المتمردون حالات متناقضة، لأنهم على ما فيهم من القوة والخيريـــة، فيهم أيضا ضعف وشرية، ثم إن حياتهم ذاتها مليئة بالتحولات، التي تشبه بيئتـــهم ذات الرمال المتنقلة والأجواء المتقلبة، وعلى كل حال فالحر متناقض بالضرورة لأن "الحريـــة هي القدرة على فعل الخير والشر معا"[6].

(9)

في حالة العنف تلتقي الذوات، ثم يشرع بعضها في هدم البعض الآخر، باستخدام قوة الشر، ولذا فالعنف: علائق مؤسسة على إرادة التدمير. وتنبني هذه العلائق في إطار من توكيد الذات، وفعل الهدم، ومجاوزة الحد، ولعل الذات تجنح إلى العنف عندما تشعر بالخطر، حيث يصبح لا مفر من الموت إلا المجابهة بالموت.

وعند النظر في واقع متمردي العصور العربية الأولى، يبرز عدد غير قليل من القتلة، بل يكاد جميع من تمرد علّ من الدماء، حتى غدا القتل أمرا عاديا، إن لم يكن طريقا إلى

(1) البان: شجر أبيض الزهر.
(2) الأغيد: صفة للشاب في أول شبابه. أنكر: شديد البأس.
(3) الأغاني، 101/14.
(4) الأوانس: طيبات النفس اللاتي يأنسن بالقرب والحديث.
(5) تاريخ الطبري، 136/6.
(6) مشكلة الإنسان، د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة – القاهرة، 44.

المجد، والشفاء، والكرامة، ومن أولئك القتلة: القتال الكلابـــــي، والقتـــال البـــاهلي، والقتال البجلي، والقتال السكوني، والقتال المحاربـــي[1]، مضافا إليهم – على ســـبيل المثال لا الحصر – تأبط شرا، والشنفرى، ومالك بن حريم الهمداني، ومالك بن الريب، وجعفر بن علبة الحارثي، وعنترة بن شداد، وخفاف بن ندبة، وعبيد الله الجعفي، وعبد الله بن الأحدب، وحبيب بن عوف العبدي، كل هؤلاء أزهقوا أرواحا، إما دفاعا عن أنفسهم، أو اعتداء على من رماه القدر في طريقهم.

وقد قتل القتال الكلابـــي "كالئ باب السجن"[2] وابن عمه زيادا[3] وقتل تأبط شرا الليثي الذي تهكم بعرضه[4] وسوَّار بن عمرو بن مالك، وقتل أيضا "غلاما نمتـــه المحصنات الصرائح"[5] وقتل الشنفرى "محرما بملبد"[6] وأما مالك بن حريم الهمـــداني

---

(1) انظر: المؤتلف والمختلف 218، 219، 220.

(2) قال في ذلك:

وكالئ باب السجن ليس بمنته   وكان فراري منه ليس بمؤتلي

إلى أن يقول:

أقول له والسيف يعصب رأسه   أنا ابن أبـــي أسماء غير التنحل
تركت عتاق الطير تحجل حوله   على عدواء كالحوار المجـــدل

ديوان القتال الكلابـــي، 75 – 76.

(3) قال القتال الكلابـــي في مقتل ابن عمه زياد:

أملت له كفي بأبيض صارم   حسام إذا ما صادف العظم صمما

السابق، 90.

(4) قال في ذلك:

ولما أبى الليثي إلا تهكما   بعرضي وكان العرض عرضي أوفرا

إلى قوله:

دنوت له حتى كأن قميصه   تشرب من نضح الأخادع عصفرا

ديوان تأبط شرا، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط1، 1424هـــ، 26.

(5) قال: تمنى فتى منا فلاقى و لم يكد   غلاما نمته المحصنات الصرائح

إلى قوله:

فإن تك نالته خطاطيف كفه   بأبيض قصال نمى وهو فادح

الصرائح: الخالصات الصافيات من العيب. ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 23.

(6) قال في ذلك:

قتلنا قتيلا محرما بملبد   جمار منى وسط الحجيج المصوت

ديوان الشنفرى، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، 37.



فقد قتل سيد بني قمير[1] كما أن جعفر بن علبة الحارثي قتل الخشينة وعرقب الهذيل[2] ومالك بن الريب قتل لصا غير مخايل[3] وكذا عبيد الله الجعفي قتل "رَجُلاً مِثلَ الهزبر إذا ما ساوَرَ البَطلا"[4] وحبيب بن عوف العبدي قتل رجلا "ضخم الفرائص"[5] وعبد الله الأحدب السعدي[6] قتل السمهري[7] وكذا خفاف بن ندبة قتل كبش القوم، وجانب "شبان الرجال الصعالكا"[8] وقد أُطلق على هؤلاء المتمردين

---

(1) قال في ذلك:

بني قمير تركت سيدكم   أثوابه من دمائه رُدُعُ

ديوان مالك بن حريم الهمداني، 49.

(2) قال في ذلك:

شفيت غليلي من خشينة بعدما   كسوت الهذيل المشرفي اليمانيا

الأغاني، 32/13.

(3) قال في ذلك:

فقراك أبيض كالحقيقة صارما   ذا رونق يغشى الضريبة فاصل

ديوان مالك بن الريب، 83.

(4) قال:

إني رأيت بواد غابر رجلا   مثل الهزبر إذا ما ساور البطلا

إلى قوله:

أنشا يسائلني عنه وأطعنه   فخر يهوي على الخيشوم منجدلا

ساور: واثب. كتاب الفتوح، 312/6.

(5) قال:

ضخم الفرائص لو أبصرت قمته   وسط الرجال إذاً شبهته جملا

الفرائص: جمع فريصة، وهي لحمة بين الجنب والكتف تُرْعَد مِنَ الدابة إذا خافت. عيون الأخبار، 175/1.

(6) عبد اللّه الأحدب السعديّ: أحد بني مخزوم من بني عبد شمس، شاعر لص، جنى جناية، فطلب فترك بلاد تميم، ولحق ببلاد قضاعة، وهو على نجيبة لا تساير. (الأغاني 168/21)

(7) قال في ذلك:

لما دعاني السمهري أجبته   بأبيض من ماء الحديد صقيل

الأغاني، 168/21.

(8) قال في ذلك:

تيممت كبش القوم حتى عرفته   وجانبت شبان الرجال الصعالكا

وجادت لـه مني يميني بطعنة   كست متنه من أسود اللون حالكا

الحماسة البصرية، 315/1 – 316.



"فتاكا" لما اتصفوا به من شراسة، وفظاظة، وشدة بأس.

وفي هذا السياق نلاحظ سعد بن ناشب تفنده أم سعد على شراسته، وشدة نفسه، فيقدم لها رأيا في مسألة العنف، قائلا[1]:

وفي اللين ضعفٌ والشراسةِ هيبةٌ ومن لم يُهب يُحمل على مركبٍ وعرِ

كما أن القتال الكلابي يرد "عَلى المَكروهِ نَفساً شَريسَةً"[2] وعنترة بن شداد "شَرِسٌ إِذا ما الطَعنُ شَقَّ جباها"[3] وجحدر العكلي ذو بأس "وشدة في نفسه وفتك"[4] وعليه فإن هؤلاء أخطر شيء على من عاداهم، لأن القتل يكون – حينئذ – أول الحلول، وآخر الحلول التي تخطر على بالهم[5]:

لعمركَ إن المستثيرَ عداوتي لكالمبتغي الثُكلَ من غيرِ مَثْكلِ

وفي هذا الإطار يمكن قراءة ما هو أعمق في تكوينهم النفسي، من خلال صور البشاعة في المشاهد العنيفة التي لعبوا أدوارها، حيث تبدو خلائقهم أشد وحشية، وأكثر قدرة على إثارة الدهشة في النفوس، ومثل تلك اللحظات البشعة كانت قمينة – في رأيهم – بالتسجيل، لذا وثقوها صورا مكتظة بالتفاصيل الأليمة، النابضة بالموت. يقول مالك بن حريم الهمداني متهكما برجل قتله، ثم تركه في حال مزرية[6]:

---

(1) السابق، 196/1.

(2) قال:

رددت على المكروه نفسا شريسة إذا وطنت لم تستقد للتذلل

منتهى الطلب من أشعار العرب، 285/3.

(3) قال:

يا عبل إني في الكريهة ضيغم شرس إذا ما الطعن شق جباها

ديوان عنترة، 386.

(4) قال:

كلاهما ذُو أنفٍ وَمَحْكِ
وَشِـدَّةٍ فِي نَفْسهِ وَفَتْكِ

البداية والنهاية، ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت 774هـ) تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ، 145/9.

(5) قاله الخطيم المحرزي، منتهى الطلب من أشعار العرب، 263/3.

(6) ديوان مالك بن حريم الهمداني، 49.



تركتـــــه باديـــاً مضـــــاحِكُه يدعو صَداه والـــرأس منصـــدعُ[1]

وعلى المنوال نفسه من القتل والتهكم يقول أبو خراش الهذلي: "وأترك قِـــرني في المزاحف يستدمي"[2] وفي مرة أخرى يحكي كيف يدع الكمي كما لو كان نسرا قـــد شرب سما ناقعا[3]:

بـــه نـــدعُ الكمـــيَّ علـــى يديْـــه يخـــرُّ تخالـــه نســـراً قشـــيبا[4]

وأما خفاف بن ندبة فقد قتل قتيلا، وتهكم به، حيث كان دمه أسود في زعمـــه، لكونه خبيثا لا يستأهل إلا القتل[5]:

فجادت له يُمـــنى يـــدي بطعنـــةٍ كست متنَه من أسود اللونِ حالِكـــا

وعروة بن الورد يترك الفارس مجـــدلا تتداولـــه الضـــباع، الـــتي تعـــرج في مشيها[6]:

فأتركُـــه بالقـــاعِ رهْنـــا ببلـــدَةٍ تعاوَره فيها الضـــباعُ الخوامـــعُ[7]

ويتهكم القتال الكلابـــي بصاحب السجن حين قتله، وتركه نهبا للجوارح[8]:

تركتُ عتاقَ الطيرِ تحجـــلُ حولـــه على عُـــدْواءَ كـــالحُوار المجـــدَّل[9]

ويصف تأبط شرا حال قتيله الذي غاله، فتشرب قميصُه من دمه المتدفق[10]:

(1) الصدى: جسم الإنسان بعد موته.

(2) قال:

أفاطم إني أسبق الحتف مقبلا وأترك قرني في المزاحف يستدمي

ديوان الهذليين، 130/2.

(3) السابق، 135/2

(4) القشيب: المسموم.

(5) الحماسة البصرية، 316/1.

(6) ديوان عروة بن الورد، 98.

(7) الخوامع: أي التي تعرج.

(8) ديوان القتال الكلابـــي، 76.

(9) عتاق الطير: واحدها عتيق، وهو البازي والصقر. تحجل: تمشي مشية الغراب. العـــدواء: الأرض الصلبة. الحوار: ولد الناقة. المجدل: المربوط.

(10) ديوان تأبط شرا، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، 26.

دنوتُ لــه حـــتى كـــأنَّ قميصَـــه تشرَّب من نضْحِ الأخادعِ عُصْفُرا[1]

ويقول واصفا حال قتيل آخر، وقد خر كأنما برك فوقه الفيل[2]:

فخرَّ كـــأن الفيـــل ألقـــى جِرانـــه عليـــه بريَّـــان القَـــواء أســـيلِ[3]

وأما عبيد الله الجعفي فتارة يفخر بكثرة من صرعه فتركه "بمعرك عكوفا عليه طيره وثعالبه"[4] وتارة أخرى يصف حال قتيله، وقد طعنه "فَخَـــرَّ يَهـــوي عَلـــى الخُرطومِ مُنجَدِلا"[5] كما أن الحارث بن ظالم المري يذكر ما فعل بقتيل، حين ضربه في رأسه بالسيف "فصمم حتى نال نوط القلائد"[6] وجعفر بن علبة الحارثي يفخر كذلك بأن ترك صرعاه يضجون ألما، كما تفعل الناقة المسنة، ذات القرحة بين يدي المداوي[7]:

تركنـــاهُم صـــرعى كـــأن ضـــجيجهم

ضجيج دَبـــارى النَّيْـــبِ لاقـــتْ مُـــداويا[8]

---

(1) النضح: إخراج الشيء من منبعه ومكمنه. الأخادع: جمع أخدعان وهما عرقان في جانبـــي العنق. العصفر: صبغ يستخرج من نبات.

(2) السابق، 59.

(3) الجران: باطن العنق. القواء: الأرض الخاوية. الريان: كل ساق نعُم واخضر. الأسيل: الناعم.

(4) قال:

فكم من صريع قد تركت بمعزل عكوفا عليه طيره وثعالبه

منتهى الطلب من أشعار العرب، 311/3.

(5) قال:

أنشا يسائلني عنه وأطعنه فخر يهوي على الخيشوم منجدلا

ساور: واثب. كتاب الفتوح، 312/6.

(6) قال:

فأضربه بالسيف يأفوخ رأسه فصمم حتى نال نوط القلائد

اليافوخ: ملتقى عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره. صمم: مضى. نُوط: جمع نياط، وهي المكـــان الذي تعلق فيه القلائد.

الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، 67/11.

(7) السابق، 32/13.

(8) دبارى النيب: النوق المسنة التي أصابها الدبر.



وفي الواقع فمثل هذا العنف المفرط هو محل فخر – لديهم – وليس هنالك في رأي السليك بن السلكة شيء يعدل قيمة رجل من صفاته أنه "ضروب بنصل السيف هامات الرجال"(1). وقد خاطب مالك بن الريب قتيله على نحو من التهكم، والتعالي، حين ركب ذلك المسكين ردعه، أي خرَّ لوجهه على دمه(2):

فقراك أبيض كالعقيقةِ صارماً ذا رونقٍ يغشى الضريبةَ فاصلِ(3)

فركبت ردعكَ بين ثِني فائرٍ يعلو به أثرُ الدماء وشائلِ(4)

كما أن عنترة بن شداد يفخر بقتل قتيلين تركوهما بقفرة "تعودهما الضباع الكوالح" ثم يقول واصفا حالهما مع تلك الضباع(5):

يُجرِّرن هاما فلَّقتها رماحُنا تُزيِّل منهن اللحى والمسائحُ(6)

وأما طهمان بن عمرو الكلابي فيمعن في تصوير قِتْلتِهِ لهانئ، الذي راح يُعمل فيه سيفه، على نحو يقشعر منه البدن(7):

لقد سرَّني ما جرَّف السَّيف هانئاً وما لقيتْ من حدِّ سيفي أناملُه(8)

ومَتْركُه بالبرَّتين مجدَّلاً تنوح عليه أمه وحلائله(9)

ظننت به ظنَّا فقصَّر دونه فلا زال رثًّا غمده وحمائله

---

(1) قال السليك:

ولكن كل صعلوك ضروب بنصل السيف هامات الرجال

ولكن: يستدرك بها فيقرر أن قيمة الرجل إنما تكمن في ذلك الصعلوك القاتل الفاتك. الحماسة البصرية، 335/1.

(2) الأغاني، 206/22.

(3) فقراك: أي قدم لك القرى وهو طعام الضيف على سبيل التهكم. أبيض: يقصد السيف. العقيقة: البرقة المستطيلة في السحاب تكثر استعارتها للسيف.

(4) ركبت ردعك: يقال للقتيل ركب ردعه إذا خر لوجهه على دمه. ثني: انثناءه.

(5) ديوان عنترة، 55.

(6) المسائح: مفردها مسيحة، وهي ما بين الصدغين إلى الجبهة.

(7) ديوان طهمان بن عمرو الكلابي، 50 – 51.

(8) التجريف: أخذ ما دون العظم.

(9) البرتان: جبيلان في أرض لبني أبي بكر.

ضربت بــه عبــدا سمينـا ففلَّــه وما كنت أخشى أن يفــلَّ كاهلــه
على ضربة أبدت سناســن ظهــره وأخرى أمالت شقَّه فهو عادلــه[1]

هكذا يجعل المتوحشون صرعاهم نهبا للوحوش والضواري، أو ربما تركوهم على رأي مالك بن حريم الهمداني "كباقية الرماد"[2] ولكن لم يقتصر القتل والتمثيل على بني جلدقم، وإنما تعداه إلى الذئاب، والأسود، والأغوال، ونحوها، ما يجعــل قتــل هــذه الكائنات، والفخر به فعلا رمزيا، لاسيما أنه لا يُذكر عرضــا، وإنمــا تخصــص لــه مقطوعات، وقصائد، وقد قتل جحدر أسدا "كأن جبينه طبــق الرحــا"[3] يقــول في ذلك[4]:

ففلقــتُ هامتَــه فخــرَّ كأنَّــه أُطمٌ هــوى متقــوِّض الأبــراج[5]

وقتل مالك بن الريب ذئب الغضا "بأبيض قطاع ينجي من الكرب"[6] وقتل تأبط شرا غولا ذات رأس "كرأس الهر مشقوق اللسان"[7] ثم قال في ذلك[8]:

فأضــربُها بِــلا دَهَــشٍ فخــرَّت صــريعاً لليــدين وللجــران[9]

---

(1) السناسن: جمع سنسن، وهو حرف فقار الظهر.

(2) قال:

ورهط المازني أبــي كعيب تركناهم كباقية الرماد

ديوان مالك بن حريم الهمداني، 41.

(3) قال:

جهم كأن جبينه طبق الرحا لما بدا متعجر الأثباج

الحماسة البصرية، 1508/3.

(4) السابق، 1509/3.

(5) الأطم: الحصن. الأبراج: جمع برج، والمقصود ضربت هامته فهوى كأنه بناء ضخم تهدمت أبراجه.

(6) قال:

فصرتَ لقى لما علاك ابن حرة بأبيض قطاع ينجي من الكرب

الأغاني، 207/22.

(7) قال:

إذا عينان في رأس قبيح كرأس الهر مشقوق اللسان

ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 107.

(8) السابق، 107.

(9) الجران: باطن العنق.



وأما عبيد بن أيوب العنبري فلا يكتفي بذكر اللحظة الأخيرة، لحظة القتل، وإنما يستعرض الصراع العنيف الذي سبقها، وهو صراع أداته السيف، والرمح، والمخالب[1]:

وقد لقيتْ مني السباعُ بلية وقد لاقتْ الغيلانُ مني الدواهيا

ومنهن قد لاقيتُ ذاك فلم أكن جبانا إذا هول الجبان اعترانيا

أذقتُ المنايا بعضَهن بأسهمي وقدَّدن لحمي وامتشقن ردائيا

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، وإنما يتحول العنف في فضاء التمرد إلى موضوع للفخر، حيث يصبح هو القيمة الأعلى، فيما تهبط قيم السلم، والأمن، والصلح، والحلم، واللين، ويُلاحظ في هذا السياق أن عبيد بن أيوب العنبري "تعود من آبائه فتكاتهم"[2] كما أن جحدر المحرزي العكلي أخو حروب إذا لم يجن كان مجن جان[3] والشنفرى يفخر بأنه يأيم نسوانا، وييتم أولادا[4] وأما مالك بن الريب فيفخر "بضرب يختل البطلا"[5] ويمتدح تأبط شرا الشنفرى بعد موته بالعنف[6]:

تُجيل سلاحَ الموت فيهم كأنَّهم لشوكتك الحُدَّى ضَئين نوافر[7]

---

(1) الحيوان، 166/6.

(2) قال:

تعود من آبائه فتكاتهم وإطعامهم في كل غبراء ماحل

الحماسة البصرية، 337/1.

(3) قال:

ألم ترني غذيت أخا حروب إذا لم أجن كنت مجن جان

منتهى الطلب من أشعار العرب، 271/3.

(4) قال:

فأيمت نسوانا وأيتمت إلدة وعدت كما أبدأت والليل أليل

ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 63.

(5) قال:

خذها فإني ضراب إذا اختلفت أيدي الرجال بضرب يختل البطلا

خاتله: خدعه في غفلة. الأغاني، 206/22.

(6) ديوان تأبط شرا، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، 27 – 28.

(7) الحدى: البتارة. ضئين: أي ضأن.



وطعنةِ خلسٍ قــد طعنــتَ مُرِشَّــة لها نَفَــذٌ تضــل فيهــا المســابر[1]

يظلُ لهــا الآســي أميمــا كأنــه نزيفٌ هراقت لُبَّه الخمر ســاكر[2]

ولا شك أن لهذا العنف وظائف يؤديها، في بيئة المتمردين، ومن وظائفه أنه شفاء للنفس، مما داخلها من الغيظ، والقهر. يقول الحارث بن ظالم المري[3]:

شفيتُ غليلَ الصدر منــه بضــربةٍ كذلك يأبى المغضــبون القمــاقم[4]

ويقول عبيد الله الجعفي[5]:

فَقَتَّلــتُهُم حَــتى شَــفيتُ بِقَــتلِهِم حَرارَةَ نَفسٍ لا تَذِلُّ عَلــى القَســرِ

ومن وظائف العنف؛ التعريف بالقاتل، عندما يَذيع صيته، ويبرز لدى القوم وقــد ثأر لنفسه، وانتصر لحسبه. يقول جعفر بن علبة الحارثي[6]:

تركتُ بــأعلى ســحبلٍ ومضــيقه مراقَ دم لا يبرحُ الــدهرَ ثاويــا[7]

شفيتُ به غيظي وجُــرب مــوطني وكان سناءً آخــر الــدهر باقيــا

ومن وظائف العنف؛ تحقيق الكرامة، فعروة بن الورد إن قتل، ونهب، فمعنى ذلك أنه قد كفى حريمه الجلوس في أعقاب البيوت[8]:

وإنْ فازَ سهمي كفّكم عن مقاعــد لكم خلف أدبار البيــوت ومنظــرِ

ومن وظائفه أيضا تحقق الغنى، يقول عبيد الله الجعفي[9]:

لعل القنا تُــدني بأطرافهــا الغــنى فنحيــا كرامــاً أو نمــوت فنقتــل

---

(1) طعنة خلس: هي الطعنة السريعة المخادعة. المرشة: المؤلمة. النفذ: مقدار اختراق الطعنة للجســد. المسابر: جمع مسبر، وهو الأداة التي يقاس بها عمق الجرح.

(2) الآسي: الطبيب. الأميم: الهاذي بالأمر. هراقت: أي أراقت.

(3) الأغاني، 72/11.

(4) القماقم: جمع قمقام وهو السيد كثير الخير واسع الفضل.

(5) معجم البلدان، 322/2.

(6) الأغاني، 32/13.

(7) سحبل: وادٍ واسع. ثاويا: أي لا يبرح مكانه.

(8) ديوان عروة بن الورد، 68.

(9) الحماسة الشجرية، 106.

(10)

لاشك أن ضخامة الجهات الممارسة للسلب، والنبذ، والقهر، ممثلة في السلطة السياسية وقوانينها، والمجتمع بكل أعرافه وتقاليده، هي التي دفعت بالمستلبين إلى الأطراف البعيدة في أودية الشر، ليكسبوا القوة النفسية، والجسدية، التي ستمكنهم من مناهضة قوى السلب، والنبذ، والإذلال، وقد طلبوا تلك القوة في مجاهل الصحراء، حيث لا شيء إلا الكائنات ذات الشراسة، والعزلة، والتعطش للدماء، وقد عاينوا تلك الكائنات، كيف تفتك، وكيف تنطوي على القسوة، ثم جعلوها المرجع والقدوة، التي ستمنح القوة والتحقق والخلاص، و" من المعروف أن القوة التي يحصل عليها طرف ما؛ تدفعه إلى استخدامها في حل مشاكله، بل تجعله يجنح إلى استخدامها للحصول على المكاسب، وتحقيق المصالح دون أي اهتمام بمسألة الحق، فحق القوة على مدى التاريخ كان أقوى من قوة الحق"[(1)].

وبالنظر في طبائع المتمردين المستوحشين، يُلفى استعدادٌ في نفوسهم للشر، وقد آمن العربي بالتفسير العرقي عندما عزا الخبث، والشر، والنقائص إلى الوضاعة في النسب، وبناء على هذا التصور يردُّ عروة بن الورد الشرَّ إلى أمه، وضيعة الحسب، فيقول[(2)]:

أعيرتموني أن أُمِّي تريعة وهل ينجبن في القوم غير الترائع[(3)]

كما أن تأبط شرا على استعداد تام لمقارفة الشر: "متى أُحمل على الشر أركب"[(4)]

(1) الإنسان في عصر ما بعد الحداثة، د. رشيد الحاج صالح، دائرة الثقافة والإعلام – الشارقة، 2013م، 44.

(2) ديوان عروة بن الورد، 103.

(3) التريعة: المسرعة إلى الشر.

(4) قال:

ولا أتمنى الشر والشر تاركي ولكن متى أُحمل على الشر أركب

ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 19.



وكذا "لا يمل الشر حتى يملوا"[1] وأما مالك بن حريم الهمداني؛ فيمدح إذ يمدح بالطبيعة الشريرة[2]:

متعممٌ بالشرِ مؤتزرٌ به ضرمُ الشذاةِ قُضاقِضٌ قصّاب[3]

وإذا كان الشر طبيعة في المتمردين، أو مكونا أصيلا في نفوسهم؛ فإنه يتحول إلى ممارسة، كما لدى الشنفرى حيث هو "طريد جنايات"[4] "مبسلا بالجرائر"[5] وكما لدى القتال الكلابي الذي يلاقي أقرانه بالشر[6] وكما لدى الخطيم المحرزي الذي هو "مسعر حرب"[7] وكذا مالك بن الريب الذي "لا يتقي في السلم جر الجرائم"[8] وعنترة بن شداد، الذي إنما خلق للحرب يحميها إذا بردت[9] وفوق ذلك نرى هذه

---

(1) قال:

صليت مني هذيل بخرق لا يمل الشر حتى يملوا

السابق، 65.

(2) الوحشيات، 254.

(3) ضرم: أي متقد. الشذاة: الحدة والشر. القضاقض: الأسد يقضقض عظام فريسته. القصاب: الذي ينفخ في المزمار، والمقصود أن صوت الممدوح كالزئير.

(4) قال:

طريد جنايات تياسرن لحمه عقيرتُه لأيها حُم أول

ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 62.

(5) قال:

هنالك لا أرجو حياة تسرني سجيس الليالي مبسلا بالجرائر

سجيس الليالي: أي أبدا. مبسلا: المبسل هو المسلم. الجرائر: الجرائم. السابق، 47.

(6) قال:

فأذهبتهم شتى فلاقوا بلية من الشر لا يحظى بها من أقايس

ديوان القتال الكلابي، 67.

(7) قال:

ومسعر حرب كنت ممن أشبها إذا ما الجبان النكس هاب وعردا

منتهى الطلب من أشعار العرب، 256/3.

(8) قال:

وما أنا بالنائي الحفيظة في الوغى ولا المتقي في السلم جر الجرائم

الأغاني، 207/22.

(9) قال:

خلقت للحرب أحميها إذا بردت وأصطلي بلظاها حيث أحترق

ديوان عنترة، 291.

الممارسات الشريرة تتحول بدورها لدى عنترة إلى مفخرة، حيث يقول[1]:

*** وَقَد كانَ ذُخـــري في الخُطـــوبِ الكَبـــائِرِ ***

ويتحول أيضا هذا الشر إلى هاجس مراده القتل، فليس المتمرد مدافعا عن نفسه في كل الأحوال، وإنما إضافة إلى ذلك هو يهجس بمحو الآخر، يقول تأبط شرا[2]:

قليلُ غِـــرار النـــومِ أكـــبرُ همّـــه دم الثأرِ أو يلقى كميـــاً مســـفّعا[3]

كما يقول في هذا السياق[4]:

ولستُ أبيتُ الدهرَ إلا علـــى فـــتى أُسلِّبه أو أُذعِـــرُ السِّـــرب أجمعـــا

والقتال الكلابـــي يعيش حياته يهجس بمثل هذه الهواجس[5]:

إذا مصعبٌ قضّيت يومـــا قضـــاءه فإني لِقـــرْمٍ مصـــعبٍ متشـــاوس[6]

ويقول عنترة بن شداد[7]:

أَحِنُّ إِلى ضَربِ السُيوفِ القَواضِبِ وأَصبو إِلى طَعنِ الرِماحِ اللَواعِبِ[8]

ويقول أيضاً[9]:

*** فرمحـــيَ ظمـــآنٌ لـــدمِّ الأشـــاوس[10] ***

ولئن كان هذا الاتجاه إلى الشر انصرافا عن الطبيعة الإنسانية النزاعة إلى الخير، فإنه لابد منه في نظر المتمردين، لأنهم به يصلحون ذواتهم، ويقيمون كياناتهم، وهذا معـــنى

(1) السابق، 247.

(2) ديوان تأبط شرا، طلال حرب، 38.

(3) الغرار: القليل من النوم. الكمي: الشجاع. المسفع: المتغير لون الوجه.

(4) السابق، 40.

(5) منتهى الطلب من أشعار العرب، 296/3.

(6) المصعب: الفحل من الإبل، تركت من الركوب طلبا لنسله فصار صعبا ويقصد نفســـه. القـــرم: السيد العظيم يشبه بالقرم من الإبل يترك من الركوب لأجل الفحولة. متشاوس: ناظر بمؤخر عينيه كبرا.

(7) ديوان عنترة، 152.

(8) القواضب: القاطعة. اللواعب: التي تتلاعب بالدماء والأكباد.

(9) السابق، 269.

(10) الأشاوس: الأبطال الشجعان.



ثوري، يقول فيه عنترة بن شداد[1]:

ولا عيـــبٌ علـــي ولا مـــلامٌ إذا أصـــلحتُ حـــالي بالفســـاد

يتضح من خلال هذا العرض أن المناهض هو: الرافض لوضعه، الساعي بســبب وعيه؛ لتغيير مصيره، على نهج مدمر للأنساق المستبدة. ويطلب المناهض المدد من ذاتــه أولا، من وعيه، وقوة نفسه، وصلابة عوده، ثم يطلبه من قوى الشر في الطبيعة ثانيــا. وعادة ما تُساق حياة المستلب إلى الموت، فإما أن يرضى بذلك، أو لا يرضى، وحــين تكون الثانية، فإنه يغدو امرءا مناهضا.. رافضا.. متمردا، يسعى إلى الحصــول علــى الحياة، أي على استعادة ما سلب منه، ولكن فعل الاستعادة لا يتحقــق - عــادة - باللطف، وإنما بكل ماله قدرة على انتزاع الحق، لذا فالمناهض يبدأ أول ما يبدأ بمعرفة ما سلب منه، ومعرفة واقع الاستلاب، ثم معرفة إمكانات ذاته والطبيعة، مــرورا بــرفض التصنيف والإقصاء والحرمان، ثم انتهاء بفعل الاستعادة، وما يستلزمه مــن وســائل، وأدوات، وطرق ذات طابع متمرد، وعنيف.

(1) السابق، 185.


مكتبة
التنوير

التحول

(1)

تقتضي حالة التحول إقامة علائق جديدة بين الذات؛ وموضوع جديد، وتتحقق هذه الحالة بانفصال الذات عن موضوع سابق، ثم اتصالها بموضوع لاحق، مع إيلاء هذا اللاحق كامل العناية به، وتمام الانصراف إليه، ليعيد - بدوره - تشكيل الذات، ويفتح بابا لها إلى أفق جديد، وقد تحققت حالة التحول لدى المتمردين في العصور العربية الأولى؛ بالانفصال عن المأنوس، ثم الاتصال بالوحشي، أي بإلغاء المسافة بين الذات والطبيعة. ولعل الشنفرى كان من المتحولين، حين قال[1]:

أقيموا بني أمي صدورَ مطيِّكم ... فإني إلى قومٍ سواكم لأميلُ
فقد حُمَّت الحاجاتُ والليل مقمرٌ ... وشُدَّت لِطِياتٍ مطايا وأرحلُ[2]
وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن خاف القِلى مُتعزلُ[3]
لعمرك ما في الأرض ضيقٌ على امرئ ... سرى راغباً أو راهباً وهو يعقلُ
ولي دونكم أهْلون: سيدٌ عملَّسٌ ... وأرقطُ زهلولٌ وعرفاءُ جيْألُ[4]

تتم في عملية الانفصال إطالة المسافة بين الذات والآخر، الذي هو ضدها، ثم اخترام ما يقيم به الآخر كيانه، من القيم، والعادات، والقوانين، والمقدسات، ثم احتلال

---

(1) ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 55.
(2) حمت: تهيأت وحضرت. الطية: الحاجة.
(3) القلى: البغض.
(4) السيد: الذئب. العملس: الخفيف السريع. أرقط: ذو لونين مختلفين ويريد به النمر. الزهلول: الأملس. العرفاء: الضبع. الجيأل: الضخم.

موقع الضد منه على مستوى الأفكار والممارسات، أي مقاطعة هذا الآخر، ابتداء بالمكان، مرورا بالمضامين الاجتماعية، ثم انتهاء بالرؤية والممارسة.

وعلة الانفصال تكمن في إيقاف صنوف الممارسات التي من شأنها أن تهدم كيان الإنسان، وقد حقق المنفصلون القطيعة الكاملة مع المأنوس، فتخلصوا من حالة الاستلاب، ولكنهم بالمقابل فقدوا العلاقة بالمجتمع، الأمر الذي أوقعهم في حالة من العزلة، والنبذ.

يبدأ المنفصلون بالبعد عن المكان، فالقتال الكلابي حينما اعتراه الهم قراه العزيمة، تاركا مكانه المأنوس، منطلقا في الأرض[1]:

قرى الهمَّ إذ ضافَ الزِّماع فأصبحتْ منازلــه تعــتسُّ فيهــا الثعالــب[2]

وأما عبيد بن أيوب العنبري فيذكر الأماكن التي انفصل عنها، وتلك التي صار متصلا بها[3]:

فأصبحتُ كالوحشي يتبعُ ما خــلا ويتركُ مأنوسَ الــبلاد المــدعثر[4]

وبطبيعة الحال، يتبع مثل هذا الانفصالَ عن المكان الانفصالُ عن الأهل والأصحاب، يقول عبيد بن أيوب العنبري متحسرا على مفارقة ذويه: "وفارقتهم والدهر موقف فرقة"[5] ويقول أيضا: "وأصبحت ترميني العدى عن جماعة"[6]، وهكذا لما كان المتحولون قد جنوا الجنايات، وأصبحوا مطاردين، غاروا في مجاهل الأرض،

---

(1) الحماسة البصرية، 230/1.

(2) ضاف: نزل به وضيق عليه. الزماع: المضي في الأمر والعزم عليه. تعتس: تجول.

(3) منتهى الطلب من أشعار العرب، 234/3.

(4) المدعثَر: المهدوم.

(5) قال:

وفارقتهم والدهر موقف فرقة عواقبه دار البلى وأوائله

السابق، 238/3.

(6) قال:

وأصبحت ترميني العدى عن جماعة على ذاك رام من بدت لي مقاتله

السابق، 238/3.

خشية أن يراهم أحد، فيدل على مكانهم، ولما طال احتجابهم، استوحشوا من الإنـــس، واستأنسوا بالوحش. يقول عبيد بن أيوب العنبري[1]:

فما رمتُ جوفَ الغيلِ حتى ألفتُـــه ... وأعجـــبني أســـرابُه ومداخلـــه[2]

فإني وبغضي الأنس من بعد حبِّهـــا ... ونأيي ممن كنتُ مـــا إن أُزايلـــه[3]

لكالصقرِ جلَّى بعدما صـــاد فتيـــة ... قديراً ومشـــوياً تـــرفُّ خرادلـــه[4]

ويقول الأحيمر السعدي في معنى الاستيحاش من الأنس[5]:

يـــرى الله أني للأنـــيسِ لشـــانئٌ ... وتبغضـــهم لي مقلـــةٌ وضـــمير

كما أن تأبط شرا[6]:

يرى الوحشةَ الأنسَ الأنيسَ ويهتدي ... بحيث اهتدتْ أمُّ النجومِ الشوابك[7]

ومثل هذا الانفصال عن المأنوس، يتبعه انفصال عن القيم الاجتماعيـــة الســـائدة، والملاحظ أن هذا الأخير؛ يتم على نحو من نفي المتحولين عن أنفسهم أن تكون لديهم تلك القيم، سواء أكانت قبيحة أم جميلة، والمهم لديهم هو أنها مادامت قيم الجماعة، إذاً يجب نفيها عن أنفسهم، وعن الكائنات التي استبدلوها بالإنس، وغالبا ما يـــتم ذلـــك بأدوات النفي، يقول الشنفرى نافيا عن الذئاب، والضباع، بعض الصـــفات الســـيئة الموجودة في بني أمه[8]:

هم الرهطُ لا مستودع السرِ ذائـــعٌ ... لديهم ولا الجاني بما جـــرَّ يُخـــذل

ويقول أيضا[9]:

---

(1) السابق، 241/3.

(2) رمت: أردت وقصدت. الغيل: الشجر الكثير الملتف الذي ليس بشائك.

(3) أزايل: أفارق.

(4) جلى: أحس شيئا فتشوف إليه. القدير: ما يطبخ في القدر.

(5) الوحشيات، 34.

(6) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 53.

(7) أم النجوم: الشمس. الشوابك: جمع الشابك وهي المتداخلة الملتبسة.

(8) ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 56.

(9) الأشباه والنظائر، 15/2.



وَلي صاحِبٌ من دونِهم لا يَخـونني إِذا التبسَت كفِّـي بِـهِ يَتأكّـلُ[1]

ومن تلك القيم التي نفاها المتحولون عن أنفسهم، معلنين انفصالهم عن الجماعة، كل ما يتعلق بحياة الاستقرار في القبيلة، من ثرثرة، ونوم، وغفلة، وجلوس في البيت دون شغل، يقول مالك بن حريم الهمداني[2]:

لا أَسمَـعُ اللَهـوَ في الحَـديثِ ولا يَـنفَعُني في الفِـراشِ مُضـطَجَعُ

ومالك بن الريب – أيضا – ينفي عن نفسه القيم التي أفرزتها الأوضاع القبلية الخالدة إلى الراحة والمهانة[3]:

وَما أَنـا كَـالعيرِ المُقـيمِ لأَهلِـهِ عَلى القَيدِ في بَحبوحَةِ الضَيمِ يَرتَـعُ

وكذلك ينفي الشنفرى عن نفسه الانخراط في التراخي، والتواكل، والقعود عن طلب المكاسب[4]:

لا تَحسَبيني مِثلَ مَـن هُـوَ قاعِـدٌ عَلـى عُثَّـةٍ أَو واثِـقٌ بكَسـادِ[5]

وينفي المتحولون عن أنفسهم عددا آخر من القيم الوضيعة، يقول تأبط شرا:

ولستُ بجِلب جِلـبِ ليـلٍ وقِـرَّةٍ ولا بصفاً صلْدٍ عن الخير مَعْـزِلِ[6]
ولستُ براعي ثَلـة قـام وسـطها طويلِ العصا غُرْنيْقِ ضحْلٍ مرسِّلِ[7]
ولستُ براعي صِرمةٍ كان عبـدُها طويلِ العصا مِئناثةَ الصقبِ مِهْبلِ[8]

---

(1) تأكل السيف: توهج السيف.

(2) ديوان مالك بن حريم الهمداني، 48.

(3) الأغاني، 204/22.

(4) ديوان الشنفرى، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، 44.

(5) العثة: حشرة تأكل الصوف وغيره.

(6) الجلب: السحاب الذي لا ماء فيه، أو المتراكم كأنه جبل. القِرة: البرد. صفا: جمع صفاة، وهي الصخرة العريضة الملساء. ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 85.

(7) الثلة: جماعة الغنم. الغرنيق: طائر مائي أسود عريض الجناح طويل الساق. المرسل: كثير اللبن والشرب. السابق، 86.

(8) الصرمة: القطعة من الجبال. المئناثة: اللين. الصقب: العمود الأطول في وسط الخيمة، والغليظ الطويل من كل شيء. المهبل: الخفيف، من هبل أي فقط التمييز والتفكير الرصين. السابق، 90.



وما كنتُ أبَّاءً على الخـــل إذ دعـــا ولا المرء يدعوني مُمِـــراً مـــداهنا[1]

وينفي كذلك الشنفرى عن نفسه عددا آخر من القيم الوضيعة، فيقول[2]:

ولَستُ بِمِهيـــافٍ يُعَشّـــي سَـــوامَهُ مُجَدَّعَةً سُقبـــانَهـــا وهْيَ بُـــهَّـــلُ[3]

ولا جُبَّاء أَكهـــى مُـــربٍّ بعِرسِـــهِ يُطالِعُها في شَـــأنهِ كَيـــفَ يَفعَـــلُ[4]

ولا خَـــرِقٍ هَيْـــقٍ كَـــأَنَّ فُـــؤادَهُ يَظَـــلُّ بهِ المُكَّاءُ يَعـــلـــو ويَســـفِلُ[5]

ولا خـــــالِفٍ دارِيَّـــــةٍ مُتَغَـــــزِّلٍ يَروحُ ويَغـــدو داهِنـــاً يَتَكَحَّـــلُ[6]

ولَستُ بِعَـــلٍّ شَـــرُّهُ دونَ خَـــيرِهِ أَلَفَّ إِذا ما رُعتَهُ اهتـــاجَ أَعـــزَلُ[7]

ولَستُ بِمِحيارِ الظَلامِ إِذا انتَحَـــت هُدى الهَوجلِ العِسِّيفِ يهماءُ هَوجَلُ[8]

وينفي مالك بن الريب عن نفسه بعض تلك القيم، فيقول[9]:

وَما أَنا بالنائي الحَفيظَـــةِ في الـــوَغى وَلا المُتَّقي في السِلمِ جَرَّ الجَرائِمِ[10]

ويفعل ذلك صخر الغي[11]:

ولَســـــتُ عَبـــداً لِلموعِـــدِين وَلا أَقبَـــلُ ضَـــيماً أتـــى بِـــهِ أَحَـــدُ

---

(1) السابق، 104.

(2) ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 57.

(3) المهياف: الذي يبعد بإبله في طلب المرعى على غير علم فيعطشها. يعشي: يرعى ليلا. السوام: جمع السائمة، وهي الإبل المرسلة للرعي. المجدعة: سيئة الغذاء. السقب: الذكر من الإبل. البهل: المخلاة المتروكة.

(4) الجباء: الجبان. الأكهى: الكدر الأخلاق. المرب: المقيم على امرأته لا يفارقها.

(5) الخرق: الدهِش من الخوف أو الحياء. الهيق: ولد النعامة. المكاء: طائر له صفير حســـن وصـــعود وهبوط في الجو.

(6) الخالف: المتخلف عن الخير أو الذي لا خير فيه. الدارية: الذي لا يفارق داره.

(7) العل: الرجل المسن صغير الجسم. الألفّ: الذي لا يقوم لحرب ولا لضيف وإنما يلتف وينام.

(8) المحيار: المتحير. انتحت: اعترضت. الهوجل: الرجل الطويل المتسرع الأحمق. العسيف الآخذ على غير الطريق. اليهماء: الصحراء التي لا يُهتدى إلى طريق فيها. هوجل: آخر الفلاة.

(9) الأغاني، 207/22.

(10) الوغى: الحرب.

(11) السابق، 5/23.

هكذا يتحقق انفصال المتحولين عن القيم السائدة، في الوقت الذي تسود فيه هذه القيم، ويتبناها الكثيرون من أبناء القبيلة، وهذا مسلك ظاهر في حياهم، وفي طريقة كلامهم.

(2)

الارتحال – من جهة – انعتاق من العلاقة بالمجتمع – ومن جهة أخرى – سعي حثيث في طلب الغنى، والثأر، والزعامة، إلى غير هذه المآرب. وعلى هذا قد يلجأ المنفصلون إلى الرحيل لغرض محدد، كما لدى عروة بن الورد، حيث يرجو أن يدفعه رحيله إلى مغنم[(1)]:

لَعَلَّ انطِلاقي في البِلادِ وَبُغيَتي ... وَشَدّي حَيازيمَ المَطِيَّةِ بالرَحلِ[(2)]

سَيَدفَعُني يوماً إلى رَبِّ هَجمَةٍ ... يُدافِعُ عَنها بالعُقوقِ وبِالبُخلِ[(3)]

وتتكرر هذه الغاية لديه، حيث يقول[(4)]:

دَعيني أُطَوِّف في البِلادِ لَعَلَّني ... أُفيدُ غِنىً فيهِ لِذي الحَقِّ مُحمِلُ[(5)]

وحيث يقول[(6)]:

فَسِر في بِلادِ اللَهِ والتَمِسِ الغِنى ... تَعِش ذا يَسارٍ أَو تَموتَ فَتُعذَرا

ويكاد يكون الرحيل في طلب الغنى حالة مشتركة بين عدد من المنفصلين، الذين حُرموا من المال، ومن أولئك الذين جدوا في طلب الغنى عبر الرحيل، أبو النشناش العقيلي[(7)]:

---

(1) ديوان عروة بن الورد، 115–116.

(2) الحيازيم: جمع حيزوم وهو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر.

(3) الهَجْمة من الإبل: ما بين التِّسعينَ إلى المائَةِ.

(4) السابق، 131.

(5) فيه لذي الحق محمل: أي فيه فائدة.

(6) الحماسة البصرية، 336/1.

(7) الأصمعيات، 118.



**وَداوِيَةٍ يَهماءَ يُخشى بِهـا الـرَدى		سَرَت بِأَبـي النَشناشِ فيها رَكائِبُه**[1]

**لِيُـدرِكَ ثَـأراً أَو لِيُـدرِكَ مَغنَمـاً		جَزيلاً وَهَذا الدَهـرُ جَمٌّ عَجائِبُه**[2]

وكذا أبو خراش الهذلي الذي ما انفك يرحل من أجل الغنم[3]:

**ولَيلَةِ دَجنٍ مِن جُمـادى سَـرَيتُها		إِذا ما استَهَلَّت وهِيَ ساجِيَةٌ تَهمي**[4]

**وشَوطٍ فِضاحٍ قَد شَهِدتُ مُشـايِحاً		لأُدرك ذَحلاً أَو أُشيفَ عَلى غُنمِ**[5]

ولكن إذا كان الرحيل – هاهنا – واضح الغاية، فإنه لا يكون كذلك دائما، ذلك أن المنفصلين قد يزمعون الرحيل للبعد عن أذى مجهول، أو طلبا لشفاء النفس من شيء تكنه، والشنفرى يرى أن في الأرض متسع للكريم عما يؤذيه[6]:

**وفي الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى		وَفيها لِمَن خـافَ القِلـى مُتَعَزَّلُ**[7]

**لَعَمرُكَ ما في الأَرضِ ضيقٌ عَلى امرِئٍ		سَرى راغِباً أَو راهِبـاً وَهـوَ يَعقِـلُ**

وفي هذا البيت الأخير ذكرٌ لدوافع الرحيل، حيث قد يرحل المرء راغبا في شيء، أو راهبا من شيء، وفي كلتا الحالتين تتسع الأرض لمن أراد أن يحقق مـراده، ولكـن الشنفرى يقدم شرط "الوعي" حيث لابد على المرء أن "يعقل" سبب رحيله، ووجهـة الرحيل، وغايته، وما الذي سيكسبه المرتحل في النهاية، وحين يكون كل ذلك معلومـا لديه، فإن الأرض لا شك تكون حينئذ واسعة. وبإزاء الشنفرى يرى المرار الفقعسي أن في الرحيل شفاء للهموم: "وجدت شفاء الهموم الرحيل"[8] ويقول أيضاً[9]:

---

(1) الداوية: المفازة بعيدة الأطراف.

(2) جم عجائبه: أي كثيرة.

(3) ديوان الهذليين، 2 – 130.

(4) الدجن: إلباس الغيم الأرض. تهمي: تسيل.

(5) شوطٍ فضاح: إن سُبق فيه رجل افتضح. المشايح: الجاد. أُدرك ذحلا: أي ثأرا. أُشيف: أشـرف على غنيمة.

(6) ديوان الشنفرى، طلال حرب، 55.

(7) القلى: البغض.

(8) قال:		وجدت شفاء الهموم الرحيل		فصرم الخلاج ووشك القضاء
الوحشيات، 53.

(9) كتاب الجيم، 210/3.



سلّ الهُمومَ إذا اعتَرَتْـكَ بدوسَـرٍ لهب الهَـواجرِ واسِـعِ المُتَـنَفّسِ[1]

وقال سحيم عبد بني الحسحاس[2]:

فدعْ ذا وسلِّ الهمَّ عنـكَ بِجَسْـرةٍ جُمالية تنبـي القتود ضـلوعها[3]

وما دام الرحيل إما رغبة في مال، أو بعدا عن أذى، أو رهبة من طلاب، أو طلبا لثأر، ومادام هو انفصالا عن المجتمع، ذلك الحيز الذي سادت فيه قيم الطبقات الاجتماعية الأعلى، واستلبت فيه الطبقات الاجتماعية الأدنى، وأصبح الإنسان خلاله لا ينعم بشيء مما وهبته الحياة لأقرانه من علية القوم؛ وما دام هذا الإنسان في مجتمعه لا ينفك يحمل هم وجوده، وتحققه، ومصيره، مادام الرحيل انفصالا عن هذه الحالات الأليمة، والأوضاع المرفوضة، فإنه لا شك متعة لا تنقضي، وهاجس لا يفتأ يلح على من لم يجد ذاته في حيز القبيلة، يقول الخطيم المحرزي[4]:

وَيُعجِبُني نَصُّ القِلاصِ عَلى الوَجـا وَإن سِرنَ شَهراً بَعدَ شَهرٍ مُطَرَّدا[5]

عَواسفُ خَـرقٍ مـا لَهُـنَّ تَئِيَّـةٌ إذا مِلنَ في سَهبٍ تَعَرَّفن قَـرْدَدا[6]

ويقول في نص آخر: "ألا ليت شعري" متمنيا أن لو علم أشياء عدة، من بينها إمكانية الرحيل على ناقة كريمة[7]:

وهَل تَقطَعَنَّ الخَرقَ بـي عَيدَهِيَّـةٌ نَجاةٌ مِنَ العيدي تَمـرَحُ لِلزَجـرِ[8]

---

(1) ناقة دوسر: ضخمة شديدة. الهواجر: جمع هاجرة وهي منتصف النهار. المتنفس: أراد به الأنف.

(2) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، 53.

(3) الجسرة: الناقة القوية الشديدة. جمالية: التي يشبه خَلْقُها خَلْقُ الجمل. تنبـي: ترفع. القتود: خشب الرحل.

(4) منتهى الطلب من أشعار العرب، 256/3.

(5) نص القلاص: سيرها الحثيث. القلاص: جمع القلوص وهي الفَتِيّة من الإبل. الـوجى: أن يشكو الفرس باطن حافره.

(6) عواسف خرق: هي الإبل التي تقطع الخرق بغير قصد ولا هداية ولا توخي حذر. الخرق: الفلاة تنخرق فيها الرياح. السهب: الفلاة الواسعة. والقردد: المكان الغليظ من الأرض.

(7) السابق، 249/3.

(8) العيهدية: نوق كرام نجائب. نجاة: من النجاء وهي السرعة. تمرح: تمشي مشية النشاط والفرح.



والمرار الفقعسي يتمنى لو فارقت رجله القيود - وكان في سجن اليمامة - ليصبح رفيقا بنص العيس، في البلد القفر[1]:

ولَو فارَقتْ رِجلي القُيودَ وجـــدتُني رَفيقاً بِنَصِّ العيسِ في البَلَدِ القَفْــرِ[2]

كما أن بكر بن النطاح يطلب من زوجته أن تترك له فرصة الرحيل: "دعـــيني أجوب الأرض في فلواها"[3] وجعفر بن علبة الحارثي يهوى اجتياب "الفيافي سملقا بعد سملق"[4] والقتال الباهلي[5] ليس إلا "أخا سفر يشكو الكلال ركابـــه"[6] وإذا كـــان الرحيل هاجسا لدى هؤلاء، فإنه لدى طهمان بن عمرو الكلابـــي، الغاية التي لـــيس فوقها غاية[7]:

وإنيَّ والعبســـيُّ في أرض مَـــذحِج غريبـــان شـــتّى الـــدارِ مختلفـــان
غريبـــان مجفـــوَّان أكثـــرُ همّنـــا وجيـــفُ مطايانـــا بكـــلِّ مكـــان

(1) الأغاني، 249/10.
(2) النص: رفع الناقة في السير حتى تستخرج أقصى سيرها. العيس: الإبل البيض مع شـــقرة يســـيرة واحدها أعيس وعيساء.
(3) قال:

دعيني أجوب الأرض في فلواها فما الكرج الدنيا ولا الناس قاسم

ديوان بكر بن النطاح، ضمن شعراء مقلون: صنعه حاتم صالح الضامن، عالم الكتب - بـــيروت، ط1، 1407هـــ، 263.
(4) قال:

برى لحم دفيّه وأدمى أظله اجـــ ـــتيابـــي الفيافي سملقا بعد سملق

دفا البعير: جنباه. السملق: الأرض المستوية الجرداء.
الأغاني، 38/13.
(5) هو الحسن بن علي القتال الباهلي أحد بني جندب بن إياس ابن عامر بن عوف ثم أحد بني وائل بن معن بن أعصر وكانت بنو جندب مع بني هلال بن عامر بن صعصعة وكان القتال شاعراً فارســـاً وأحدث حدثاً فهرب وصعد يذبل فأقام به وألفه النمر وكان يرد معـــه في الشـــريعة. (المؤتلـــف والمختلف 219).
(6) قال:

أخا سفر يشكو الكلال ركابه تبدل مر العيش بعد ليان

المؤتلف والمختلف، 219.
(7) ديوان طهمان بن عمرو الكلابـــي، 61.



والرحيل ليس ممارسة فردية فقط، وإنما هو فاعلية جماعية أيضـــا، تتحقـــق فيهـــا للمستلبين فرصة القيادة، قيادة الفتيان في الفلوات، للثأر، والنهب، والاغتصـــاب، وفي هذا الإطار يُلمح عبيد بن أيوب العنبري يقود فتية على علســـيات ســـريعة[1] وكـــذا طهمان بن عمرو الكلابـــي ينتحي عرض الفلاة بصحبته وأباعره[2] والشـــمردل بـــن حاجر[3] يتمنى وهو في السجن على نحو من قوله[4]:

فيا ليتَ شِعري هل أراني وصُـــحبتي نجوبُ الفلا بالناعجاتِ الضـــوامر[5]

وأما تليد الضبـــي فيتمنى أن يقود عصابة، ليست كغيرها في التمادي، والفجور، والشراسة[6]:

ألا ليت شِعري هَل أَقودَنَّ عُصـــبَةً قَليلاً لِــرَبِّ العـــالَمينَ سُـــجودُها

وبطبيعة الحال فليس الرحيل مجرد شفاء، أو غنائم، أو زعامة، وإنما هو خليط من المتعة والمعاناة، ذلك أنه انفصال عن المجتمع، بما لهذا الخيار من آلام نفسية، ثم إنه – أي الرحيل – رهق يتعاظم كلما امتدت المسافة، وكلما تأخر تحقق الغاية، الـــتي ينشـــدها المرتحل، ومن هنا فالخطيم المحرزي "جواب أرض تقاذفت به..."[7] وكذا تأبط شرا تارة

---

(1) قال:

كأن لم أقد سبحانك الله فتية لندفع ضيما أو لوصل نواصلـــه
على علسيات كأن هويهـــا هوي القطا الكدري نشت ثمائله

العلسيات: إبل منسوبة إلى بني علس وهم بطن بني سعد. هُوِّيها: سرعتها في السير. الكدري: نـــوع من القطا خفيف سريع. نش: نضب. الثمائل: جمع الثميل، وهو ما بقي في جوفها من العلف والماء. منتهى الطلب من أشعار العرب، 238/3.

(2) قال: ما زلت أسأل أين أنت وأنتحي عرض الفلاة بصحبتي وأباعري
أنتحي: أجد وأقصد. ديوان طهمان بن عمرو الكلابـــي، 33.

(3) هو شمردل بن حاجر البجلي ثم الأحمسي من أحمس بن الغوث بن أنمار بن إراش، بجيلـــة أم ولـــد أنمار بن إراش. شاعر محسن. (المؤتلف والمختلف 178).

(4) المؤتلف والمختلف، 179.

(5) الناعجات: حسنة اللون مكرمة.

(6) معجم البلدان، 127/2.

(7) قال: بذي شقة جواب أرض تقاذفت به سار حتى غار ثمت أنجدا
منتهى الطلب من أشعار العرب، 258/3.



"جواب آفاق"[1] وتارة "شتى النوى والمسالك"[2] وتارة "يظل بموماة ويمسي بغيرها"[3] وأما عبيد بن أيوب العنبري فترامى به البيد القفار تراميا[4] كما أن السمهري العكلي قد جفت به الأرض، إلا أن يؤم الفيافيا[5]، بما لهذا التقاذف، والترامي، من جهد وألم.

(3)

يفارق المنفصلون فضاء المأنوس، مرورا بالهامش، الفضاء الذي تتحقق فيه حالات السلب، كالغياب، والنسيان، والموت، والذات إنما تهمش ذاتها لتقحمها فوق عتبة المرور إلى فضاء الوحشية، والتهميش – بهذا المعنى – هو ابتعاد واحتجاب، في سبيل أن تسترد الذات ما سلب من مالها، وقيمتها، وحريتها. وعليه فإن علاقة المهمش بالمجتمع هي: علاقة استرداد – في النهاية –كما أن الهامش ليس غير تلك الصحراء المفزعة، ذات الكائنات المهولة، والظروف المهلكة. يقول الخطيم المحرزي يصف الهامش/الصحراء[6]:

---

(1) قال:

حمال ألوية شهاد أندية   قوال محكمة جواب آفاق

ديوان تأبط شرا، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، 42.

(2) قال:

قليل التشكي للمهم يصيبه   كثير الهوى شتى النوى والمسالك

ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 52.

(3) قال:

يظل بموماة ويمسي بغيرها   جحيشا ويعروري ظهور المهالك

السابق، 52.

(4) قال:

خلعت فؤادي فاستطير فأصبحت   ترامى بي البيد القفار تراميا

الحيوان، 165/6.

(5) قال:

ألم تر أني وابن أبيض قد جفت   بنا الأرض إلا أن نؤم الفيافيا

الأغاني، 172/21.

(6) منتهى الطلب من أشعار العرب، 246/3 – 247.



وتيهاءَ مكســالٍ إذا الليــلُ جنَّهــا　　تزمَّلَ فيها المدجون علــى حِــذْرِ[1]
بعيدةِ عين الماءِ تــركضُ بالضــحى　　كركضــك بالخيــل المقرَّبة الشُّقر[2]
فلاةٍ يخاف الركب أن ينطقــوا بهــا　　حذار الــردى فيهــا مهوَّلــة قفــر
سريع بها قول الضعيف ألا اســقني　　إذا خبَّ رقراق الضحى خَبَبَ المهر[3]

ويدرك المتأمل في هذه الأبيات أن الخطيم يمر بصحراء مخيفة بالليل، قاسية بالنهار، ولعل المشهد ذاته يعرضه المرار الفقعسي، في قوله[4]:

ولماعَــةٍ مــا بِهــا مِــنْ عِــلامٍ　　وَلا أَمــراتٍ ولا رِعــي مــاءِ[5]
كَــأَنَّ قُلــوبَ أدلائهــا　　مُعَلَّقَــةٌ بِقُــرونِ الظِّبــاءِ[6]
يَظَلُّ الشُّــجاعُ الشَّــديدُ الجنــانِ　　مَخافَتَهــا مُعصِــماً بالــدُّعاءِ
إذا نَظَــرَ القَــومُ مــا مِيلُهــا　　رَأى القَــومُ دَوِّيَــةً كَالسَــماءِ[7]
يُسِــرُّ الــدَليلُ بِهــا خِيفَــةً　　وَمــا بِكَآبَتِــهِ مِــن خَفــاءِ

وكذلك يعرض بكر بن النطاح وجها آخر للصحراء، التي يبدو سرابها كما لــو كان بحرا يموج في النهار، وليلها مأهولا بقرى من الجن والعفاريب[8]:

وَدَوِيَّــةٍ خُلِقَــت لِلسَــراب　　فَأَمواجُــهُ بَينَهــا تَزخَــرُ

---

(1) التيهاء: الأرض المضلة الواسعة. مكسال: مفعال من الكسل. أجنها: غطاها وسترها. تزمل: أسرع في سيره. المدجون: جمع مدلج وهو السائر بالليل.

(2) بعيدة عين الماء تركض بالضحى: أراد السراب الذي يرى وكأنه ماء. المقربة: الفرس التي ضمرت للركوب.

(3) خب: هاج واضطرب. رقراق الضحى: سرابه. الخبب: ضرب من العدو فيه خفة.

(4) الوحشيات، 53 – 54.

(5) اللماعة: الفلاة تلمع بالسراب. علام: جمع علم وهي حجارة تنصب في الصحراء ليُستدل بهــا. أمرات: جمع أمارة.

(6) يقصد أنها صحراء مخيفة والمبيت بها كأنه مبيت على قرون الظباء أي متقلقل مضطرب.

(7) الدوية: الفلاة الواسعة الأطراف التي لا نهاية لها كأنها السماء.

(8) عيار الشعر، ابن طباطبا (أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلــوي، ت 322هــــ)، تحقيــق وتعليق: د. محمد زغلول سلام، مطبعة التقدم – الاسكندرية، 151.



تَــــرى جنَّهـــا بَـــينَ أَضـــعافِها حُلــــولاً كَــــأَنَّهُمُ البَربَــــرُ
كَـــأَنَّ حَنيفَـــةَ تَحمــــيهِمُ فَـــــأَلَيُنُهُم خَشِـــــنٌ أَزوَرُ[1]

وقد لازم الخوفُ المهمشين، فأقض مضاجعهم، وشحن نفوسهم بالحذر والسهاد، ولعل أبرز ما خافوا منه في تلك الصحاري: الحرارة الشديدة في النهار، والبرودة القارسة في الليل، والظلمات، والسباع، والهوام، والكائنات السفلية المهولة، يقول صخر الغي[2]:

إني بـــدهماءَ عـــزَّ مـــا أجـــدُ عـــاودني مـــن حَبَابِهـــا زُؤُدُ[3]

ويُخبر عبيد بن أيوب العنبري أنه "برى جسمه طول الســرى في المخــاوف"[4] والصحراء لا تخيف وحدها، وإنما يتضاعف الخوف منها وفيهـا؛ بسـبب كائناتهـا المتوحشة، التي لا تعرف معنى للرحمة، ولعل عبيد بن أيوب العنبري من أكثـر الـذين خافوا، وعبروا عن خوفهم في مثل قوله[5]:

ولله درُّ الغــــولِ أي رفيقـــــةٍ لصاحب قفـــرٍ خـــائفٍ يتقتـــر[6]

ويضاف إلى هذا الخوف خوفٌ آخر من الطلاب، الذي يلاحقون المنفصلين بعد أن ارتكبوا الجرائم، وجنوا الجنايات، وطفقوا فارين. ومن أولئك المطاردين عبيد بـن أيوب العنبري، الذي أحدث حدثا، فهرب، وخاف حتى صار خوفه مضرب الأمثال، يقول[7]:

لَقَد خِفتُ حَتَّى لَو تَمُـرُّ حَمامَـةٌ لَقُلتُ عَـدُوٌّ أَو طَليعَـةُ مَعشَـرِ[8]

---

(1) الأزور: المائل.
(2) الشعر والشعراء، 668/2.
(3) الدهماء: المظلمة. الزؤد: الخوف.
(4) قال:
نطوعا وأنساعا وأشلاء مدنف برى جسمه طولُ السرى في المخاوف
الحيوان، 396/6.
(5) منتهى الطلب من أشعار العرب، 235/3.
(6) يتقتر: يتهيأ للقتال.
(7) السابق، 234/3.
(8) الطليعة: القوم يُبعثون لمطالعة خبر العدو.

وخِفتُ خَليلي ذا الصَّفاءِ ورابَــني وقيلَ فُــلانٌ أَو فُلانَــةُ فَاحــذَرِ[1]

ويقول في هذا الخوف الذي كاد أن يكون وسوسة[2]:

لقدْ خفتُ حتى كل نجوى سمعتــها أرى أنــني مــن أمرِهــا بســبيل

ويقول سائلا السلطان أن يذيقه طعم الأمن بعد أن فقده[3]:

أَذِقنيَ طَعمَ الأَمنِ أَو سَــل حَقيقَــةً عَلَيَّ فَإِن قامَــت فَفَصِّــل بنانيــا

خَلَعت فُؤادي فَاستُطيرَ فَأَصــبَحَت تَرامى بــي البيــدُ القِفــارُ تَرامِيــا

ويُلمح لدى عدد من هؤلاء الفارين، توسلات موجهة إلى السلطان، بأن يأمنــهم الذي هم خائفون منه، وعادة ما يلجأون إلى مثل هذه التوسلات، بعد أن استبد بهــم الخوف، والجوع، والغربة، والظروف التي فوق التحمل، كما فعل عبيد بــن أيــوب العنبري، عندما سأل الأمن، ومثل محمد بن أنس[4]، الذي كان يرجو مصعب بن الزبير أن يتراجع عن نية قتله[5]:

عســى ابــن الكاهليــةِ في نــداه يعــودُ بحلمــه فيمــا يعــودُ

فيــأمنَ خــائفٌ بهــم طريــدٌ ويــأتي أهلــه النــائي البعيــدُ

ومن أولئك الذين طلبوا العفو الخطيم المحرزي وكان فارا من الخليفــة الأمــوي: سليمان بن عبد الملك[6]:

أعذني عِيــاذاً يــا ســليمانُ إنــني أتيتكَ لما لم أجدْ عنــك مقعــدا[7]

---

(1) رابني: أدخل الريب والشك إلى نفسي.

(2) المختار من شعر بشار.. اختيار الخالديين، شرح: أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد البرقي، اعتنى بــه: محمد بدر الدين العلوي، مطبعة الاعتماد، 9.

(3) الحيوان، 165/6.

(4) هو محمد بن أنس الأسدي. كان صعلوكا، فطلبه مصعب بن الزبير فهب منــه. (أمــالي القــالي 127/3).

(5) ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت 356هـــ) دار الكتــب العلمية – بيروت، 128/3.

(6) منتهى الطلب من أشعار العرب، 258/3.

(7) لم أجد عنك مقعدا: أراد مكانا يقعد فيه قريبا منه لينال عطاءه.



لِتؤمنني خوفَ الذي أنـا خـائفٌ   وتُـبلعني ريقـي وتُنظـرني غـدا

وهنالك سلوك شاع بين المنفصلين الفارين في منطقة الهامش، وهـو احتضـان السيف، والتأهب على مدار اللحظة، لأية غدرة، أو مباغتة، وينم هذا السـلوك عـن الخوف الملازم، سواء أكان من السلطان، أم من أصحاب الثأر، أو مـن الحيوانـات المفترسة، ووظيفة السيف في هذه الحالة أنه "ينجي من الكـرب"[1] علـى حـد رأي مالك بن الريب، الذي "لا ينام الليل إلا وسيفه رهينة أقوام سـراع إلى الشـغب"[2] ويقول أيضا[3]:

والسيفُ بيني وبين الثوبِ مُشْـعرُه   أخشى الحوادثَ إني لم أكن وَكِلا[4]

وإذا كان هذا هو حاله، فإن عبيد بن أيوب العنبري يكاد السـيف أن يلتصـق بجلده، لطول ملازمته له[5]:

وطال احتضاني السيفَ حتى كأنـه   يُناط بجلـدي جَفنُـه وحمائلـه[6]

ويشترك معهم في هذا السلوك عمرو بن براقة الهمداني، الذي سيفه "طوع اليمين ملازم"[7] وكذلك تأبط شرا، الذي[8]:

---

(1) قال:

فصرتَ لقى لما علاك ابن حرة   بأبيض قطاع ينجي من الكرب

ديوان مالك بن الريب، 71.

(2) قال:

.بمن لا ينام الليل إلا وسيفه   رهينة أقوام سراع إلى الشغب

الأغاني، 207/22.

(3) السابق، 205/22.

(4) مشعره: جاعله شعاري.

(5) منتهى الطلب من أشعار العرب، 240/3.

(6) يناط: يعلق. جفن السيف: قرابه. الحمائل: جمع حمالة وهي علاقة السيف.

(7) قال:

غموض إذا عض الكريهة لم يدع   لها طعما طوعُ اليمين ملازم

السابق، 200/4.

(8) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 57.



إذا طلعـــت أولى العَـــدِيِّ فنفــره   إلى سَلَّة من صارم الغرب باتــك[1]

وكذا عنترة بن شداد، الذي على الرغم من شدة بأسه، وفارط شـــجاعته، فـــإن الرمح، والحسام الهندواني، ما فتآ فوق صدره، يهدئان من روعه، ويؤنسانه[2].

(4)

تتجه الذات بعد أن اجتازت فضاء الهامش إلى فضاء الوحشية، من أجل أن تتلقى المدد؛ صلابة، وشراسة، واختلافا، ومن أجل أن تنعتق في فضاء لا يكون فيه حـــد، أو قانون، أو قداسة. وفي فضاء الوحشية تكاد تكون علاقة المتصل بالصحراء علاقـــة أم بولدها، لأنه يرضع منها الصبر على الظمأ، والجوع، ومواجهة الأهوال، وأما علاقتـــه بالزمان، فهي علاقة مراقبة وانتظار، ذلك أنه – أي المتصل – يترقب اللحظـــة الـــتي سيغدو فيها كما لو كان سبعا، يهتصر حقه المسلوب، وأما علاقته بكائنات الصحراء، فهي علاقة استمداد، حيث يستقي منها قوته النفسية، والجسدية، إذ يعـــيش معهـــا، ويصادقها، ويحالفها ضد بني جنسه، الذين سلبوه، وأبعدوه.

ولعل ما يميز علاقة المتصل بما حوله في الفضاء الوحشي، هو اتصافها بالإيجابيـــة، فعلاقاته بالمكان، والزمان، والكائنات، تصب في مصلحته، على الرغم مما يتهدده مـــن الجوع، والعطش، والموت، ومن هنا فنظرته إلى المكان المتصل به في الفضاء الوحشـــي، تختلف عنها إلى مكان الهامش، الذي هو خوف وهلاك. ونلاحظ من هذا المنظـــور أن القتال الكلابـــي يعتبر "عَماية" – الجبل الذي حماه من مطارديه – أم كل طريد[3]:

---

(1) العَدِيّ: الجماعة الذين يعدون في الحرب أمام الجيش. السلة: المرة من سل الســـيف إذا جـــرده. الغرب: حد السيف. الباتك: القاطع.

(2) قال:

خُلق الرمح لكفي   والحسام الهندواني
ومعي في المهد كانا   فوق صدري يؤنساني

ديوان عنترة، 367.

(3) ديوان القتال الكلابـــي، 45.

جَزى اللَهُ عَنّــا وَالجَــزاءُ بِكَفِّــهِ   عمايَــةَ خَــيراً أُمَّ كُــلِّ طَريــدِ[1]

فَلا يَزدَهيها القَومُ إِن نَزَلــوا بِهــا   وَإِن أَرسَلَ السُلطانُ كُــلَّ بَريــدِ[2]

حَمَتني مِنها كُــلُّ عَنقــاءَ عَيطَــلٍ   وَكُلُّ صَفا جَمِّ القِــلاتِ كَــؤودِ[3]

وإذاً فعماية هذا فيه "من رهبة الموت موئل"[(4)] كما أن غيره من الأماكن في فضاء الوحشية مصدر أمن وسعادة لكل طريد، وهل يُسعد القتال الكلابــــي "إلا الــبلاد الأمالس"[(5)] وكذا عبيد بن أيوب العنبري "ربته القفار البسابس"[(6)] حين استسر بهـــا[(7)] فأصبح "أخو فلوات"[(8)] ومثلهما مالك بن الريب، الذي كفاه مؤونة الخــوف "نــص العيس في البلد القفار"[(9)] وأما اهتمامهم بالزمان في فضاء الوحشية، فيكــاد يتجــه إلى

---

(1) عماية: جبل بنجد في بلاد بني كعب.

(2) يزدهيها: يستخفون بشأنها.

(3) عنقاء: صفة للهضبة وهي الطويلة المرتفعة. العيطل: الهضبة الطويلة. الصــفا: الصــخر الأملــس. القلات: جمع قلت وهي النقرة في الجبل.

(4) قال القتال الكلابـــي:

وفي باحة العنقاء أو في عماية   أو الأُدَمَى من رهبة الموت موئل

السابق، 77.

(5) قال:

على آلة ما ينبري لي مساعد   فيسعدني إلا البلاد الأمالس

السابق، 65.

(6) قال:

وصار خليل الغول بعد عداوة   صفيا وربته القفار البسابس

البسابس: جمع بسبس وهو الأرض الفضاء القفر. الحيوان، 236/6.

(7) قال عبيد بن أيوب العنبري:

وأنت طريد مستسر بقفرة   مرارا وأحيانا تصب فتظهر

مستسر: متخفٍ. منتهى الطلب من أشعار العرب، 237/3.

(8) قال عبيد بن أيوب العنبري:

أخو فلوات حالف الجن وانتحى   عن الإنس حتى قد تقضت وسائله

الوحشيات، 30.

(9) قال مالك بن الريب:

فإني سوف يكفينيك عزمي   ونص العيس في البلد القفار

الأغاني، 202/22.



المستقبل، هذا الذي يحمل أمانيهم، ويعد بانتصاراتهم في حربهم على كل ما له علاقة باستلابهم، وإبعادهم، وحرمانهم، لذا يقول تأبط شرا[1]:

إذا الحَربُ أَولَتكَ الكَليبَ فَوَلِّها كَلِيبَكَ واعلَم أَنَّها سَوفَ تَنجَلي[2]

وأما موقفهم من كائنات الصحراء، فيتشكل على نحو من القبول والألفة، لاسيما أنها – أي تلك الكائنات – تُعد في نظرهم المثل الأعلى، في القوة والجبروت، ومنها يتعلمون كيف يواجهون الصعاب، ويشقون طريقهم في فضاء الوحشية، دون ضعف أو هوان، ومن هذا المنطلق يصاحب القتال الكلابي نمرا في كهف جبل[3]:

وَلي صاحبٌ في الغارِ هَدَّكَ صاحِباً هُوَ الجَونُ إلا أَنَّهُ لا يُعَلَّلُ[4]
إذا ما التَقَينا كانَ جُلَّ حَديثِنا صِماتٌ وَطرفٌ كَالمَعابِلِ أَطحَلُ[5]
تَضَمَّنَتِ الأَروى لَنا بِطامِعِنا كِلانا لَهُ مِنها نَصيبٌ وَمَأكَلُ[6]
فَأَغلِبُهُ في صَنعَةِ الزادِ إنَّني أُميطُ الأَذى عَنهُ وَلا يَتَأَمَّلُ[7]
وَكانَت لَنا قَلتٌ بِأَرضٍ مَضِلَّةٍ شَريعَتُنا لأينا جاءَ أَوَّلُ[8]

كما أن عبيد بن أيوب العنبري يرافق الغول، فيأنس بها ويألفها[9] ويحالف

---

(1) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 95.

(2) الكليب: المكالب أي المضائق، وقد يكون مصدر كلبت الحرب أي اشتدت.

(3) ديوان القتال الكلابي، 77 – 78.

(4) هدك: كفاك. الجون: الأسود مشوب بالحمرة.

(5) الصمات: السكوت. المعابل: جمع معبلة وهي النصل الطويل العريض. أطحل: لونه كلون الطحال.

(6) الأروى: أنثى الوعل. تضمنت: تكفلت.

(7) أي لا يتساويان في معالجة الزاد فالقتال يزيل عنه الأذى والنمر يأكله على حاله دون تأمل.

(8) القلت: نقرة في الجبل يستنقع فيها الماء. مضلة: تضل المسالك فيها. الشريعة: المورد أي أينا جاء أولا شرب.

(9) قال:

ولله در الغول أي رفيقة لصاحب قفر خائف يتقتر
أنست بها لما بدت وألفتها وحتى دنت والله بالغيب أبصر

منتهى الطلب من أشعار العرب، 235/3.

الوحوش "بقرب عهودهن وبالبعاد"[1] ويحالف الجن، وينتحي عن الإنس[2] وهو بذلك يقيم علاقة مع هذه الكائنات، مؤسسة على التقبل والألفة، والجدير بالذكر أنه ليس وحده من فعل هذا، فتأبط شرا "يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنه"[3] ومالك بن حريم الهمداني يبيت "مع الثعالب حيث باتت"[4] وعبيد بن أيوب العنبري يدنو من الذئب ويألفه على نحو مماثل[5]:

أَراني وَذِئبَ القَفرِ إِلفَينِ بَعدَما … بَدَأنا كِلانا يَشمَئِزُّ وَيُذعَرُ

تَأَلَّفَني لَمّا دَنا وَأَلِفتُهُ … وَأمكَنَني لِلرَمي لَو كُنتُ أَغدِرُ

وللشنفرى علاقة خاصة مع الذئاب، تناولها في لاميته على نحو يثير الدهشة، ويدعو للعجب[6]. وهكذا فالمتحول هو ذلك الإنسان الذي عانى ويلات السلب، فانتقل إلى فضاء الوحشية؛ من أجل استرداد كيانه، وهو في أثناء ذلك يبحث عن المصدر، الذي سيمده بالقوة، والتحقق، والحضور.

والتحول بهذا المعنى سفر في المكان، يتم به الانفصال من جهة، والاتصال من جهة أخرى، أي التحرر من العلاقة بالمجتمع، وإقامة علائق أخرى بفضاء وحشي، يُكسب

---

(1) قال:

وحالفت الوحوش وحالفتني … بقرب عهودهن وبالبعاد

الحيوان، 159/6.

(2) قال:

أخو قفرات حالف الجن وانتفى … من الإنس حتى قد تقضت وسائله

الحيوان، 235/6.

(3) قال:

يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنه … ويصبح لا يحمي لها الدهر مرتعا

ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 39.

(4) قال:

نبيت مع الثعالب حيث باتت … ونجعل صمغ عرفطهن زادا

ديوان مالك بن حريم الهمداني، 44.

(5) منتهى الطلب من أشعار العرب، 235/3.

(6) انظر: ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 59 – 60.



المتحول إليه طريقة جديدة في الحياة، وتغيرا في الفكر، وفي الموقف من الوجود، وكـــذا عددا من الوسائل الناجعة، والبدائل المضادة.

ولعل ما يميز حالة التحول هو كونها يتحقق فيها نوع من الانتماء، وبناء الـــذات، ولكنها - في الوقت نفسه - تشهد انقلابا في التكوين العميق للإنسان، لذا فـــالتحول نحو الوحشية حالة يختلط فيها الشعور بالسعادة والبؤس، لأنه بقدر ما يكون هنالك بناء لذات جديدة، يكون هنالك انهدام لذات قديمة، وهذا البناء والانهدام في آن، يخلـــق في المتحول مزاجا معتكرا، وهما مطبقا.



التأسيس

(1)

يتم التأسيس لموضوع ما بأن تأخذه الذات بعد التخلي عن موضـــوع آخـــر، ثم تتحد به، لتقدمه كأفضل خيار، ولتفرضه بحســـن التقـــديم، وقـــوة الأداة. ومراحـــل التأسيس، هي: الاستبدال، والتماهي، والتبشير. أما الاستبدال فتم بالتخلي عن المأنوس، ثم الأخذ بالوحشي رؤية وممارسة، وغاية الاستبدال رفض الموضوع المتخلـــى عنـــه، باعتباره مهدرا للذات، والانحياز إلى ضده طلبا للمدد، واستردادا للقيمـــة المســـلوبة، والمستبدِل – من جهة – مستوعب للنقيضين: الميل والتخلي، ومسكون بنشوة العبـــور من النقيض إلى النقيض – ومن جهة أخرى – يعمل على مستوى العلاقـــات يقطـــع، ويعقد، مزهوا بكونه يمارس حرية، ويختار مصيرا، ويقرر عن قناعة إلى أين سيمضـــي. ونلاحظ مجموعة من الأشياء يستبدل بها المتوحش أشياء أخرى، لعل أولهـــا اســـتبدال الوحش بالإنسان، يقول الشنفرى في لاميته[1]:

وَلي دونَكُم أَهلَونَ ســـيدٌ عَمَلَّـــسٌ　　　وَأَرقَطُ زُهلولٌ وَعَرفـــاءُ جَيـــأَلُ[2]

والأحيمر السعدي واحد من أولئك الذين انقلبت لديهم الأحوال، والأوضـــاع، فأصبحت الوحشة والانفراد لديهم بديلا عن الناس[3]:

(1) ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 55.

(2) السيد: الذئب. العملس: الخفيف السريع. أرقط: ذو لونين مختلفين ويريد به النمـــر. الزهلـــول: الأملس. العرفاء: الضبع. الجيأل: الضخم.

(3) الحماسة البصرية، 1552/4.



أوحـــشَ النـــاسُ جـــانبيَّ فمـــا آ ــــــسُ إلا بوحشـــــتي وانفـــــرادي

وفي موضع آخر يستأنس بالعواء وينفر من صوت الإنسان[1]:

عَوى الذِئبُ فَاستَأنَستُ بِالذِئبِ إِذا عَوى ــــــ وصَـــوَّتَ إِنســــانٌ فَكِـــدتُ أَطـــيرُ

وثاني الأشياء التي استبدلوها بالمأنوس، الأمـــاكن الموحشـــة، كالصـــحاري، والمراقب، والكهوف، حيث أصبحت أكثر أمانا من مكان القبيلة، ولعلهم جميعـــا يشتركون في عدم التمسك بالأماكن التي لفحتهم فيها نار الذل، والهوان. يقـــول عبيد الله الجعفي[2]:

لا كوفَةٌ أُمّـــي وَلا بَصـــرَةٌ أَبـــــي ــــــ ولا أنا يثنيني عن الرحلـــةِ الكَسَـــلُ

وقد استبدل بكر بن النطاح بالكرج فلوات الأرض[3]:

دَعيني أَجـــوبُ الأَرضَ في فَلَواتِهـــا ــــــ فَما الكَرجُ الدُنيا وَلا الناسُ قاسِـــمُ

ولئن كان عنترة بن شداد قد عاش في مضارب القبيلة، فإنه – في واقع الأمـــر – امتلأ برؤية وحشية، لم تقصِّر به عن أن يكون في عداد المتوحشين، وقد كان حبه لعبلة غال فيه هذه الروح، وشده إلى حيث الرضى بالسكنى بين أجمال القبيلة، مع أنه كـــان نزاعا إلى الانفصال والمفارقة؛ بدليل قوله[4]:

*** وإذا نزلـــــــتَ بـــــــدارِ ذلٍ فارحـــــــلِ ***

وقوله[5]:

احذرْ محلَّ الســـوءِ لا تحلـــلْ بـــه ــــــ وإذا نبـــا بـــك منـــزلٌ فتحـــوَّلِ

وثالث الأشياء التي استبدلوها بالمأنوس، الليل بديلا عن النهار، ذلك أن الحياة تنشط في الليل، فتخرج الهوام، والوحوش باحثة عن طعامهـــا، وكـــذلك فعـــل المتوحشون، الباحثون عن غنيمة، أو شيء يسدون به الرمق، أثناء الليل، لذا يقـــول

(1) الوحشيات، 34.
(2) معجم البلدان، 364.
(3) ديوان بكر بن النطاح، 263.
(4) ديوان عنترة، 333.
(5) ديوان عنترة، 314.

عبيد بن أيوب العنبري[1]:

يَظَـــلُّ ولا يَبـــدو لِشَـــيءٍ نَهـــارَهُ وَلَكِنَّما يَنبـــاعُ وَاللَّيـــلُ دامِـــسُ[2]

ومثله الشنفرى يستأنس بالليل، على خلاف الرجل الجبان، الذي يستوحش منـــه فيخلد إلى فراشه[3]:

إِذا أَوحَشَ اللَّيلُ الهِـــدانَ وَجَـــدتني هو الأُنسُ لي والمَشـــرفِيُّ المُهَنَّـــدُ[4]

كما أنه ينعب أثناء الليل إلى ذرى المراقب، ممتلئـــا بهمـــه الطـــاعن في الجريمـــة، والفتك[5]:

نَعَبتُ إلى أَدنى ذُراهـــا وَقَـــد دَنـــا مِنَ اللَيلِ مُلتَفُّ الحَديَقةِ أَســـدَفُ[6]

وكذا القتال الكلابـــي[7]:

إِذا هَمَّ هَمّاً لَم يَـــرِ اللَيـــلَ غُمَّـــةً عَلَيهِ وَلَم تَصعُب عَلَيـــهِ المَراكِـــبُ

وعمرو بن براقة إذا أظلم الليل؛ وجدته في الساعات الموحشات، يطفـــح غوايـــة وشرا[8]:

إِذا اللَيلُ أَدجى وَاكفَهَـــرَّ ظَلامُـــهُ وَصاحَ مِنَ الأَفراطِ بومٌ جَـــواثِمُ[9]

وَمالَ بِأَصحابِ الكَـــرى غالِباتُـــهُ فَإِنّي عَلى أَمرِ الغَوايَـــةِ حـــازِمُ[10]

وما يدفعه لذلك السلوك إنما هو الفقر، وكونه يمتلك القوة، والأداة، التي من شأنها أن توصله إلى ما يريد، ومادام الأمر كذلك، إذاً كيف يصبر[11]:

---

(1) الحيوان، 236/6.

(2) ينباع: أي ينطلق، ويقال انباع الرجل إذا وثب بعد سكون.

(3) مما نسب إليه ولم يذكر في ديوانه.

(4) الهدان: الجبان. المشرفي المهند: السيف منسوب إلى الهند.

(5) ديوان الشنفرى، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، 53.

(6) نعبت: رفعت رأسي. الأسدف: المظلم.

(7) ديوان القتال الكلابـــي، 29.

(8) منتهى الطلب من أشعار العرب، 200/4.

(9) أدجى: أظلم. اكفهر: تراكب. الأفراط: جمع فُرُط وهو جُبيل صغير. جواثم: روابض.

(10) الكرى: النوم.

(11) الوحشيات، 31.



وَكَيفَ يَنامُ اللَيلَ مَـــن جُــلُّ مالِــهِ حُسامٌ كَلَونِ المِلحِ أَبــيَضُ صــارِمُ

ويخاطب الخطيم المحرزي صاحبه، يستحثه على المسرى بالليل[1]:

فَقُلتُ لَهُ كَيــفَ الإِناخَــةُ بَعــدَما حَدا اللَيلُ عَريانُ الطَريقَةِ مُنجَلي[2]

وأما رابع الأشياء التي استبدلوها بالمأنوس، فهي الحركة – أقصد السرى – بديلا عن الإقامة، ذلك أنهم في فضاء الوحشية، بلا مأوى يخلدون إليه، وإنما همهم في كـــل لحظة البحث الدائب عما يقيمون به أودهم، ويسدون به جـــوعهم، ويــروون بـــه عطشهم، ولكن في الحدود الدنيا، لأنهم وطنوا أنفسهم على الظروف القاسية، وإضافة إلى هذا فهم مسكونون بهم القتال، والرحيل من مكان إلى آخر، فتأبط شرا[3]:

يَظَــلُّ بِمَومــاةٍ وَيُمســي بِغَيرِهــا جَحيشاً وَيَعروري ظُهورَ المَهالِكِ[4]

ويقول عبيد الله الجعفي قريبا من هذا المعنى[5]:

أَلَم تَرَني بِعــتُ الإِقامَــةَ بِالسُّــرى وَلينَ الحَشــايا بِالجِيــادِ الضَّــوامِرِ

وكذا كان القتال الكلابـــي الذي وصف حاله قائلا[6]:

ولا تـــــزالُ آخـــــرَ الليــــــالي
قلوصُــــــه تعثــــــرُ في النِّقــــــال[7]

لقد استبدل المتوحشون القسوة باللين، ومرارة العيش بحلاوته، والسرى بالإقامة، وعليه ففضاء الوحشية على ما فيه من التحقق، وبناء الكينونات، والنأي عن القبيلة، وما لها من سلطة سالبة، والطلاب، وما لهم من ثأر يطلبونه، إلا أنــه – أقصــد فضــاء الوحشية – معجون بالرهق، والمكابدة، يقول القتال الباهلي[8]:

(1) منتهى الطلب من أشعار العرب، 261/3.
(2) الإناخة: حط الرحال.
(3) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 56.
(4) الموماة: المفازة التي لا ماء فيها. جحيشا: وحيدا. يعروري: يركب.
(5) الحماسة الشجرية، 107.
(6) ديوان القتال الكلابـــي، 83.
(7) القلوص من الإبل: الجذعة فما دونها.
(8) المؤتلف والمختلف، 219.



تقولُ ابنة البكــريِّ لمــا بــدا لنــا لدى السترِ منــها لمَّــةٌ وبنــان[1]

أراكَ ظللتَ اليوم أســودَ شــاحباً طريدَ دمٍ يُرمى بــك الرَّجــوان[2]

أخا سفرٍ يشكو الكَــلال ركابُــه تبدَّلَ مــرَّ العــيشِ بعــد ليــان[3]

(2)

يتماهى المتوحش مع موضوعه، أو يتحد به، ليحوز النموذج الوحشي، ولتصبح الذات من ثم قادرة على البطش بعالم المأنوس، على نحو جبار، وأول ما يمكن ملاحظته في هذا الشأن هو حالة الانفراد، فالمتماهي مع الوحشية يحتاج أولا وقبل كل شيء، إلى أن يأنس بوحدته في المهامه والقفار. وهكذا كان الأحيمر السعدي عندما قال: "فما آنس إلا بوحشتي وانفرادي"[4] وعندما قال أيضا[5]:

لوْ تــراني بِــذي المجــازةِ فــرْدا وذِراع ابنــة الفــلاةِ وِســادي[6]

وأما عبيد بن أيوب العنبري فيحشد في نص واحد، عددا من الرموز التي يعبر من خلالها عن كونه يعيش حالة من العزلة، والانفراد، فمرة يقول[7]:

وأَصبَحتُ مِثلَ السَهمِ في قَعرِ جَعبَةٍ نَضِيّاً فضــاً قَد طــالَ فيها قَلاقِلُه[8]

---

(1) اللمة من شعر الرأس: هو الذي يلم بالمنكبين. والبنان: أطراف الأصابع.

(2) يقال: رمى به الرجوان: أي استهين به، والرجوان: مثنى رجا: وهو الناحية، أو ناحية البئر من أعلاها إلى أسفلها.

(3) الكلال: الضعف. الركاب: مطايا السفر. الليان: رخاء العيش.

(4) قال:

أوحش الناس جانبــي فما آ نس إلا بوحشتي وانفرادي

الحماسة البصرية، 1552/4.

(5) السابق، 1552/4.

(6) ذو المجازة: واد وقرية من أرض اليمامة. ابنة الفلاة: الناقة.

(7) منتهى الطلب من أشعار العرب، 238/3.

(8) الجعبة: كنانة السهم. السهم النضي: الذي لا سهم فيه. قلاقله: تحركه واضطرابه.

وفي مرة ثانية يُعد نفسه كالصقر "أهابوا به فازداد بعدا"[1] وفي مرة ثالثة كالسيف زهد فيه الأصحاب، فهام وحيدا[2]:

أزاهـــــدة فيَّ الأخـــــلاءُ أنْ رأتْ فتىً مُطْردا قــد أســلمته تبائلــه[3]

وقد تزهدُ الفتيانُ في السيفِ لم يكن كَهاماً ولم تَعْمل بغِــشٍّ صــياقله[4]

كما أن بكر بن النطاح يشير إلى أنه كان والناس مثل الكف والبنان، ولكنه صار في ابتعاده عنهم؛ كالكف مفردة بغير بنان[5]:

كنــا وكنـــتم كالبنـــان وكفِّهـــا فـــالكفُّ مفــردةٌ بغـــيرِ بنـــان

وأما تأبط شرا فيتنقل عبر الصحاري والقفار "جحيشا"[6] أي وحيدا منفردا، وإذا كان كل من عبيد بن أيوب العنبري، وبكر بن النطاح، قد أفصحا عن حالة الانفـــراد هذه في غير قليل من الحزن، فإن تأبط شرا يتحدث عنها على نحو من القوة، ورباطـــة الجأش، إذ يقول[7]:

يركب الهولَ وحيــداً ولا يصْـــ ـــحبه إلا اليمـــانيُّ الأفـــلُّ[8]

وأما طهمان بن عمرو الكلابـــي وصاحبه فإنه يسلك بهذا الانفراد مسلكا ضاربا في الوحشية، إذْ هما في الغربة، والعزلة، والسير في أكثر الأماكن بعدا عن الناس، ليســا غير وحشين[9]:

---

(1) قال:

فإني وبغضي الإنس من بعد حبها وأبي ممن كنت ما إن أزايله
لكالصقر جلى بعدما صـــاد فتية قديرا ومشويا ترف خرادله

السابق، 241/3.

(2) السابق، 242/3.

(3) التبائل: جمع تبل، وهو العداوة والثأر.

(4) السيف الكهام: الذي لا يقطع. وصقل السيف: جلاه.

(5) الأغاني، 90/19.

(6) قال: يظل بموماة ويمسي بغيرها جحيشا ويعروري ظهور المهالك
ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 52.

(7) السابق، 64.

(8) الأفل: المنثلم من كثرة الضرب به.

(9) ديوان طهمان بن عمرو الكلابـــي، 61.

غريبان مجفوَّان أكثر همّنا — وجيفُ مطايانا بكل مكان[1]

فمن يرى مُمْسانا ومَلقى ركابنا — من الناس يعلم أننا سَبُعان

ومثل هذا الانفراد؛ بقدر ما فيه من محاولة لتوطين الذات على الوحشة، والاستقلال، حتى تكتسب تجربتها الخاصة، وتبني عزيمة مشحونة بالهواجس الوحشية، إلا أنه يبقى انفرادا فيه ما فيه من المغامرة، والمواجهة غير المتكافئة مع الناس، ما يجعل الذات في حالة حذر دائم، وهروب مستمر، يقول عبيد بن أيوب العنبري[2]:

ولو كنتُ لا أخشى سوى فردِ معشرٍ — لقرَّ فؤادي واطمأنتْ بلابله

ويذكر ما يلاقيه وحيدا من الخوف الذي يثيره في نفسه طلاب دمه ذوو الحنق الذين كما يقول: "يرمون نحوي من غيظ بأبصار"[3] ومثله تأبط شرا، إذ يقول: "ولو كان قرني واحدا لكفيته"[4] ومن جهة أخرى كان الانفراد على ما فيه من المعاناة يُعد مفخرة، ما فتئ المتوحشون يعلنون من خلالها قوة نفوسهم، وصلابة أجسادهم، وقدرتهم الفائقة على تحمل أعباء قرار انفصالهم. يقول مالك بن الريب في هذا المعنى[5]:

يَقولُ المُشفِقونَ عَلَيَّ حَتّى — مَتى تَلقى الجُنودَ بِغَيرِ جُندِ

وَما من كانَ ذا سَيفٍ وَرُمحٍ — وَطابَ بِنَفسِهِ مَوتاً بِفَردِ

---

(1) الوجيف: ضرب من سير الإبل والخيل.

(2) منتهى الطلب من أشعار العرب، 239/3.

(3) قال:

ليت الذي سخرت مني ومن جملي — ذاقت كما ذقت من خوف وأسفار

ومن طِلاب وطُلاب ذوي حنق — يرمون نحوي من غيظ بأبصار

السابق، 243/3.

(4) قال:

ولو كان قرني واحدا لكفيته — وما ارتجعوا لو كان في القوم مطمع

ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 42.

(5) التذكرة السعدية في الأشعار العربية، 216.

كما أن عبيد الله الجعفي يفخر بمقاتلة أعدائه وحده[1]:

وما كنتُ وقافاً ولكــن مبــارزاً   أقاتلهم وحــدي فــرادى وثانيــا

ولعل عنترة بن شداد، واحد من أولئك الذين لم يفارقوا القبيلة، إلا أنه جرى على رؤيته ما جرى على غيرها لدى المتمردين السود، من استيحاش، وانفراد، وجنـــوح إلى القوة، لإثبات النجابة، ولتأكيد الذات، والملاحظ أنه يفخر بانفراده أيضا، وبمصـــاحبته السيف[2]:

إن كُنتَ أَنتَ قَطَعتَ بَـــرّاً مُقفَـــراً   وَسَلَكتَهُ تَحتَ الدُجى في جَحفَـــلِ

فَأَنا سَـــرَيتُ مَـــعَ الثُرَيّـــا مُفــرَداً   لا مُؤنِسٌ لي غَـــيرَ حَـــدِّ المُنصُـــلِ

ويقول في المعنى ذاته[3]:

كَم لَيلَةٍ سِرتُ في البَيــداءِ مُنفَــرِداً   وَاللَيلُ لِلغَرب قَد مالَــت كَواكِبُـــهُ

سَيفي أَنيسي وَرُمحي كُلَّما نَهِمَـــت   أُسدُ الدِحالِ إِلَيها مـــالَ جانِبُـــهُ[4]

والمتماهي مع الوحشية إضافة إلى انفراده وعزلته، يتصـــف بـــبعض الصـــفات الجسدية، منها أنه "ضئيل الشخص، ضامر الجسم عاريا"[5] لما لحقه من الظمأ، والجوع، والخوف، وطالما ذكر المتماهون مع الوحشية مثل هذه الصفة الجسدية فيهم، فتأبط شرا لشدة جوعه[6]:

مـــا إنْ يمـــسُّ الأرضَ إلا منكـــبٌ   منه وحرْف الساق طيَّ المِحمـــلِ[7]

---

(1) معجم البلدان، 38/2.

(2) ديوان عنترة، 340.

(3) ديوان عنترة، 140 – 141.

(4) الدحال: واحدها دحل وهو مجال ضيق بين الجبال تخرج منه الأسود باحثة عن صيد تصيده.

(5) قال:

رأين ضئيل الشخص يظهر مرة   ويخفى مرارا ضامر الجسم عاريا

الحيوان، 166/6.

(6) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 89.

(7) المنكب: مجتمع رأس الكتف والعضد. المحمل: محمل السيف. يقصد أنه إذا اضطجع لم يمس الأرض إلا منكبه وحرف ساقه دون بطنه لهزاله.

ويصف نفسه بأنه "شاحِبٌ، بادي الجَناجنِ ناشِزُ الشُرسوفِ"[1] وفي موضع آخر بأنه "أشعث أغبرا"[2] وبالمثل فإن الشنفرى تبدو عليه سيماء التشرد، والجوع، والفقر المدقع، إلى درجة أن شَعَرَه[3]:

بَعيدٌ بِمَسَّ الدُهنِ وَالفَلْــيُ عَهــدُهُ   لَهُ عَبَسٌ عافٍ مِنَ الغِسلِ مُحولُ[4]

وعنترة بن شداد لا يختلف عن الشنفرى كثيرا إذ هو[5]:

شَــعِثِ المَفــارِقِ مُنــهَجٍ سِــربالُهُ   لَم يَدَّهِن حَــولاً وَلَــم يَتَرَجَّــلِ[6]

وعبيد بن أيوب العنبري لا يختلف عن أصحابه المتوحشين، ذلك أنه "خَلَقَ الدرسين أَشعَثَ شاحِباً"[7] بل إنه ليتحول بسبب من وحشيته، إلى مسخ تضيع معالم الإنسان فيه، فيبدو كما لو كان كائنا عصيا على التصنيف[8]:

فَلَــيسَ بِجنِــيّ فَيُعــرَفُ شَــكلُهُ   وَلا أَنَسِــيٍّ تَحتَويــهِ المَجــالِسُ

---

(1) قال:

ما إن أراك وأنت إلا شاحب   بادي الجناجن ناشز الشرسوف

الجناجن: عظام الصدر. الشرسوف: رأس الضلع مما يلي البطن. وقوله: "بادي الجَناجِنِ ناشِزُ الشُرسوفِ" كناية عن الجوع والهزال.

تأبط شرا وأخباره، علي ذو الفقار شاكر، 120.

(2) قال:

ألا عجب الفتيان من أم مالك   تقول أراك اليوم أشعث أغبرا

ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 26.

(3) ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 64.

(4) الدهن: الطيب. العبس: ما يعلق بأذناب الإبل وإليات الشاء من الأوساخ فيجف عليها. عاف: كثير. الغِسل: ما يغسل به الرأس والجلد. الفلي: من فلى رأسه إذا نقاه من القمل. محول: مر عليه الحول أي السنة.

(5) ديوان عنترة، 91.

(6) شعث المفارق: مغبر شعره. منهج سرباله: ثوبه بالٍ. لم يترجل: لم يسرح شعره. الحول: السنة.

(7) قال:

رأت خلق الدرسين أسود شاحبا   من القوم بساما كريم الشمائل

الخَلَق: البالي. الدرس: الثوب البالي. الحماسة البصرية، 337/1.

(8) الحيوان، 236/6.



ولعل من أبرز ما امتاز به المتوحشون قوة أجسادهم، فعلى الرغم مما كابدوا من الجوع، والظمإ، والخوف، وعلى الرغم مما بليت به تلك الأجساد من النحول، فإنهم كانوا في كامل نشاطهم، وفي ذروة تأهبهم، وقوة نفوسهم، تجلى ذلك في "سرعة عدوهم" حتى لقد ضُرب المثل بشدة عدو بعضهم، فقالوا: أعدى من السليك، وأعدى من الشنفرى[1] وقد عَدَّ حبيب الأعلم نفسه لا ينجو نجاءه غداة لقي أعداءه بعض الرجال[2]، بل كأن ملاءتيه ساعتئذ على ظليم ترفرف لسرعة عدوه[3]، وأما أبو خراش الهذلي فلا يعدو مثله حتى حمار الوحش، فائق السرعة[4] وهو إن رفع ساقه عاديا فإنه يرفع "ساقا لا يخاف عثارها"[5]، بل كأن بزه على واحدة من العقبان السريعة[6]، ولولا شدة سرعته تلك لكان قد قُتل، ولأصبحت حليلته في حال آخر[7]:

فَلَولا دِراكُ الشَدِّ آضت حَليلَتي تَخَيَّرُ في خُطّابِها وَهِيَ أَيِّمُ[8]

---

(1) انظر: مجمع الأمثال، الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، ت 518هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، 1374هـ، 46/2 – 47.

(2) قال:

فلا وأبيك لا ينجو نجائي غداة لقيتهم بعض الرجال

ديوان الهذليين، 83/2.

(3) قال:

كأن ملاءتي على هزف يعُن مع العشية للرئال

الهزف: الظليم أي ولد الظبي. يعن: يعترض. الرئال: فراخ النعام.

السابق، 83/2.

(4) قال:

أقبلت لا يشتد شدي واحد عِلج أقبُّ مسير الأقراب

مسير الأقراب: فيه خطوط. أقبّ: ضامر.

السابق، 169/2.

(5) قال:

ورفعت ساقا لا يُخاف عثارها وطرحت عني بالعراء ثيابي

السابق، 168/2

(6) قال: كأني إذْ عَدَوا ضمّنت بزي من العقبان خائتة طلوبا

ضمنت بزي: أي جعلته ضمن. البز: السلاح. خائتة: أي منقضة. طلوبا: تطلب الصيد. السابق، 133/2.

(7) الأغاني، 149/21.

(8) آضت: رجعت إلى أهلها. حليلته: زوجته. أيم: أرملة.



فتسخط أَو تَرضى مَكــاني خَليفَــةً وَكادَ خِـراشٌ عنــد ذلِــكَ يَيــتَمُ

وتأبط شرا لا شيء أسرع منه، لذا فهو[1]:

يَفــــوتُ الجِيــــادَ بِتَقريبِــــهِ وَيَكســـو هَوادِيَهـــا القَسْـــطَلا[2]

لاشك أن هذه الصفة محل فخر بالنسبة للمتوحشين، لاسيما أنهم بها يعودون إلى الطبيعة، إذ يحاكون وحوشها في السرعة، وقوة البأس، خاصة الذئب، وقد قالت العرب "أعدى من الذئب"[3] لذا يفتخر حاجز الأزدي[4] بمثل هذه الصفة الجليلة فيه – حسب وجهة نظره – فيقول[5]:

فدىً لكما رجلــيَّ أُمــي وَخــالَتي بسَعْيِكُمــا بين الصَّفــا والأثائب[6]

فغــير قِتــالي في المَضِــيق أَغــاثَني وَلكنْ صريح العدو غير الأكــاذب

وأما عن الأوصاف النفسية للمتوحش، فلعل أبرزها أنه "حوش الجنان"[7] "يقــظ الفؤاد"[8] إلى درجة أنه لو رميت له حصاة إذ هو نائم، لانتصب لها واقفا على الشــر،

(1) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 59.

(2) التقريب: ضرب من العدو عند بعض الحيوان. الهوادي: جمع الهادية وهي العنق. القسطل: الغبــار الساطع في الحرب.

(3) مجمع الأمثال، 45.

(4) هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأختم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران بن عوف بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد. شاعر جاهليّ مقلّ، ليس مـــن مشهوري الشعراء، وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب، وممن كان يعدو على رجليــه عدوا يستبق به الخيل، ومن أغربة العرب سرى إليه السواد من أمه. (نسب معد والــيمن الكــبير 507/2، والأغاني 147/13، ومنتهى الطلب 295/8)

(5) الأغاني، 150/13 – 151.

(6) الأثائب: شجر ينبت في بطون الأودية.

(7) قال تأبط شرا: فأتت به حوش الجنان مبطنا سهدا إذا ما نام ليل الهوجل

حوش الجنان: أي فؤاده وحشي. الهوجل: الثقيل.

ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 92.

(8) قال مالك بن الريب:

يقظ الفؤاد إذا القلوب تآنست جزعا ونُبه كل أروع باسل

الأغاني، 206/22.



يحسب العالم قد انكظ من حوله[1]:

وإذا قــذفتَ لَــهُ الحَصــاةَ رَأَيتــهُ يَنزو لِــوَقعَتِهــا طُمورَ الأَخيَــلِ[2]

وإذا رَمَيتَ بِــهِ الفِجــاجَ رَأَيتَــهُ يهوِي مَخارِمَهــا هُوَيَّ الأَجــدَلِ[3]

وإذا يَهُـــبُّ مِـــنَ المَنــامِ رَأَيتَــهُ كَرُتوبِ كَعبِ الساقِ لَيسَ بزُمَّــلِ[4]

ويفخر تأبط شرا بيقظته المتناهية، التي تشبه يقظة الذئب[5]:

إِذا خاطَ عَينَيهِ كَرى النَومِ لَم يَــزَل لَهُ كالِئٌ مِن قَلبِ شَيحانَ فاتِــكِ[6]

والمتوحشون قساة، بلغوا في ذلك الدرجة القصوى، فالقتال الكلابــي صــاحب نفس شرسة[7]، وقال صاحب الأغاني عنه: "القتال لقب غلب عليه لتمرده وفتكــه"[8] وقال عن قيس بن الحدادية: "كان فاتكاً شجاعاً صعلوكا خليعا"[9] وعن بكــر بــن النطاح: "كان بكر فاتكاً صعلوكاً"[10] وعن تأبط شرا "كان فاتكاً شديداً"[11] وعــن فضالة بن شريك[12] "كان شاعرا فاتكا صعلوكا"[13] وهنالك عدد من المتوحشــين،

---

(1) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 92.

(2) نزا: وثب. طمور: وثوب. الأخيل: طائر أخضر يُتشاءم منه.

(3) الفجاج: الطرق. المخارم: أنوف الجبال. الأجدل: الصقر.

(4) الرتوب: الانتصاب. الزمل: الضعيف.

(5) السابق، 53.

(6) الكرى: النوم الخفيف. كالئ: حافظ. الشيحان: الحازم.

(7) قال:

رددت على المكروه نفسا شريسة إذا وطنت لم تستقد للتذلل

ديوان القتال الكلابــي، 75.

(8) الأغاني، 91/23.

(9) السابق، 93/14.

(10) السابق، 83/19.

(11) السابق، 99/21.

(12) هو فضالة بن شريك بن سلمان بن خويلد بن سلمة بن عامر الموقد بن نمير بن أسامة بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد. وهو كوفي وشعره حجة، وكان مخضــرما أدرك الجاهليــة والإسلام وكان شاعرا فاتكا صعلوكا. (معجم الشعراء 217، وتاريخ مدينة دمشق لابن عســاكر 283/48، والأغاني 48/12، خزانة الأدب 67/4).

(13) السابق، 48/12.



وصفهم بالفتك منهم: يعلى الأحول الأزدي[1]، ومالك بن الريب، وعبد الله بن الحجاج، وغيرهم.

وهؤلاء المتوحشون يسلكون سلوكا آخر، موغلا في الوحشية، هو "العراك" حيث إنهم لطول ما وجدوا أنفسهم مضطرين لمواجهات شرسة مع وحوش الصحراء، فقد اعتادوا على المعاركة، التي نقلوها – بدورهم – إلى بني جنسهم. يقول عبيد بن أيوب العنبري متحدثا عن عراكه مع الوحوش[2]:

وقَد لقيتْ مِنّي السباعُ بليةً … وَقَد لاقَت الغيلانُ مِنّي الدَّواهِيا
وَمِنهُنَّ قَد لاقَيتُ ذاكَ فَلَم أَكُن … جَباناً إِذا هَولُ الجَبانِ اعتَرانيا
أَذقتُ المَنايا بَعضَهُنَّ بِأَسهُمي … وَقَدَّدنَ لحمي وَامتَشَقنَ رِدائِيا

كما أن مالك بن الريب يعارك الذئب، ثم يقول له[3]:

فأنتَ وإن كنتَ الجريء جنانه … مُنيت بضرغامٍ من الأُسد الغُلْبِ

وفي مرة أخرى يعارك إنسانا، ويقول له[4]:

أَنَّى أُنِخْتَ لِشابكٍ أَنيابَهُ … مُستَأنِسٍ بِدُجى الظَلامِ منازِلِ

وهكذا ليس تخلو أشعارهم من قصص العراك والمنازلة، سواء مع أقرانهم، أو مع الحيوانات المفترسة، أو حتى مع الأغوال والسعالي، ولقد انتبهوا إلى مثل هذا السلوك في حياتهم، فأخبر تأبط شرا بأنه "أطال نزال الموت حتى تسعسعا"[5] ومثله جحدر العكلي

(1) هو يعلى الأحول بن مسلم بن أبي قيس، أحد بني يشكر بن عمرو بن رالان – ورالان هو يشكر – ويشكر لقبٌ لُقِّب به – بن عمران بن عمرو بن عدي بن حارثة بن لوذان بن كهف الظلام بن ثعلبة بن عمرو بن عامر. شَاعِر لص فاتك خارب خليع من شعراء الدولة الأموية (معجم البلدان 329/3، خزانة الأدب للبغدادي 277/5، والأغاني 104/22).

(2) الحيوان، 166/6

(3) الأغاني، 207/22

(4) السابق، 206/22

(5) قال: على غرة أو نهزة من مكانس … أطال نزال الموت حتى تسعسعا
الغرة: الغفلة. النهزة: الفرصة. المكانس: الملازم للكناس وهو مأوى الكناس في الشجر. تسعسع: من قولهم تسعسع الشهر إذا ولى أكثره.
ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 39.

حين يقر: "إن النزال سجيتي"[1] ومالك بن الريب حيث هو "مستأنس بدجى الظلام منازل"[2] وكذا عبيد بن أيوب العنبري الذي هو "غول على من ينازله"[3] وكذلك عبيد الله الجعفي إذ يطاعن "كل خرق منازل"[4] ويقول: "ضاربت أبطالا ونازلت من نزل"[5].

ومن المسالك الوحشية التي شاعت في حياة المتوحشين "السهاد"، حيث إنهم لما انفردوا في المهامه والقفار، ولم يكن لهم بيوت يأوون إليها، فتحميهم من الحر، والبرد، والرياح، والحيوانات المفترسة، وحيث لم يكن في وسعهم إلا النوم في مراتع الوحوش، فقد أُسلموا لسهاد أطول من لحظات النوم، وليقظة أقوى من حالات الغفلة، لذا طالما سهروا الليالي، إما طلبا لشيء، وإما اتقاء لخطر داهم، وعليه فإن تأبط شرا لطول ما سهر في الليل وسار فيه، فقد أمسى "لابس الليل أروعا"[6] وحينما يمتدح رفيقه؛ يمتدحه

---

(1) قال:

نازلته إن النزال سجيتي   إني لمن سلفي على منهاج

الحماسة البصرية، 1509/3.

(2) قال:

أبن أُختَ لشابك أنيابه   مستأنس بدجى الظلام منازل

ديوان مالك بن الريب، 83.

(3) قال:

فقلت تنكبن الطريق لمختط   أخي شقة غول على من ينازله

منتهى الطلب من أشعار العرب، 241/3.

(4) قال:

فلو مت في قومي ولم آت عجزة   يُضعِّفني فيها امرؤ غير عادل

لأَكْرِمْ بها من ميتة إن لقيتها   أطاعن فيها كل خرق منازل

الخِرق: الظريف سماحة ونجدة. السابق، 313/3.

(5) قال:

وبارزت أقواما بقصر مقاتل   وضاربت أبطالا ونازلت من نزل

معجم البلدان، 364/4.

(6) قال:

فلم تر من رأي فتيلا وحاذرت   تأيمها من لابس الليل أروعا

ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 38.



بالوحشية التي ولد بها، وبالسهد الذي ملأ قلبه[1]:

فَأَتَت بِهِ حوشَ الجَنانِ مُبَطَّنا ... سُهُدا إِذا ما نامَ لَيلُ الهَوجَلِ[2]

وأما عنترة بن شداد فقد كانت له: "عين نومها أبدا قليل"[3]، وعليه فتارة ينصح، قائلا: "ولا تملأ جفونك بالرقاد"[4] وتارة أخرى يتساءل: "وَكَيفَ أَنامُ اللَيلَ"[5] كما سأل السؤال ذاته عمرو بن براقة: "وَكَيفَ يَنامُ اللَيلَ مَن جُلُّ مالِهِ حُسامٌ"[6] وكما سأل السؤال نفسه عروة بن الورد: "وكيف ينام الليل من كان معسرا"[7] ويظهر في هذا السياق عبيد بن أيوب العنبري "قليل رقاد العين"[8] وكذا تأبط شرا "قليل غرار النوم"[9] ومالك بن الريب سهران أبدا "كالذئب في غلس

---

(1) السابق، 88.

(2) حوش الجنان: أي فؤاده وحشي. الهوجل: الثقيل.

(3) قال:

فؤاد ليس يثنيه العذول ... وعين نومها أبدا قليل

ديوان عنترة، 336.

(4) قال:

فكن يا عمرو منه على حذار ... ولا تملأ جفونك بالرقاد

السابق، 188.

(5) قال:

وكيف أنام الليل من دون ثأره ... وقد كان ذخري في الخطوب الكبائر

السابق، 247.

(6) قال:

وكيف ينام الليل من كان جل ماله ... حسام كلون الملح أبيض صارم

الوحشيات، 31.

(7) قال:

ولا ترض من عيش بدون ولا تنم ... وكيف ينام الليل من كان معسرا

الحماسة البصرية، 336/1.

(8) قال:

قليل رقاد العين تراك بلدة ... إلى جوز أخرى لا تبن منازله

منتهى الطلب من أشعار العرب، 240/3.

(9) قال:

قليل غرار النوم أكثر همه ... دم الثأر أو يلقى كميا مسفعا

الغرار: القليل من النوم. المسفع: المتغير لون الوجه. ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 38.



الظلام الخاتل"[1] وأما الأحيمر السعدي فيذكر حالة السهاد هذه، مقرونة بالمشقة، والمعاناة، التي يجدها جراء ذلك[2]:

حظٌّ عيني من الكرى خفقاتٌ   بين شرْخٍ ومُنحنى أعوادي[3]

ومن المسالك الوحشية التي شاعت في حياة المتوحشين "التخلص من الثياب" ذلك أنهم في فضاء الوحشية ليسوا بحاجة إلى ستر عوراتهم، أضف إلى ذلك أن ملابسهم تتقدد – أساسا – مع مرور الوقت، وليس لديهم كثير أقمشة أو قليل، ليستبدلوا بملوسهم الممزق، لباسا آخر، ثم إن اللبس قد يشكل عائقا دون الظفر بالعدو، وربما حتى دون النجاة من خطر محدق، لذا لم يعد اللبس مهما في حياتهم، وقد أعلن عبيد بن أيوب العنبري أنه "تقدد عنه واستطار قميصه"[4] وفي موضع آخر يخبر عن الوحوش التي يعيش معها على نحو من قوله: "قددن لحمي وامتشقن ردائيا"[5] وأما أبو خراش الهذلي؛ فيضيق ذرعا بثيابه التي تعيقه عن الهرب من الأخطار، فيقول[6]:

وَرَفَعتُ ساقاً لا يُخافُ عِثارُها   وَطَرَحتُ عَنّي بِالعَراءِ ثِيابي

ويضيف إلى ثيابه المطروحة نعليه، اللتين لم يعد في حاجة إليهما[7]:

---

(1) قال:

حيث الدجى متطلعا لغفوله   كالذئب في غلس الظلام الخاتل

الغلس: ظلمة آخر الليل. الأغاني، 206/22.

(2) الحماسة البصرية، 1552/4.

(3) شرخا الرحل: حرفاه وجانباه. والأعواد: يريد بها أعواد الرحل.

(4) قال:

تقدد عنه واستطار قميصه   وقد يقطع الهندي والجفن دارس

الحماسة لأبي عبادة الوليد بن البحتري، 502.

(5) قال:

أذقت المنايا بعضهن بأسهمي   وقددن لحمي وامتشقن ردائيا

الحيوان، 166/6.

(6) ديوان الهذليين، 168/2.

(7) السابق، 131/2.



ونَعلٍ كَأَشــلاءِ السُـمانى نَبَـذتُها   خِلافَ نَدىً مِن آخِرِ اللَيلِ أَورِهْمِ[1]

وكذلك يفعل الشنفرى[2]:

ونَعلٍ كَأَشـلاءِ السُـمانى تَرَكتُهـا   عَلى جَنبِ مَوْرٍ كَالنَحيزَةِ أَغبَـرا[3]

ويسلك المسلك نفسه تأبط شرا[4]:

ونَعلٍ كَأَشـلاءِ السُـمانى نَبَـذتُها   إلى صاحِبٍ حافٍ وقُلتُ لَهُ انعَـلِ

ومن المسالك الوحشية التي شاعت في حياة المتوحشين "محادثة الوحوش" كما فعل عبيد بن أيوب العنبري حين أمسى يكلم "من لم يدر ما عربية"[5] وقد خاطب فيما خاطب الأُسْد والأسباد، بقوله: "تنكبن الطريق لمختطٍ"[6] وخاطب الظباء، بقوله[7]:

ألا يا ظباءَ الـوحشِ لا تُشْـهِرْنني   وأخفينني إن كنتُ فـيكن خافيـا

وقد خاطب تأبط شرا الطير بقوله: "يا طير كلن..."[8] والغول بقوله: "فيا جارتا أنت ما أهولا"[9] والذئب بقوله[10]:

---

(1) نعل كأشلاء السمانى: أي قد تقطعت. الرهم: المطر الضعيف الساكن.

(2) ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 45.

(3) المور: الطريق المستوي الموطوء. النحيزة: الطريق الخشن.

(4) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 93.

(5) قال:

فكلمت من لم يدر ما عربية   ومن عاش في لحم الأنيس أشابله

منتهى الطلب من أشعار العرب، 241/3.

(6) قال:

فقلت تنكبن الطريق لمختطٍ   أخي شقة غول على من ينازله

تنكبن الطريق: اعدلن عنه وابتعدن. المختط: السائر على الطريق. أخو شقة: أي صاحب سفر بعيد طويل. غول على من ينازله: أي كالغول على من يعاديه ويعترضه.

منتهى الطلب من أشعار العرب، 241/3.

(7) الحيوان، 166/6.

(8) قال: يا طير كلن فإنني   سم لكن وذو دغاول

ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 54.

(9) قال: فأصبحت والغول لي جارة   فيا جارتا أنت ما أهولا

السابق، 60.

(10) السابق، 82.

فَقُلـــتُ لَـــهُ لَمّـــا عَـــوى إنَّ شـــأننا

قَليـــلُ الغِـــنى إِن كُنـــتَ لَمّـــا تَمَـــوَّلِ(1)

كِلانـــا إِذا مـــا نـــالَ شَـــيئاً أَفاتَـــهُ

وَمَن يَحتَـــرِث حِرثـــي وَحَرثَـــكَ يُهـــزَلِ(2)

وكذا عبيد بن أيوب العنبري إذا ما عوى الذئب جاوب "سجع عوائـــه بتـــرنيم محزون يموت وينشر"(3). ومالك بن الريب يخاطب الذئب على نحو من التوبيخ بقوله(4):

أَلَم تَرَنِي يا ذِئبُ إِذ جِئـــتَ طارِقـــاً   تُخاتِلُني أَنّي امـــرُؤٌ وافِـــرُ اللُّـــبِّ

وفوق هذا فتأبط شرا يزعم فيما يزعم أنه يفقه مشاعر الكائنات المتوحشة، فهـــو يعرف ضحكها، وسرورها، وقد أبرز بذلك الزعم الروابط النفسية الوشـــيجة، الـــتي تربطه بالوحوش، في قوله(5):

تَضحَكُ الضَّـــبعُ لِقَتلـــى هُـــذَيلٍ   وَتَـــرى الـــذِّئبَ لَهـــا يَســـتَهِلُّ(6)

ويزعم أيضا عبيد بن أيوب العنبري أنه يفقه قول الظباء حين أمِنتْه "ثم قلـــن ابـــن بلدة قليل الأذى أمسى لكن مصافيا"(7) وكذا عنترة بن شداد يفقه مشـــاعر حصـــانه، حين شكا إليه بعبرة وتحمحم(8). وكما زعم تأبط شرا أنه يفقـــه مشـــاعر الكائنـــات

(1) تمول الرجل إذا صار ذا مال.

(2) من يحترث حرثي وحرثك يهزل: أي من يطلب ما نطلبه أنا وأنت يصيبه الهزال.

(3) قال:

إذا ما عوى جاوبت سجع عوائه   بترنيم محزون يموت وينشر

يموت وينشر: أي يموت ويحيا. منتهى الطلب من أشعار العرب، 235/3.

(4) ديوان مالك بن الريب، 71.

(5) ديوان تأبط شرا، عبد الرحمن المصطاوي، 54.

(6) يستهل: يضحك.

(7) قال:

فأجفلن نفرا ثم قلن ابن بلدة   قليل الأذى أمسى لكن مصافيا

الحيوان، 166/6.

(8) قال:

فازور من وقع القنا بلبانه   وشكا إلي بعبرة وتحمحم

ديوان عنترة، 39.



المتوحشة، فكذلك عنترة يزعم أنه يفقه مشاعر الأدوات الوحشية كالسيف، ومن ذلك قوله(1):

يضحكُ السيفُ في يَـدي ويـنادي ولـه في بنـانِ غـيري نحيـبُ

ومن المسالك الوحشية التي ربما لم تشع في حياة المتوحشين، ولكنها كانت مما أشاروا إليه، وتحدثوا عنه في بعض الأحيان "مباضعة الوحوش" وقد ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء خبرا عن الأحيمر السعدي فقال: "كان الأحيمر لصا كثير الجنايات، فخلعه قومه، وخاف السلطان، فخرج في الفلوات، وقفار الأرض. قال: فظننت أني قد جزت نخل وبار، أو قد قربت منها، وذلك لأني كنت أرى في رجع الظباء النوى، وصرت إلى مواضع لم يصل أحد إليها قط قبلي، وكنت أغشى الظباء، وغيرها من بهائم الوحش، فلا تنفر مني، لأنها لم تر غيري قط، وكنت آخذ منها لطعامي ما شئت، إلا النعام، فإني لم أره قط إلا شاردا فزعا"(2) وبإزاء هذا فتأبط شرا يذكر صراحة تلك الرغبة التي ساورته في مباضعة الغول، في نحو قوله(3):

وَطالَبْتُها بُضـعَها فَـالتَوَت بِوَجـهٍ تَهَـوَّلَ فاسـتَغوَلا(4)

وسواء أكانت هذه رغبة حقيقية أم لم تكن كذلك، فإنها برزت في شعره، وقد أورد أبو العلاء المعري في رسالة الغفران حديثا متخيلا عن قصص تأبط شراً مع الغيلان، حين سأله: "أحق ما روي عنك من نكاح الغيلان؟" ثم يجيب المعري على لسان تأبط شرا: "لقد كنا في الجاهلية نتقول ونتخرص، فما جاءك عنا مما ينكره المعقول، فإنه من الأكاذيب"(5) ثم روى الشعر المنسوب إليه(6):

أنا الذي نكـحَ الغـيلانَ في بلـدٍ ما طلَّ فيـه سِـماكِيٌّ ولا جَـادا

---

(1) السابق، 158.

(2) الشعر والشعراء، 787/2

(3) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 60.

(4) تهول: صار هائلا. استغول: ذهب بالعقل.

(5) رسالة الغفران، أبو العلاء المعري (449هـ)، تحقيق وشرح الدكتورة عائشة عبد الرحمن، دار المعارف – القاهرة، ط9، 359.

(6) السابق، 359.



وترد أيضا في لامية الشنفرى بعض الأبيات ذات المضمون الجنسي، حيث إن إناث التيوس البرية، التي تشبه العذارى، تذهب وتجيء حـول الشـنفرى، إلى أن ركدن إزاءه في المساء، وكأنه ذكرها، أو ذلك الوعل الذي طال قرنـه، واشـتد عوده[1]:

تَرودُ الأَراوِي الصُحمُ حَولِي كَأَنَّها عَذارى عَلَيهِنَّ المُلاءُ المُذَيَّلُ[2]

ويَركُدنَ بالآصالِ حَولِي كَأَنَّني مِنَ العُصم أدفى يَنْتَحي الكَيْحَ أَعقَلُ[3]

وبعد هذا التماهي مع الوحوش، لا غرو أن يعترف المتوحشون بذلك الشبه الكبير بينهم وبينها، بل لا غرو أن يعلنوا ذلك، ليس لمجرد الإخبار، وإنما افتخـارا، وانحيـازا، وثورة على المأنوس في الفضاء القبلي، ومن هنا فقد شبه المتوحشون أنفسهم بكائنـات وحشية عديدة، وتكمن أهمية تشابيههم تلك؛ في أنها تلقي الضوء على جوانب مختلفـة في حياة المتوحشين عبر المهامه والقفار، ومن الحيوانات التي شبهوا أنفسهم بها "الذئب" فعبيد بن أيوب العنبري "كالسيد لا يني يقاد لحرب أو تراه يقود"[4] والشنفرى يغـدو "على القوت الزهيد كما غدا أزل تهاداه التنائف أطحل"[5] وأفعاله التي فعلها بالناس في إحدى غاراته الليلية؛ تشبه إلى حد بعيد أفعال الوحوش، حتى لقد تساءل الناس "أذئب

---

(1) ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 65.

(2) ترود: تذهب وتجيء. الأواري: جمع أورية وهي أنثى التيس البري. الصحم: الوعول التي يضـرب لونها إلى الصفرة. الملاء: ضرب من الثياب. المذيل: الطويل.

(3) يركدن: يثبتن. الآصال: جمع أصيل وهو الوقت من العصر إلى المغرب. العصم: جمع أعصم وهـو الذي في ساقيه بياض. الأدفى: الذي طال قرنه جدا. ينتحي يتجه ويقصد. الكيح: عرض الجبـل. الأعقل الممتنع.

(4) قال:

بمنخرق السربال كالسيد لا يني يقاد لحرب أو تراه يقود

سمط اللآلي، أبو عبيد البكري الأونبي (عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، ت 487هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1354هـ، 384/1.

(5) قال:

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا أزل تهاداه التنائف أطحل

ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 58.

عس أم عس فرغل"[1] وسليمان بن عياش السعدي[2] يمدح فتيان سليم وعامر وعبس، فيشببهم بالذئاب التي تتعاوى[3]:

ذِئابٌ تَعاوَتِ مِن سُـلَيمٍ وعـامِرٍ وعَبسٍ وما يلقـى هُنـاكَ ذِيابُهـا

كما أن الأحيمر السعدي يمتدح جواده، مشبها إياه بالذئب[4]:

بِأَقَبَّ مُنصَلِـتِ الـلَبـانِ كَأَنَّـهُ سِيدٌ تَنَصَّلَ مِن جُحـورِ سـعالِي[5]

ومثلما شبهوا أنفسهم بالذئب، شبه بعضهم نفسه بـ "السِّمع" (ولد الذئب من الضبع) يقول الشنفرى "أنا السمع الأزل فلا أبالي"[6] كما يزعم أنه يفعل أفعاله دون تخاذل أو تراجع، فيقول: "على مثل قلب السمع والحزم أفعل"[7] وقد يشبهون أنفسهم

---

(1) قال:

فقالوا لقد هرت بليل كلابنا فقلنا أذئب عس أم عس فرغل

عس: أي طاف بالليل. الفرغل: ولد الضبع. السابق، 63.

(2) لم أجد له ترجمة فيما بين أيدينا من الكتب، إلا بعض الإشارات التي تدل على بعض صفاته، ومنها أن العلماء كانوا يسألونه في بعض الألفاظ، أي أنه أعرابي، وكان أيضا من اللصوص. عاش بين القرنين الثاني والثالث الهجريين. (معجم ما استعجم 11/1، 805/3، 1020/3، ومعجم البلدان 423/1، وديوان اللصوص 256/1).

(3) معجم البلدان، 423.

(4) البيان والتبيين، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، ت 255هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل – بيروت، 53/4.

(5) الأقب: الضامر البطن ويعني الرس. اللبان: الصدر. المنصلت: البارز المستوي. السيد: الذئب. تنصل: خرج. السعالي: جمع سعلاة وهي الغول كما يزعمون.

(6) قال:

أنا السمع الأزل فلا أبالي ولو صعبت شناخيب العقاب

السِّمع: ولد الذئب من الضبع. الأزل: السريع. الشناخيب: جمع شنخوب وهو أعلى الجبل. العقاب: جمع عقبة وهي المرقى الصعب من الجبال.

ديوان الشنفرى، د. إميل بديع يعقوب، 30.

(7) قال:

فإني لمولى الصبر أجتاب بزه على مثل قلب السمع والحزم أفعل

أجتاب: أقطع. البز: الثياب أو السلاح.

السابق، 69.



بالأسد، مثلما فعل الشنفرى، حين قال[1]:

هُــمُ عَرَفــوني ناشِــئاً ذا مَخيلَــةٍ   أُمَشّي خِلالَ الدارِ كَالأَسَدِ الــوَرْدِ[2]

ومثلما فعل سحيم عبد بني الحسحاس، حين قال[3]:

فإن تحبِسُــونِي تحبِسُــوا ذا وليــدةٍ   وإن تُطْلِقُوني تطلقــوا أســداً وردا

وشبه عبد يغوث نفسه بالليث، فقال[4]:

وقَد عَلِمَت عِرسي مُلَيكَــةُ أَنَّــني   أَنا اللَيثُ مَعدُوّاً عَلَيــه وَعادِيــا[5]

والمرار الفقعسي إن استثاروه فقد استثاروا "لَيثاً هِزَبراً ذا سِلاحٍ مُعتَدِي"[6] وأما قيس بن الحدادية فيفخر بأن عادَ هو وأصحابُه بالأسرى على نحو من قولــه: "وأبنا بأسراكم كأنا ضراغم"[7].

وإضافة إلى هذا يشبهون أنفسهم بالكائنات الزاحفة، كالحيات ونحوها، فمالك بن حريم الهمداني يشبه نفسه "بالعربد"[8] وأما الشنفرى فيبيت على المراقب كالأرقم المتعطف[9] وعبيد بن أيوب العنبري "كفرخ الضب لا يبغي ورودا"[10].

---

(1) ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 43.

(2) المخيلة: الكبر. الورد: الشجاع.

(3) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، 57.

(4) العقد الفريد، 73/6.

(5) العِرس: الزوجة.

(6) قال: ليثا هزبرا ذا سلاح معتدي   يرمي بطرف كالحريق الموقد

الأغاني، 246/10.

(7) قال: غداة توليتم وأدبر جمعكم   وأبنا بأسراكم كأنا ضراغم

السابق، 96/14.

(8) قال: فلقيتَ مني عربدا   يقطو أمام الخيل قطوا

العربد: الحية الخفيفة السريعة. ديوان مالك بن حريم الهمداني، 70.

(9) قال: فبت على حد الذراعين مجذيا   كما يتطوى الأرقم المتعطف

مجذيا: ثابتا قائما. الأرقم: ذكر الحيات أو أخبثها. ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 50.

(10) قال:

ظللت وناقتي نضوي فلاة   كفرخ الضب لا يبغي ورودا

نضوي: يقصد أنا وناقتي هزيلين. لا نبغي ورودا: خوفا من الوحوش المترصدة على الماء. الحيوان، 128/6.

والملاحظ أنهم يشبهون أنفسهم أيضا بالطيور الجارحة، فجعفر بن علبة الحـــارثي يشبه نفسه حين لقي العقيليين بالصقر في نحو من قوله[1]:

كأن بَني القَرْعـــاءِ يـــوم لقيــتُهم فراخُ القطا لاقــيْنَ صـــقراً يمانيـــا

ومثله عبيد بن أيوب العنبري إذ يشبه نفسه بالصقر ابتعادا[2]، وكذا أبو خـــراش الهذلي إذ يشبه نفسه بالعقاب خفة وسرعة[3] وعنترة بن شداد إذ يقـــول: "وَأَنقَـــضُّ اِنقِضاضَ الأَجدَلِ"[4] وأما تأبط شرا فليس يشبه صاحبه – مدحا – إلا بطـــائر شـــؤم يسمى الأخيل[5]:

وإذا قـــذفتَ لَـــهُ الحَصـــاةَ رَأَيتَـــهُ يَنْزو لِوَقعَتِهـــا طُمـــورَ الأَخيَـــلِ[6]

وإذا كان هؤلاء قد شبهوا أنفسهم بكائنات متوحشة تدب على الأرض، أو تطير في السماء، فإن عبيد بن أيوب العنبري يذهب بعيدا في تشبيه نفسه بالكائنات الغريبـــة، كما في قوله[7]:

لَهُ نَسَبُ الإِنسِـــيِّ يُعـــرَفُ نَجـــرُهُ وَلِلجِنِّ مِنـــهُ شَـــكلُهُ وَشَـــمائِلُه[8]

---

(1) الأغاني، 32/13.

(2) قال:

إني وبغضي الإنس من بعد حبهم وصبري عمن كنت ما إن أزايله
لكالصقر جلى بعد ما صاد قنية قدير ومشويا عبيطا خرادله

الوحشيات، 30.

(3) قال:

كأني إذا عدوا ضمنت بزي من العقبان خائتة طلوبا

ديوان الهذليين، 133/2.

(4) قال:

فعليه أقتحم الهياج تقحما فيها وأنقض انقضاض الأجدل

ديوان عنترة، 97.

(5) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 92.

(6) الأخيل: طائر أخضر يُتشاءم منه.

(7) الوحشيات، 30

(8) النجر: الأصل والحسب، ويقال اللون.



ومثله عنترة بن شداد، إذ لم يكتف بتشبيه الفرس بالذئب الخارج من جحور السعالي كما فعل الأحيمر السعدي، وإنما شبه الجواد بالسعلاة نفسها على اعتبار أنها النموذج في القوة والبأس[1]:

نأتي الصريخَ علـى جِيـادٍ ضـمَّرٍ خُمْصِ البطونِ كـأنهن سَعالـي[2]

ولكن - وهذا أمر تجدر الإشارة إليه - فمفارقة الطبيعة البشرية على هذا النحو من الخروج والتنصل؛ لا تمر هكذا عابرة على النفس دون أن تجرحها، ودون أن تشحنها بطاقة من الهم والغم. ذلك أنه ليس من السهل على النفس أن تتخلى عن طبيعتها، وفطرتها، بل إنها لتتشبث بهما، ولا يمكن لها أن تترك - بسهولة - طبيعة أخرى وحشية تدهمها، وتحتل عليها جوانبها، إلا في الحالات القصوى من الاضطرار، وحينئذ فإنه يكبس عليها الهم من كل مكان، فتضيق بالعالم، ولا ترى منه إلا المضائق، ولكنها تظل حقبة تحتمل الهموم، والطبائع الدخيلة، ثم حتى ينهدم - في النهاية - ما كان من فطرتها، فتنقلب آنئذ وحيشة مستوحشة، مجتازة فضاء المأنوس، عابرة على عتبة الخير، ساقطة في فضاء الوحشة، والشر.

وتأسيسا على هذا فالأحيمر السعدي "ترب بث أخا هموم"[3] ومثله الخطيم المحرزي "تعوده هموم إذا ما بات طارقها يسري"[4] كما أن جحدر العكلي، لا ينفك تؤوبه هموم لا تفارقه حوان[5] وأما أبو الطمحان القيني، فيصرخ ضائقا بحاله "أرقت

---

(1) ديوان عنترة، 327.

(2) الصريخ: المستغيث. السعالي: واحدها سعلاة وهي الغيلان.

(3) قال:

ترب بث أخا هموم كأن الـ ـفقر والبؤس وافيا ميلادي

الحماسة البصرية، 1552/4.

(4) قال:

أتيح لذي بث طريد تعوده هموم إذا ما بات طارقها يسري

منتهى الطلب من أشعار العرب، 247/3.

(5) قال: تأوبني فبت لها كنيعا هموم لا تفارقني حوان

تأوبني: ترجع مرة بعد مرة. كنيعا: خاضعا. حواني: جمع حانية، من حن عليه حنوا: أي تعطف. السابق، 269/3



وآبتني الهموم الطوارق"[1] وكذا يعلن عبيد بن أيوب العنبري؛ أنه لولا أولئك الطلاب العطاشى لدمه؛ لسار بأوطانه كغيره من الناس، ولصار "كصاحب ثِقْــل حُــط عنــه مثاقله"[2] وكذلك سحيم عبد بني الحسحاس تؤوبه هموم منها طارف وقديم[3]، ولعــل الشنفرى من أكثر المتوحشين هما وغما، ولكن كلما حاول دفع همومه، فإنهـا تغلبــه، وتحيط به من كل جانب[4]:

وإِلفُ هُمــومٍ مــا تَــزالُ تَعــودُهُ ... عِياداً كَحُمّى الرَبعِ أَو هِيَ أَثقَــلُ[5]
إِذا وَرَدت أَصــدَرتُها ثُــمَّ إِنَّهــا ... تَثوبُ فَتَأتي مِن تُحَيتٍ ومِن عَــلُ[6]

وعلى الرغم من هذا الهم المطبق، الذي يعمي البصر والبصيرة، ويسد الآفاق، فإن بعض المتوحشين؛ قد وصلوا إلى حالة من التقبل لهذا الهم، ومن الوعي بضرورة تجاوزه، ومحاولات دفعه، عن طريق العمل الذي يريح النفس، ولئن كانت هذه الرؤية ليســت واضحة بما يكفي لدى جحدر العكلي، حين قال[7]:

إِنَّ الهُمــــومَ إِذا عادَتــــكَ وارِدَةً ... إِن لَــم تُفَرِّج لَهــا وَرداً بِإِصدارِ[8]
كــانَت عَلَيْكَ سَقامــاً تَستَكينُ لَهُ ... وَأَنصَبَتْــكَ لِحاجــاتٍ وَإِذكــارِ[9]

---

(1) قال: أرقت وآبتني الهموم الطوارق ... ولم يلق ما لاقيت قبلي عاشق
الأغاني، 9/13.

(2) قال:
ولو كنت لا أخسى سوى فرد معشر ... لقــر فؤادي واطمأنت بلابله
وسرت بأوطانــي وصرت كأننــي ... كصاحب ثقل حط عنه مثاقله
منتهى الطلب من أشعار العرب، 239/3.

(3) قال:
تأوبني ذات العشاء هموم ... عوامد منها طارف وتليد
ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، 37.

(4) ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 62.
(5) حمى الربع: حمى تأخذ المرء يوما وتدعه يومين.
(6) وردت: حضرت. أصدرتها: رددتها. تثوب: ترجع.
(7) منتهى الطلب من أشعار العرب، 273/3.
(8) عادتك: زارتك. الورد: ضد الإصدار.
(9) أنصبتك: أتعبتك. الإذكار: التذكر.

فإنها لدى أبو النشناش العقيلي تبرز على أوضح ما يكون، حيث لا شيء – في نظره – أضر على الفتى من هم يضاجعه، ولا شيء – بالمثل – أنفع له كالسرى في الزمن الأسود، يطلب فيه ما يريد[1]:

وَلَم أَرَ مِثلَ الهمِّ ضاجَعَهُ الفَتى ولا كَسَوادِ اللَيلِ أَخفَقَ طالِبُه

وهكذا ينتهي الهم الذي خلفته الوحشية في نفوس المتوحشين إلى حركة ليلية، يطلب فيها وبها المتوحش غنما جزيلا، أو ثأرا يشفي غليلا، ولعل هذه الحركة لا يبتغي المتوحش من ورائها مطلبا خاليا من الهم الاجتماعي، وإنما يبتغي أن يحقق ذاته، ويبني كيانه، داخل إطار الجماعة، ولكنه لا يتجه إلى طبقة السادة الأغنياء، وإنما إلى أولئك الذين هم في أمس الحاجة إليه، ممن قلَّت مواردهم، وأقعدهم الضعف عن أن يكونوا كما كان همة وبسالة، لذلك يشرع المتوحش في فعل ما يمكن عده حركة تبشير بالنصر، وبتغير الحال، وبالسَّلَبِ الذي سوف يغني.

(3)

يعود المتوحش من فضاء الوحشية إلى دائرة الجماعة المستلبة رغبة في دحر الاستلاب، والغياب، والموت، ثم يشرع في تحقيق رغبته هذه بأداة اللسان، واليد، والقلب، والملاحظ أن "ألا أبلغ..." تقوم بمهمة التبشير أبلغ قيام، وهي وسيلة اللسان، مثلما أن وسيلة اليد: السيف والرمح، ووسيلة القلب الرؤى الجديدة، والبدائل المضادة من الأفكار، والمبادئ، والتصورات، التي تُعد لخرق نظائرها في حيز القبيلة، والملاحظ أن نزعة التبشير هذه تبدأ بإعلان النصر على النظراء، وحيازة الغنائم، فتأبط شرا يبشر قومه بغنيمة سيأتي بها إليهم[2]:

سَتَأتي إِلى فَهمٍ غَنيمَةُ خلسَةٍ وَفي الأُزدِ نَوحُ ويلةٍ بِعَويلِ[3]

(1) الحماسة البصرية، 343/1.

(2) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 77.

(3) فهم: قبيلة الشاعر. الأزد: قبيلة بعينها. الويلة: البلية والمصيبة.

وكذلك يفعل شظاظ الضبـــي[1]، حيث سيغنم الغنائم، وسينقذ فتيان قومه مـــن الفقر[2]:

مَن مُبلِـــغٌ فِتيـــانَ قَـــومي رَســـالَةً فَلا تَهلِكوا فَقراً عَلى عِرقِ نـــاهِقِ[3]

فَإِنَّ بِـــهِ صـــيداً عزيـــزاً وهَجمَـــةً طِوالَ الهَوادي بائِنـــاتِ المَرافِـــقِ[4]

ولعل التبشير بالغنائم على هذا النحو يحمل دلالة أنهم انطلاقـــا مـــن فقـــرهم، وعوزهم، وجوعهم، كانوا يرون أن المال سيحل أزماتهم، لأنه يسدد الخلال، ويمـــنح القيمة، والمجد، والحرية.

خلال مرحلة التأسيس هذه، يستبدل المتوحش بالناس والمكان والزمان والصـــوت والسكون غيرها مما هو من مكونات بنية الوحشي، وهو بذلك يمارس حرية اختيـــار، ويحقق أهدافا تتعلق بطلب المدد، واسترداد المسلوب، ولكن المؤسس لذاته في الفضـــاء الوحشي لا يقف عند مسألة الاستبدال هذه، وإنما هو يتماهى مع بدائله المضادة؛ ليلغي المسافة بينه وبين الوحشي على مستوى الجسد والنفس والسلوك، وليصبح من ثم كما لو كان وحشا، يهتصر حقه، وينتصر على ما هو سالب وقاهر في حيز المأنوس.

---

(1) هو رجل من بني ضبة كان يصيبُ الطريقَ مع مالك بن الرَّيْب المازني، وفيه جرى مثـــل العـــرب "ألصُّ من شِظاظ". يقال: إنّه يتعلّق بشعرة من ذنب الفرس السّابق، ويجري الفرس ويعدو في إثره فلا يقطع الشّعرة ولا يرسلها، وكان فاتكا شيطانا من شياطين العرب. (الجوهرة في نسب النبـــي 257/1، ومعجم البلدان 107/4، وتهذيب اللغة 271/11، والشعر والشـــعراء 353/1، والأمثـــال للهاشمي 17/1).

(2) معجم البلدان، 107/4.

(3) عرق ناهق: موضع.

(4) الهَجْمة من الإبل: ما بين التِّسعينَ إلى المائَةِ. طوال الهوادي: أي طوال الأعناق. بائنـــات المرافـــق: واسعات الخطا.





الاختراق

(1)

تغلب المتوحشون على مقاومة الأنساق الثقافية لموضوعهم الجديد، فعلوا ذلك عن طريق أولا: تزيين الوحشي، وتقبيح المأنوس، ثانيا: إثارة المواقف قبولا، ورفضـــا، إزاء الوحشي الذي قُدم في صورة محسنة، ثالثا: تنحية المأنوس لصالح الوحشي إجبارا، وعليه فقد تم اختراق الأنساق الثقافية، من أجل إعادة صياغة المركز ومأنوسه؛ ليغدو مـــن ثم الهامش ووحشيه مركزا مضادا.

أما بالنسبة لتزيين الوحشي، وتقبيح المأنوس، أي مسألة "الإلباس" فقد تمت علـــى نحو من الانحياز إلى الوحشي، ومحاولة فرضه كخيار أفضل، ثم التأكيد على علو قدره، ونجاعته، وكانت محاولة الإلباس هذه تصدر عن اقتناع؛ لما للوحشي في حياة المتحولين إليه من مكاسب منحها لهم على صعيد الحاجات النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، لذا فعملية تقديمه محسنا متأتية عن مكاسب حقيقية، وعن اقتناع به، وإنصـــاف لـــه، والمُلبس مستوعب للنقيضين إذ يحسِّن ويقبح، يحب شيئا (الوحشـــي) ويكـــره آخـــر (المأنوس).

ولعل من الأشياء التي حاول المتوحشون تزيينها العزلة، والانفراد، وقد تحـــدثوا عنها مفتخرين بها، والجديد في الأمر هو أنهم يقدمونها محسنة ومجملة، إرباكا للتلقي، وإلباسا على الوعي، فصخر الغي يرثي ابنه تليدا، فيصفه من جهة بالكرم، ويقرنه من جهة أخرى بالوعول المتوحشة المنفردة، وكأنه – أي تليدا – كان كريمـــا ومنعـــزلا أيضا، ومادام كذلك إذاً هو في الدرجة الأرفع من الجمال، ومن هنا فالعزلة ملتبســـة



بالكرم، ومقدمة في إطاره[1]:

أَرى الأَيّـــامَ لا تُبقـــي كَريمــاً وَلا العُصـــمَ الأَوابِـــدَ وَالنَعامــا[2]

وفي موضع آخر يرثي أخاه، فيذكر مناقبه الكريمة؛ مشبها إياه بالوعل البري المنفرد، الذي يبيت غريبا، كما يبيت ذو الكساء المحارب، ولا يخفى ما في الأبيات من تقديم للعزلة محسنة، ومجملة في إطار الشجاعة التي يتصف بها – عادة – المحاربون[3]:

فَعَيَنَيَّ لا يَبقى عَلى الدَهــرِ فــادِرٌ بتَيهورَةٍ تَحتَ الطِّخافِ العَصائِبِ[4]

تَمَلّى بِهــا طــولَ الحَيــاةِ فَقَرنُــهُ لَــهُ حِيَدٌ أَشرافُهــا كَــالرَواجِبِ[5]

يَبيتُ إِذا ما آنَــسَ اللَيــلَ كانِســاً مَبيـــتَ الغَريـــبِ ذي الكســـاءِ

وكما زين المتوحشون العزلة والانفراد، بوصفها سلوكا وحشيا، زينوا كذلك التمرد، بوصفه قولا أو فعلا خارجا على القيم والمعايير السائدة، وحجتهم في ذلك كما قال عياش الضبي أن: "زلات الرجال الكثير"[7]. ثم إنه بالتمرد، وبالخروج، تتحقق ذات المستلب – في نظرهم – وينبني كيانه في الحيز الاجتماعي الظالم، لذلك زينوا الظلم بوصفه شكلا من أشكال التمرد، فمالك بن حريم الهمداني يقدم ممدوحه في صورة مخلطة من الكرم المتناهي، والظلم المتناهي أيضا[8]:

وَأَغَرُّ مُنخَــرِقُ القَمــيصِ سَميــدَعٌ يَدعو لِيَغــزو ظالِمــاً فَيُجــابُ[9]

---

(1) ديوان الهذليين، 63/2.

(2) العصم: الوعول. الأوابد: المتوحشة.

(3) السابق، 52/2 – 53.

(4) الفادر: المسن من الوعول. التيهورة: الهُوي في الجبل والرمل. الطخاف: الرقيق من السحاب. العصائب من السحاب: الشقائق.

(5) تملى بها: أي تمتع بها. الحيد: حروف شواخص. الأشراف: الأطراف. الرواجب: السلاميات أو المفاصل.

(6) الكانس: الوعل يبيت في كناسه.

(7) قال: ألم تربي بالدير دير ابن عامر زللت وزلات الرجال كثير

معجم البلدان، 496/2.

(8) الوحشيات، 254.

(9) الأغر: مشهور الكرم. منخرق القميص: واسع معروف. السميدع: واسع الكرم. يدعو ليغزو ظالما فيجاب: كناية عن الاستطالة على العدو.

ومما زينوه شرب الخمر، بوصفه انعتاقا من المعقول، وانفلاتا في عـــالم لا يحفـــل بقيمة، أو معيار، أو قانون. يقول تأبط شرا، وقد قرن شرب الخمر بالشـــجاعة، أو بمفخرة أنه يقطع الفلوات بسيفه، الذي يجري عليه الدم من أعلاه إلى أسفله[1]:

ولَكِنَّني أَروي مِنَ الخَمــرِ هــامَتي　　　وَأَنضو المَلا بِالشاحِبِ المُتَشَلشِــلِ[2]

وبكر بن النطاح يقدم الخمر على أنها ليست إلا أداة، كما أن الحكم لا يكون إلا على الإنسان، فإن كان حليما؛ تركته الخمر في مكانته العليا، وإن كان لئيما، ساقته إلى حيث المكانة الدنيا، وعليه تبدو الخمر ضرورية للإنسان الحلـيم، كضـرورة الحلـم، والأخلاق الكريمة[3]:

يَبِينُ لَنا ذو الحِلـمِ مِـن حُلَمائِنـا　　　إذا مـا تَعاطَينـا الزُجـاجَ تَعاطِيـا

أَرى الكَأسَ تُهدي لِلَّئـيمِ مَلامَـة　　　وَتَترُكُ أَخلاقَ الكَـريمِ كَمـا هِيـا

رَأَيتُ أَقَلَّ النـاسِ عَقلاً إِذا انتَشـى　　　أَقَلَّهُـمُ عَقـلاً إِذا كـانَ صـاحِيا

ويتبنى جعفر بن علبة الحارثي رأيا قريبا من هذا، فيقول[4]:

لقدْ زعمـوا أني سـكرتُ وربمـا　　　يكون الفتى سـكران وهـو حلـيمُ

لعمْرك ما بالسكرِ عارٌ على الفـتى　　　ولكـن عـاراً أنْ يُقَـالُ لئـيمُ

وإنّ فتىً دامـتْ مواثيـقُ عهـدِه　　　علـى دونِ مـا لاقيتـه لكـريمُ

ويقول عنترة بن شداد، وقد قلب المعادلة[5]:

لا يَشرَبُ الخَمرَ إلا مَن لَـهُ ذِمَـمٌ　　　وَلا يَبيتُ لَـهُ جـارٌ عَلـى وَجَـلِ

وكما زين المتوحشون التمرد، ممثلا في الظلم، وفي شرب الخمر؛ بوصفهما ممارسة خارجة على القانون، والأخلاق، زينوا كذلك "الفتك" وهو درجة متقدمة في الظلـم،

---

(1) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 91.

(2) الهامة: الرأس. أنضو: أقطع. الملا: جمع الملاة وهي الفلاة ذات الحر. الشاحب: السيف الذي تغـير لونه. المتشلشل: الذي يجري عليه الدم.

(3) الحماسة البصرية، 947/2.

(4) الأغاني، 31/13.

(5) ديوان عنترة، 333.



ولئن كان الفتك عنيفا، لما فيه من القسوة الشديدة، فإن عبيد بن أيوب العنبري يقدمه، أولا: كمفخرة، ذلك أنه ورثه عن آبائه الأوائل، وثانيا: مقرونا بالكرم، هذا الذي هو أساس كل فضيلة لدى العرب(1):

تَعَوَّدَ مِن آبائِهِ فَتَكاتِهِم وَإِطعامَهُم في كُلِّ غَبراءَ شامِلِ(2)

وأما أبو خراش فيقارف تحسين الفتك على نحو مختلف، حيث يعمد إلى أساليب الإغراء، يوجهها إلى الثائرين، من أجل إقناعهم أن بعث الحروب فيه شفاء للنفوس، وفيه إزالة للغيظ، والقهر(3):

فنُغري الثائرينَ بِهِمْ وقُلنا شفاءُ النفسِ أنْ بَعثوا الحروبا

ومثلما زينوا الفتك، زينوا كذلك القتل، الذي هو ذروة سنامه، وتاج هامه، ومتى كان إزهاق الأنفس جميلا، إلا حين أصبح لدى المتوحشين ممارسة تورث المجد، وضوءاً ينير للإنسان عمره، وليس كالقتل - في رأيهم - زينة "إذا الكماة تزينوا لدى غمرات الموت بالحالك الفدم"(4) وفي تائية الشنفرى يبرز المديح لتأبط شرا؛ على نحو من وصف السيوف القاتلة، التي تشرب من الدماء بالغدران الصافية تارة، وبالحسيل البريئة إذا ما رأت أمهاتها، وتشوقت للرضاع تارة أخرى(5):

إِذا فَزِعوا طارَت بِأَبيَضَ صارِمٍ وَرامَت بِما في جَفرِها ثُمَّ سَلَّتِ(6)

---

(1) الحيوان، 167/6.

(2) الغبراء: السنة ذات الجدب.

(3) الأغاني، 153/21.

(4) قال:

فلا وأبيك الخير لا تجدينه جميل الغني ولا صبورا على العدم

ولا بطلا إذا الكماة تزينوا لدى غمرات الموت بالحالك الفدم

الحالك الفدم: أي الدم شديد السواد. ديوان الهذليين، 126/2.

(5) ديوان الشنفرى، د. إميل بديع يعقوب، 36.

(6) الجفر: الكنانة. سلت: أي سلت سيفها، يقصد تأبط شرا وقد وصفه الشنفرى في بيت سابق بأنه أم العيال.



حُسامٌ كَلَونِ المِلح صافٍ حَديــدُهُ   جُرازٍ كَأَقطــاعِ الغَــدير المُنَعَّــتِ[1]
تَراها كَأَذنابِ الحَســيلِ صَــوادِراً   وقَد نَهِلَت مِنَ الــدِماءِ وَعَلَّــتِ[2]

وليس يخفى على المتأمل ما في هذا القول؛ من تزيين للقتل وأدواته، عــن طريــق إلصاقها بالطبيعة، صفاء، وبراءة، وظمأ للفطرة، وانجذابا نحو موارد الارتواء. وفي موضع آخر يقرر الشنفرى أن القتل شفاء لما في النفس، حين قال: "شفينا بعبــد الله بعــض غليلنا"[3] ومثل هذه الفكرة تطَّرد لدى عدد من المتوحشين، فمالك بن حريم الهمــداني يعتبر دماء بني الخيفان شفاء[4]، وكذا اعتبرَ عنترةُ بن شداد دماءَ الفزاريين[5]، وحريم بن مالك الهمداني دماءَ بني سعد[6]، وعبيد الله الجعفي دماء أعوان عبد الله بــن الــزبير، وأخيه مصعب[7]، والحارث بن ظالم المري دم عدو له[8]، وأما خفاف بن ندبة السلمي

(1) الجراز: السيف القاطع. أقطاع الغدير: القطع من مائه يضربها الهواء فتنكسر وتبرق. المنعت: الممدح البالغ الجودة.
(2) الحسيل: جمع حسيلة وهي أولاد البقر. وقد شبه الشاعر السيوف بأذناب الحسيل إذ رأت أمهاتها فأخذت تحرك أذنابها. نهلت: شربت أول الشرب. عل: شرب بعد الشرب الأول ثانية أو تباعا.
(3) قال:

شفينا بعبد الله بعض غليلنا   وعوف لدى المعْدى أوان استهلتِ

السابق، 37.
(4) قال:

نريد بني الخيفان إن دماءهم   شفاء وما والى زبيد وجمَّعا

ديوان مالك بن حريم الهمداني، 53.
(5) قال عنترة:

سَلي عَنّا الفَزارِيّينَ لَمّا   شَفَينا مِن فَوارِسِها الكُبودا

ديوان عنترة، 196.
(6) قال:

وحيٌّ زُبيدٍ يوم حابسَ قُتِّلوا   ويوم بني سعد شفيت غليلي

ديوان مالك بن حريم الهمداني، 60.
(7) قال عبيد الله الجعفي:

فَقَتَّلتُهُم حَتى شَفيتُ بِقَتلِهِم   حَرارَةَ نَفسٍ لا تَذِلُّ عَلى القَسرِ

معجم البلدان، 322/2.
(8) قال: الحارث بن ظالم المري:

شفيت غليل الصدر منه بضربة   كذلك يأبى المغضبون القماقم

الأغاني، 72/11.



فيبدو القتل عنده بناء، ليس هدما على الإطلاق، إنه ممارسة خلاقة، تبني مجدا مؤثلا في تصوره[1]:

وَقَفتُ لَهُ عَلوى وَقَد خامَ صُـحبَتي لأبنيَ مَجـداً أَو لأثَـأرَ هالِكـا[2]

أَقولُ لَـهُ وَالـرُمحُ يَـأَطِرُ مَتنَـهُ تَأَمَّلَ خُفافـاً إِنَّـني أَنـا ذَلِكـا[3]

وبإزاء هؤلاء نلاحظ تأبط شرا يزين القتل على نحو فريد ومختلف، حيث يشق طريقه بين أعدائه الذين يُشبههم بالنجوم المتشابكة، غير خائف منهم، بل مستأنس بهم، كما تشق الشمس طريقها بين أبنائها من النجوم، ولكن إذا كانت الشمس تشرق على صباح تضحك فيه المؤنسات، فإنه بالقتل يشرق على صباح وحشي تتهلل فيه أفواه المنايا الضواحك[4]:

إِذا طَلَعَـت أَولى العَـدِيِّ فَنَفـرُهُ إِلى سَلَّةٍ مِن صارِمِ الغَربِ باتِـكِ[5]

إِذا هَزَّهُ في عَظـمِ قِـرنٍ تَهَلَّلَـت نَواجِذُ أَفواهِ المَنايـا الضَـواحِكِ[6]

يَرى الوَحشَةَ الأُنسَ الأَنيسَ وَيَهتَدي بِحَيثُ اهتَدَت أُمُّ النُجومِ الشَوابِكِ[7]

وهذه الصورة المضيئة بالقتل تتكرر لدى جعفر بن علبة الحارثي، حين يقول[8]:

تركتُ بـأعلى سَـحْبل ومضـيقه مراقَ دمٍ لا يبرحُ الـدهرَ ثاويـا[9]

شفيتُ به غيْظي وجُـرب مـوطني وكان سناءً آخـر الـدهرِ باقيـا

---

(1) الحماسة البصرية، 315/1 – 316.

(2) علوى: فرسه. خام: ضعف وجبن. الصحبة: مصدر أراد به الأصحاب.

(3) يأطره: يعطفه ويثنيه.

(4) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 53.

(5) العَدِيّ: الجماعة الذين يعدون في الحرب أمام الجيش. السلة: المرة من سل السيف إذا جرده. الغرب: حد السيف. الباتك: القاطع.

(6) تهللت: ضحكت. النواجذ: الأضراس.

(7) أم النجوم: الشمس. الشوابك: النجوم.

(8) الأغاني، 32/13.

(9) سحبل: واد بعينه. ثاويا: ثوى بالمكان إذا أقام

وكما زين المتوحشون القتل، زينوا كذلك الكثير من القول، والفعل الوحشـــي، فعبيد بن أيوب العنبري يفخر بكونه إذا صاد صيدا رماه وشيكا على الحطب، لإنـــه لا يعرف القدور التي يطهو فيها الناس أكلهم، يسوق ذلك وكأنه من مكارم العادات[1]:

إِذا صـــادَ صَـــيداً لَفَّـــهُ بَضِـــرامَةٍ وَشيكاً وَلَم يَنْظُر لِنَصبِ المَراجِـــلِ[2]

وأما أكله فـــ "نهسا كنهس الصقر"[3] على ما في هذا التشبيه من محاولة لإعـــلاء هذه الطريقة في الأكل، لاسيما أن الصقر في الثقافة العربية - أخص الجاهليـــة منـــها كان - "يوحي بمعنيين مختلفين: أولهما الزعامة القوية... وثانيهما الـــبطش البـــاغي"[4] ومثلما زين عبيد بن أيوب العنبري ممارساته اليومية الوحشية، فقدمها في صور تـــوحي بالقوة، زين كذلك صفاته الشخصية، فقرن تمزق ثيابه، وشـــعثه، وشـــحوب لونـــه، بالابتسام، وبكرم الشمائل، وكأن إحدى صفاته الجميلة هذه؛ لا توجـــد إلا بتلـــك، وسواء أكان القبح سببا أم نتيجة، فلا شك أن عبيدا يقرنه بما هو جميل[5]:

رَأَت خَلقَ الدَّرسَيْن أَشعَثَ شـــاحِباً عَلى الجَدبِ بَسّاماً كَريمَ الشَّمائِلِ[6]

كما أن القتال الكلابـــي يقدم صورة للمتوحش، يزاوج فيها بين صفات وحشية وأخرى مأنوسة، من أجل أن يزين الأولى، وأن يُلبس على الناس، فلا يستطيعون التمييز بين هذه وتلك، وبذا يبدو ممدوحه متوحشا، مخاطرا بالليل، وفي الوقت ذاتـــه كريمـــا، بنيت طباعه على خير ما بنيت عليه الأخلاق من الفطر الحميدة[7]:

---

(1) الحماسة البصرية، 337/1.

(2) الضرامة: ما اشتعل من الحطب. المراجل: جمع مرجل وهو ما يطبخ فيه من قدر وغيره.

(3) قال: ونهسا كنهس الصقر ثم مراسه بكفيه رأس الشيخة المتمايل

المراس: المسح والدلك. الشيخة: نبتة سمت بذلك لبياضها. يقول إذا انتهى من طعامه مسح يديـــه بهذا النبت ليزيل ما علق بهما.

الحيوان، 167/6.

(4) د. عبد القادر الرباعي، الطير وعالمه في الشعر الجاهلي، مجلة مجمع اللغة العربيـــة الأردني، العـــدد (31)، السنة (10)، 116.

(5) الحماسة البصرية، 337/1.

(6) الخَلَق: البالي. الدرس: الثوب البالي.

(7) ديوان القتال الكلابـــي، 29.



إِذا هَمَّ هَمّاً لَم يَــر اللَيــلَ غُمَّــةً عَلَيهِ وَلَم تَصعُب عَلَيهِ المَراكِــبُ[1]

قَرى الهَمّ إِذ ضافَ الزَّماعَ فَأَصبَحَت مَنازِلُــهُ تَعــتَسُّ فيهــا الثَعالِــبُ[2]

جَليـــدٌ كَـــريمٌ خِيمُـــهُ وَطِباعُـــهُ عَلى خَيرِ ما تُبنى عَلَيهِ الضَــرائِبُ[3]

وأما تأبط شرا فيذكر صفات ممدوحه المتوحش: "مغشم، حوش الجنان، مبطنــا سهدا" إلى غير هذه الصفات الوحشية، ثم يضمها إلى غيرها من الصــفات الجميلــة كــ "جلد/غير مهبل/ليس بزمل/مبرأ من كــل غــبر حيضــة/ورضــاع مغيلــة/وداء معضل/يعطي الصحاب إذا تكون كريهة/وإذا هم نزلوا فمأوى العيل" ثم لا يقف عنــد هذا، وإنما يسوق هذه الصفات جميعها إلى قوله[4]:

فَــإِذا نَظَــرتَ إِلى أَســرَّةِ وَجهِــهِ بَرَقَــت كَبَــرقِ العــارِضِ المُتَهَلِّــلِ

تظهر بلا شك في هذا المسلك من الحديث إرادة تزيين الوحشي، لا سيما أن تأبط شرا ينتهي بصفات ممدوحه إلى صورة مضيئة، أو وجه يبرق "كبرق العارض المتــهلل" ولعل إرادة التزيين هذه ستتضح إذا ما عُلم أن البرق في الوعي الجاهلي يتمتع بمكانــة رفيعة[5].

ولعل صورة هذا الضوء الساطع المنبعث من الوجه، صورة نمطيــة، مــا انفــك المتوحشون يستعملونها في عمليات التزيين، فيبدؤون بذكر الصفات الوحشية لهــم، أو لممدوحيهم، ثم يسوقون الصورة بكاملها نحو ذلك الضوء، يقول الشنفرى بعد أن ادعى أن أصحابه ذئابا[6]:

سَراحينُ فِتيــانٍ كَــأَنَّ وُجوهَهُــم مَصــابيحُ أَو لَونٌ مِنَ الماءِ مُذهَبُ[7]

---

(1) الغمة: الحيرة والظلمة.

(2) الزماع: النفاذ والعزيمة. تعتس: تختلف وتجول.

(3) الخيم: الطبيعة. الضرائب: جمع ضريبة وهي الجبلة والخُلق.

(4) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 88.

(5) انظر: المطر في الشعر الجاهلي، الدكتور أنور أبو سويلم، دار الجيل – بيروت، ط1، 1407هـ، 39 وما بعدها.

(6) ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 34.

(7) سراحين: جمع سرعان وهو الذئب.



وقال عروة بن الورد يمتدح الصعلوك المحارب[1]:

وَلَكِنَّ صُعلوكاً صَـــفيحَةُ وَجهِـــهِ كَضَوءِ شِـــهابِ القـــابِسِ المُتَنَـــوِّرِ

مطـــلا عَلـــى أَعدائِـــهِ يَزجُرونَـــهُ بِساحَتِهِم زَجـــرَ المنـــيحِ المُشَـــهَّرِ[2]

إِذا بَعُـــدوا لا يَـــأمَنونَ اقترابَـــهُ تَشَـــوُّفَ أَهـــلِ الغائِـــبِ المُتَنَظَّـــرِ

فَـــذلِكَ إِن يَلـــقَ المَنِيَّـــةَ يَلقَهـــا حَميداً وَإِن يَســـتَغنِ يَومـــاً فَأَجـــدَرِ

وقال الأحيمر السعدي يمدح أصحابه[3]:

مَعي فِتيَةٌ بـــيضُ الوُجـــوهِ كَـــأَنَّهُم عَلى الرَحلِ فَوقَ الناعِجاتِ بُدورُ[4]

وقال عبيد الله الجعفي أسفا على أيام تقضت[5]:

كـــأن عُبَيْـــد الله لمْ يُمْـــسِ ليلـــةً موطنةً تحـــت السُّـــرُوجِ جنائبـــهْ[6]

ولم يدْعُ فتيانـــاً كـــأنَّ وجـــوههم مصابيح في داجٍ توارتْ كواكبـــهْ[7]

(2)

يُقدم الوحشي على طبق الشعر محسنا، والمأنوس مقبحا، لينشأ التضاد في المواقف وردود الأفعال، أي لتتم إثارة مواقف أولئك الذين يسكنون في فضاء المأنوس قبولا، ورفضا إزاء الوحشي، والغاية من الإثارة، أو التهييج، هي، أولا: تسريب الوحشي في الفكر والثقافة السائدة، مقدما بالطرائق الشعرية اللطيفة، وملتبسا بالموضوعات الجميلة، وثانيا: كسب مواقف المنحازين إلى الوحشي.

---

(1) ديوان عروة بن الورد، 72-73.

(2) المنيح: قدح مستعار سريع الخروج والفوز.

(3) معجم البلدان، 483/2.

(4) الناعجات: النياق التي بياضها خالص.

(5) منتهى الطلب من أشعار العرب، 311/3.

(6) ليلة موطنة: أي ليلة معركة. السروج: أراد سروج الخيل. الجنائب: يقصد جنائب جسده جمع جنب وهو الشق.

(7) داج: أراد ليل داج.

ولعل في القصة التي ذكرتها بعض المصادر التراثية، لجحدر المحرزي العكلي، خير مثال على التهييج العاطفي الذي يُستغل لبث الوحشي، على أنه الأداة التي يُواجه بها الطغيان من جهة، وتتحقق بها الذات من جهة أخرى، ويذكر البغدادي في شرح أبيات المغني، أن جحدر العكلي "كان لصا فاتكا شجاعا، وكان قد أبر أي: غلب على أهل هجر وناحيتها، فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف، فكتب إلى العامل باليمامة يوبخه بتلاعب جحدر به، ويأمره بالتجرد في طلبه حتى يظفر به.

فبعث العامل إلى فتية من بني يربوع بن حنظلة، فجعل لهم جعلا عظيما إن هم قتلوا جحدرا أو أتوه به أسيرا، ووعدهم أن يوفدهم إلى الحجاج ويسني فرائضهم، فخرج الفتية، حتى إذا كانوا قريبا منه بعثوا إليه رجلا منهم أنهم يريدون الانقطاع إليه والتحرم به، فوثق بهم، واطمأن إليهم، فبينما هم على ذلك شدوه وثاقا، وقدموا به إلى العامل، فبعث به معهم إلى الحجاج، وكتب يثني على الفتية، فلما قدموا على الحجاج قال له، أنت جحدر؟ قال: نعم، قال: ما حملك على ما بلغني عنك؟ قال جراءة الجنان، وجفوة السلطان، وكلب الزمان! قال وما الذي بلغ من أمرك فيجترئ جنانك، ويصلك سلطانك، ولا يكلب زمانك؟! قال: لو بلاني الأمير لوجدني من صالح الأعوان، وبهم الفرسان، وممن أوفى على أهل الزمان، قال الحجاج: إنا قاذفوك في قبة فيها أسد، فإن قتلك كفانا مؤونتك، وإن قتلته خليناك ووصلناك، قال: قد أعطيت - أصلحك الله - المُنْية، وأعظمت المنة، وقربت المحنة.

فأمر به فاستوثق بالحديد، وألقي في السجن، وكتب إلى عامله بكسكر يأمره أن يصيد أسدا ضاريا، فلم يلبث العامل أن بعث له بأُسد ضاريات، قد أبرت على أهل تلك الناحية، ومنعت عامة مراعيهم، ومسارح دوابهم، فجعل منها واحدا في تابوت يجر على عجلة، فلما قدموا به أمر فألقي في حير، وأجيع ثلاثا، ثم بعث إلى جحدر، فأخرج وأعطي سيفا، ودلي عليه، فمشى إلى الأسد، وجعل يقول[1]:

(1) الحماسة البصرية، 1752/4.



ليـــــثٌ وليـــــثٌ في مجـــــالٍ ضَـــنْكِ[1]
كلاهمـــــــا ذو أَنَـــــفٍ ومَحْـــــكِ[2]
وبطشـــــــة وصـــــــولة وفتـــــــكِ
إنْ يكشـــــفَ اللهُ قِنـــــاعَ الشـــــكِ
بظفـــــراً في حَـــــاجتي وبـــــرْكِ[3]
فهـــــو أحـــــقٌّ منـــــزلٍ بتـــــركِ
الـــــذئبُ يعـــــوي والغـــــرابُ يبكـــــي

حتى إذا كان منه على قدر رمح، تمطى الأسد وزأر، وحمل عليه فتلقاه جحدر بالسيف، فضرب هامته ففلقها، وسقط الأسد كأنه خيمة قوضتها الريح، ولم يلبث جحدر لشدة حملة الأسد مع كونه مكبلا أن وقع على ظهره متلطخا بالدم، وعلت أصوات الجماعة بالتكبير، فقال له الحجاج، لما رأى منه ما هاله: يا جحدر إن أحببت أن ألحقك ببلادك وأحسن جائزتك فعلت ذاك بك، وإن أحببت أن تقيم عندنا أقمت فأسنينا فريضتك، فقال: أختار صحبة الأمير، ففرض له ولجماعة أهل بيته"[4].

والملاحظ في هذه القصة، أن السلطان يمثل طرفا في المشكلة، لجفوته، وقسوته، التي لم تكن تعين جحدر على كلَبِ الزمان، وأن جحدر كان يعاني حالة استلاب، حين تكالب عليه زمانه، فلم يُبق له شيئا، ما حدا به إلى جراءة في الجنان، ومضي في الرفض والتمرد، وصولا إلى وحشية بالغة، حاول جحدر – أخيرا – أن يقدمها محسنة، وكانت أداته في ذلك الشعر، الذي حضر في ساعة الموت، أي في وقتٍ ما كان ينبغي له أن يحضر فيه، لأن النفس مشغولة بغيره، لولا أنه – أي الشعر – كان هو أداها التي

(1) الضنك: الضيق.
(2) الأنف: الاستنكاف والتكبر. المحك: اللجاج.
(3) الدرك: الوصول إلى الغاية وتحقيقها.
(4) شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ)، حققه: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، دار الثقافة العربية – دمشق، ط2، 1410هـ، 210/3 – 212.



تحسن بها الوحشي، على اعتبار أنه فضاء التحقق، وتقبح بها المأنوس، الـــذي أصـــبح بدوره حيزا للهدم والمصادرة.

وقد تم تحسين الوحشي، أولا: بالمماهاة بين جحدر والأسد من جهة (ليث وليث في مجال ضنك) وبين الجمهور والذئاب والغربان من جهة أخـــرى (الـــذئب يعـــوي والغراب يبكي) وبهذا أصبح جحدر ليثا، والناس من حوله يصيحون، كما لو كـــانوا ذئابا تعوي، وغربانا تبكي، ثانيا: بوضع كل من جحدر والليـــث في خانـــة البطولـــة لاسيما أنهما "ذو أنف ومحك، وصولة في بطشة وفتك" وبهذا تم التعاطف مع جحـــدر بوصفه ليثا، مقابل الحجاج/السلطان الذي إنما أراد من منطقة المأنوس؛ أن يقتل جحدر هذا القادم من فضاء الوحشية، ثم ينتصر في النهاية جحدر على كـــل مـــن الأســـد والحجاج بضربة هائلة، فيتلطخ بدماء الأسد، ويكبر الناس، وقد اهتاجوا، وانحازوا لـــه، وتسربت الوحشية فيهم بطولة خارقة، ونموذجا فريدا.

(3)

كُرِّس الوحشي من قبل المتوحشين، ليحتل موقع الصدارة في فضـــاء المـــأنوس، وليصبح خيارا أولا في حياة الناس، عن طريق ما يمكن تسميته بـــ "الإزاحـــة" الـــتي مدلولها: أن يدفع شيءٌ شيئا آخر لضيق الحيز. ولعل الفرق بينها وبين الاستبدال يكمن في أنها تتضمن معنى دفع شيء بشيء، أما هو فيدل على ترك شيء وأخذ شيء آخـــر، كما أنها تتم في حيز المأنوس، ويتم في فضاء الوحشية، ولعل الســـر الكـــامن خلـــف الإزاحة؛ هو الرغبة في تأكيد الذات عن طريق فرض الأدوات، والقـــيم، والعـــادات الجديدة، التي من شأنها أن تهدم الآخر في الوقت نفسه.

وقد حاول المتوحشون إزاحة "السيد" ليحتل مكانه "المولى" أزاحوا الأول بالقتل، وفرضوا الثاني من خلال تقديمه على أنه جدير بأن يأخذ مكانه، وأن يُعتنى بـــه كونـــه النصير والسند، وهذا الانحياز لصالح المهمش والمستلب، إنما هو على حساب من كان ينعم بالصدارة، والجاه، والثروة. ولقد أمعنوا في قتل السيد، حتى إن خفاف بن ندبـــة،



ليس يهمه في ساعة المعركة مع الأعداء، إلا كبش القوم، قاصــدا إيــاه بالقتــل دون غيره[1]:

تَيَمَّمتُ كَبشَ القَومِ حَتّــى عَرَفتُــهُ وجانَبتُ شبّانَ الرِجالِ الصَــعالِكا[2]

وجادَت لَهُ يُمــنى يَــدَيَّ بِطَعنَــةٍ كَسَت مَتنَهُ مِن أَسوَدِ اللَونِ حالِكــا

ويقول عنترة بن شداد مخبرا عما يفعله بكبش القوم[3]:

وأَصدِمُ كَبشَ القَــومِ ثُــمَّ أُذيقُــهُ مَرارَةَ كَأسِ المَوتِ صَبراً يُمَجَّــجُ[4]

ويقول مخبرا عما فعله بتميم، ولا ينسى أن يذكر سيدهم أيضا[5]:

هَزَمتُ تَميماً ثُمَّ جَندَلتُ كَبشَــهُم وعُدتُ وسَيفي مِن دَمِ القَومِ أَحمَــرُ

ويقول في المعنى ذاته[6]:

وإِنّــا أَبَــدنا جَمعَهُــم بِرِماحِنــا وإِنّــا ضَــرَبنا كَبشَــهُم فَتَحَطَّمــا

ويبدو أن عنترة بن شداد عني عناية خاصة بالسيد، فكم من سيد هزمه، وكم من سيد أذاقه مرارة الموت، وهذا الولع في نفس عنترة بقتل الأسياد، ربما يعبر عــن رغبــة شديدة في إزاحة هذه الطبقة المخملية، التي تعيش على حساب غيرهــا مــن الفئــات المهتضمة. يقول عنترة مخبرا عن الأسياد الذين جندلهم بسيفه[7]:

وكَم مِن سَــيِّدٍ أَضــحى بِسَــيفي خَضــيبَ الــراحَتَينِ بِغَــيرِ حِنّــا

ويقول في المعنى ذاته[8]:

وكَم مِــن سَــيِّدٍ خَلَّيــتُ مُلقــىً يُحَــرِّكُ في الــدِما قَــدَماً وَســاقا

---

(1) الحماسة البصرية، 315/1 – 316.

(2) تيممت: قصدت. كبش القوم: رئيسهم. جانبت: تجاوزت وتركت

(3) ديوان عنترة، 176.

(4) الصبر: عصارة شجر مر. يُمجج: يُتفل لعدم احتمال ابتلاعه.

(5) السابق، 241.

(6) السابق، 363.

(7) السابق، 378.

(8) السابق، 300.

ويقول أيضا[1]:

وقصدتُ قائدَهم، قطعـــتُ وريـــدَه   وقتلتُ منهم كـــلَّ قـــرْمٍ أكـــبر[2]

وإذا كان المتوحشون أزاحوا السيد، فقد وضعوا في مكانه المـــولى، فنـــهوا عـــن اهتضامه، أو خذلانه، ودعوا إلى الوقوف جانبه، ليحظى مـــن ثم بقيمتـــه، وحريتـــه، وتأسيسا على هذا فالإزاحة تُعد – في نظرهم – حلا لمشكلة انهدام المُســـتلب، الـــذي تكالب عليه المجتمع بقيادة السيد، هذا الذي ليس إلا عدوانا سافرا على قيمة الإنسان، وحريته. يقول عبيد بن أيوب العنبري واقفا في صف المولى[3]:

ولا تخـــذُل المـــولى إذا مـــا مُلِمَّـــةٍ   ألمتْ ونازلْ في الوغى مـــن يُنازِلـــه

ويقول جحدر العكلي[4]:

ولا تخـــذُل المـــولى لسُـــوءِ بلائـــه   متى تأكل الأعداءُ مـــولاكَ تُؤكـــل

ويقول قراد بن العيار[5]:

ولا تخذُل المولى وإن كـــانَ ظالمـــاً   فإن به تُثـــأى الأمـــورُ وتُـــرأب[6]

وإضافة إلى هذا النهي عن خذلان المولى، ينهى جحدر العكلي حتى عن شتمه، أو تتبع أذاته؛ لما في ذلك من نقص وانتقاص سوف يجنيه الشاتم[7]:

ولا تَشـــتُمِ المَـــولى تَتَبَّـــع أذاتَـــهُ   فَإنَّـــكَ إن تَفعَـــل تُسَـــفَّه وَتَجهَـــلِ

و لم يقف المتوحشون عند مسألة النهي هذه، وإنما تجاوزوها إلى الفعل الحقيقـــي، الذي خصوا به المولى، إعلاء لشأنه، وتقديرا لإنسانيته، وتحقيقا لما سعوا إليه من دحـــر

---

(1) السابق، 251.
(2) القرم: السيد.
(3) منتهى الطلب من أشعار العرب، 242/3.
(4) التذكرة الحمدونية، 267/1.
(5) هو قراد بن العيار بن محرز بن خالد بن أرقم المازني: شاعر شرير بذئ اللسان. عمر دهرا طويلا، قال الآمدي: تجاوز المئة، وهلك في ولاية محمد بن سليمان الأولى. وكان أبوه "العيار" أحد شياطين العرب وشعرائها أيضا. (معجم الشعرء 251، وشرح ديوان الحماسة 475).
(6) تُثأى الأمور وتُرأب: أي تصلح وتفسد. شرح ديوان الحماسة، 476/1.
(7) التذكرة الحمدونية، 267/1.



المركزي، وإرساء الهامشي، يقول مالك بن حريم الهمداني[1]:

وَإنّي لأُعدي الخَيلَ تُقدع بِالقَنا حِفاظاً عَلى المَولى الحَريدِ لِيُمْنَعا[2]

ويقول في موضع آخر[3]:

وَآخُذُ لِلمولى إذا ضِيمَ حَقَّهُ مِنَ الأَعيَطِ الآبي إذا ما تَمَنَّعا[4]

وأما خفاف بن ندبة فيتجاوز عن المولى، لأنه لن يكون إلا بالخطأ الذي يرتكبه في طريق التحقق؛ انطلاقا من أن الإنسان لا يكون عظيما إلا بالخطأ العظيم[5]:

وَأَغفِرُ لِلمَولى وَإن ذو عَظيمَةٍ عَلى البَغيِ مِنها لا يَضيقُ بِها جُرمي

وأما عمرو بن براقة فيذهب إلى ما هو أبعد من مجرد الغفران، حيث إنه ينصر مولاه، ويبحث له فوق ذلك عن المبرر، الذي يخفف من مسألة أنه أخطأ، أو حتى أجرم[6]:

إذا جرَّ مولانا علينا جَريرةً صبرنا لها إنَّا كرامٌ دعائمُ

ونَنصُرُ مَولانا ونَعلَمُ أنَّهُ كَمَا النّاس مَجْرومٌ عَلَيهِ وَجارِمُ

ومثلما أزاحوا بالمولى السيدَ، أزاحوا بالظلم العدلَ، وحيث إن العدل لم يكن موجودا في حياتهم؛ فقد استجابوا للظلم الواقع عليهم، فأزاحوا الأول، وأحلوا محله الثاني، يقول أبو خراش في ذم العدل[7]:

وَعادَ الفَتى كَالكَهْلِ لَيسَ بِقائِلٍ سِوى العَدلِ شَيئاً فَاستَراحَ العَواذِلُ

---

(1) ديوان مالك بن حريم الهمداني، 52.

(2) أعدي الخيل: أحملها على العدو. تُقدع: تُكبح لتكف من بعض جريها. الحفاظ: المحافظة على العهد. الحريد: المعتزل عن القبيلة لذلته وقلته.

(3) السابق، 51.

(4) ضيم حقه: انتُقِص. الأعيط: الأبيّ الممتنع. الآبي: المتكبر.

(5) الأغاني، 64/18.

(6) الوحشيات، 32.

(7) ديوان الهذليين، 150/2.



أي رجع الفتى عما كان عليه من الفتوة، وصار كهلا لا ينادي سوى بالعدل، لذا استراح العواذل، اللاتي كن يعذلنه على ما كان من ظلمه، وفتكه، وبهذا يغدو العدل مذمة، والظلم مدحة.

ويقول عنترة بن شداد مزيحا صفة العدل عن نفسه، ومثبتا لها الظلم على سبيل الفخر[1]:

وَأَحمِلُ ثِقلَ الضَيمِ وَالضَيمُ جائِرٌ وَأُظهِرُ أَنّي ظالِمٌ وابن ظالِمِ[2]

وكما أزاحوا السيد، والعدل، أزاحوا كذلك الحياة، ولعل أحد دوافع اللجوء إلى الإزاحة، هو الهروب من مشكلة الانشطار بين نقيضي الحياة والموت، ومن الواضح أن فضاء المأنوس يحفل بالحياة على إطلاقها، وأن فضاء الوحشية ينحاز إلى الموت على إطلاقه، ولكن حين تكون حياة المستلب في فضاء المأنوس قائمة على الذل، والاهتضام، فإنه في الواقع يحيا حياة يباطنها الموت، وهو حين يتوحش يسعى إلى أن يزيح حياته، التي في منطقة المأنوس لصالح موته الذي في فضاء الوحشية، وبهذا يحل المتوحش مشكلة انشطاره بين نقيضين، وإذا ما أصبح في عالم الموت، فإنه يسعد بذلك، ويفضله على أن يكون متشظيا، أو تكون حياته ذليلة مهتضمة، وهذا ما يفسر ابتهاج الشنفرى بموته، حين يقول[3]:

فَلا تَقبُروني إِنَّ قَبري مُحَرَّمٌ عَلَيكُم ولَكِن أبشري أُمَّ عامِرِ[4]
إِذا احتملوا رَأسي وَفي الرَأسِ أَكثَري وَغودِرَ عِندَ المُلتَقى ثَمَّ سائري[5]
هُنالِكَ لا أرجو حَياةً تَسُرُّني سَجِيسَ اللَيالي مُبسَلاً بالجرائر[6]

---

(1) ديوان عنترة، 354.
(2) الضيم: الذل والظلم.
(3) ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، 47.
(4) أم عامر: كنية الضبع.
(5) في الرأس أكثَري: جعل الرأس أكثره لأن الرأس مسكن العقل والتدبير والحواس.
(6) سجيس الليالي: أي أبدا. المبسل: المسلم. الجرائر: الجرائم.

يزيح الشنفرى الحياة بالموت، ليتحقق له الخروج من مأزق التمـــزق في فضـــاء المأنوس، بين حياة ظاهرة، وموت باطن، والملاحظ أن هذه الإزاحة تتحقق أيضا لـــدى عنترة بن شداد، حين تبدو الحياة في نظره ذليلة، ومؤلمة، فيكنسها – حينئذ – بـــالموت الذي هو خير منها[1]:

دَعوني في القِتــالِ أَمُــت عَزيــزاً ‏ ‏ ‏ ‏ فَمَوتُ العِــزِّ خَــيرٌ مِــن حَيــاةِ

ويقول في موضع آخر[2]:

لا تَســقِني مــاءَ الحَيــاةِ بِذِلَّــةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ بَل فَاسقِني بِــالعِزِّ كَــأسَ الحَنظَــلِ

مــاءُ الحَيــاةِ بِذِلَّــةٍ كَجَهَــنَّمٍ ‏ ‏ ‏ ‏ وَجَهَــنَّمٌ بِــالعِزِّ أَطيَــبُ مَنــزِلِ

هكذا فضلوا الموت على الحياة، في مقارنة منحازة لصالح الموت، ولا أدل علـــى هذا من قول أبـــي خراش "وللموت خير للفتى من حياة على رغم"[3] ولكن إذا كان المتوحشون قد أزاحوا الحياة حين تكون مغموسة في قِطران المذلة، فإنهم وصـــلوا – في النهاية – إلى فكرة أن الموت هو الأفضل، وأنه يجب إعجال النفـــوس إليـــه. يقـــول عنترة بن شداد[4]:

إِنَّ المَنايــا مُــدرِكاتٌ أَهلَهــا ‏ ‏ ‏ ‏ وَخَــيرُ آجــالِ النُفــوسِ قَتلُهــا

ويقول تأبط شرا[5]:

همـا خُطتـا إمَّـا إسَـارٌ ومنـةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ وإمـا دمٌ والقتـلُ بـالحرِّ أجـدرُ

ويقول عبيد بن أيوب العنبري[6]:

إِن يَقتُلوني فَآجــالُ الكمــاةِ كَمــا ‏ ‏ ‏ ‏ خُبِّرتِ قَتلٌ وَما بِالقَتلِ مِــن عــارِ

---

(1) ديوان عنترة، 166.

(2) السابق، 335.

(3) قال:

مخافة أن أحيا برغم وذلة ‏ ‏ ‏ ‏ فللموت خير من حياة على رغمِ

الأغاني، 154/21.

(4) ديوان عنترة، 122.

(5) ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، 34.

(6) منتهى الطلب من أشعار العرب، 243/3.

هكذا تنتهي الرؤية الوحشة، إلى فكرة أن "خير آجال النفوس قتلها" وأن "القتـــل بالحر أجدر" وأنه "ما بالقتل من عار" وهم بهذه الرؤية الوحشية، لا يرجون حياة ذليلة في عالم المأنوس، وإنما موتا عزيزا في عالم الضباع، والغربان، والجرائر.



الخاتمة

في دراستي هذه اتخذت الواقع مصدرا للمعرفة، أقصد واقع الجزيزة العربية في شقيه الجغرافي، والاجتماعي، على امتداد العصر الجاهلي إلى بداية العصر العباسي. أما في الشق الجغرافي من هذا الواقع فقد عاينت التضاريس، والمناخ، وأما في الشق الاجتماعي فقد عاينت أولا: الحالة الاقتصادية، ممثلة في موارد المكان، والحِرَف، ومستوى المعيشة، وثانيا: الحالة السياسية، ممثلة في التعالقات الاجتماعية داخل القبيلة؛ محكومة بروح العصبية القبلية، وفي التعالقات الخارجية للقبيلة مع غيرها من القبائل ذات المصالح المشتركة معها.

ولقد نفذت من المعلومات التي أمدني بها الواقع إلى البنية المجردة لذلك الواقع، فرأيت - كما رأى غيري - أن البيئة الجغرافية للجزيرة العربية تتصف بالتضاد، ثم عندما أمعنت النظر في هذه المسألة وجدت التضاد ينتسخ تضادا آخر في الحالة الاجتماعية، ثم يتحول هو نفسه إلى صراع اجتماعي، وهذا الصراع تنبثق عنه وحدة، وشتات، فتتولد عن الشتات حالة استلاب، تنبثق عنها هي الأخرى حالتان اجتماعيتان؛ إحداهما مضمونها انسحاب وخضوع وخمول، والأخرى مضمونها رفض ومناهضة وتمرد، ثم هذه الحالة الأخيرة تتحول هي أيضا إلى وحشية، تسعى - بدورها - إلى تأسيس وسائل، وطرائق حياة جديدة، تسترد بها الذات المستلبة ما سلب منها، وتخترق بها كذلك الكيان المستبد السالب.

وهكذا فقد تناولتُ البنية المجردة للواقع من حيث هي مفاهيم تنتظم بناه، وتحتم عليَّ أن أعرِّف كل مفهوم ألتقطه من تضاعيف الواقع (تعريفا خاصا)، وأن أجيب على سؤال: كيف تحقق ذلك المفهوم؟ وقد وجدت أن كل مفهوم يتحقق عمليا عبر آلية



محددة، فالصراع – مثلا – يحدث عندما يشرع أحد المتصارعين في انتزاع عرَض من ضده، بينما يقاوم صاحب العرض، حتى ينفي أحدهما الآخر، وتأسيسا على هذا استنبطت المعاني الأولية التي تتضمنها آلية تحقق المفهوم، وفي حالة الصراع فالمعاني الأولية التي تباطن آلية تحققه، هي: الانتزاع، والمقاومة، والنفي. وبعد هذا تساءلت عن وظيفة المفهوم في صورته العملية، فوجدت أن الاستلاب – مثلا – تمارسه الطبقات الاجتماعية العليا، على الطبقات الاجتماعية الدنيا؛ من أجل الحصول على الجاه، والسلطة، والمال، والجنس، والقوة، وهكذا فقد كان لكل مفهوم وظيفة عملية يؤديها في الواقع الذي يتحقق خلاله.

ثم بعد تحديد الوظيفة حاولت اكتشاف تداعيات تحقق المفهوم، أو تأثيره المباشر في حياة الناس، حين يتجلى في اختيارالهم، وتفضيلاتهم، فلاحظت أن مفهوم التوحش – مثلا – يعمل على استبعاد مكان القبيلة، والنهار، وجملة من القيم الاجتماعية السائدة؛ ليستقطب الأماكن الموحشة، والليل، وقيم أخرى مستوحاة من حياة الوحوش.

ثم بعد أن درست المفاهيم من حيث التعريف، وآلية التحقق، والمعاني الأولية التي تباطنها، ووظائفها، وتداعيات تحققها في حياة الناس، حاولت الإجابة على سؤال: كيف تتعالق تلك المفاهيم المركبة كـ: التضاد والصراع والاستلاب والمناهضة...، فاكتشفت أنها تفعل ذلك عبر "سيرورة التناسخ" و"صيرورة التحول" فالتضاد البيئي ينتسخ في الحالات الاجتماعية بداوة وحضارة، ثم في الحالات الاقتصادية فقرا وغنى، ثم في الحالات الفكرية ثنائية في الفهم والممارسة، ثم هذا التضاد ذاته يفارق سيرورة التناسخ هذه إلى صيرورة من التحول، حيث ينقلب إلى صراع اقتصادي بين الفقراء والأغنياء، ثم إلى صراع ثقافي بين الطبقات الاجتماعية في أطر من: الصراحة والهجنة، الحرية والعبودية، السواد والبياض، الأنا والآخر، ثم إلى صراع وجودي داخل الفرد حين يحاول تحديد موقفه من العالم زمانا، ومكانا، وكائنات.

وإذا كان التضاد بقي على حاله داخل سيرورة التناسخ، فإنه أصبح تناقضا في صيرورة التحول، وفي الحالة الأولى أفرز مبدأ الثنائية، بينما في الحالة الثانية ولَّد مبدأ الأحادية، وفي الحالة الأولى – عندما كان في الطبيعة – أفضى إلى جدل بين الأشياء،



بينما في الحالة الثانية – أي عندما أصبح بين الإنسان والإنسان – غدا عنفا يستبقي طرفا، وينفي الآخر، والتضاد على الرغم من هذا صنع المغاير، عندما اندفعت الفئات المتمردة في محيط التضاد إلى تأسيس طرق حياة مغايرة، أزاحت بها المركزي والمأنوس، وأحلت مكانه المهمش والوحشي، ولكنه – أي هذا التضاد – عندما استحال تناقضا أفضى إلى تقويض الوحدة، والمأنوس، وعليه فالحياة التي تخلقت منه بقدر ما كان فيها من التحقق والحضور؛ باطنها التوتر، وسعت إلى وجهة وحشية، حيث القتل، وحيث البقاء في غابة الحياة للأقوى، والأعنف.

وهكذا انتهى التضاد البيئي/الاجتماعي إلى رؤية وحشية ثائرة؛ تقف على الطرف البعيد من الجهة المنذورة للشر والموت، كموقف مضادٍ للمأنوس، مسكونٍ بإرادة التدمير، ومدججٍ – في الوقت ذاته – بالبدائل المضادة، وبالطرق، والوسائل؛ التي قدمت هذه البدائل على أنها الأجمل، والأكثر نفعا للذات المستلبة، لتبني بها هذه الذات كيانها من جهة، وتهدم بها المركزي والمأنوس؛ من جهة أخرى.




مكتبة
التنوير

خطاطات الرؤية والجهاز المفاهيمي



تحقق التضاد في الطبيعة والمجتمع

سيرورة الانتساخ

التضاد البيئي (في الرياح والأمطار والحرارة والتضاريس)

↓

ينتسخ في الحالة الاجتماعية

بداوة وحضارة

↓

ثم ينتسخ في الحالة الاقتصادية

فقرا وغنى

↓

ثم ينتسخ في الحالة الفكرية
ثنائية في الفهم والممارسة

↓

صيرورة التحول

ثم يتحول إلى صراع اقتصادي بين الفقراء والأغنياء

↓

ثم يتحول إلى صراع ثقافي بين الطبقات الاجتماعية في أطر من :
(الصراحة والهجنة ، الحرية والعبودية ، السواد والبياض ، الأنا والآخر)

↓

ثم يتحول إلى صراع وجودي داخل الفرد
(لتحديد موقفه من العالم زمانا ومكانا وكائنات)

↓

ثم يتحول في الحالة الفكرية إلى واحدية في الفهم والممارسة

ينتقل التضاد من سيرورة الانتساخ إلى صيرورة التحول بسبب انتقاله من حيز الطبيعة إلى الحيز الاجتماعي



التضاد

الصراع

الشتات

الانبتات – اللامشترك – اللامقدس

الوحدة

الكثرة – المشترك – المقدس

آليات تحقق المفاهيم

الاستلاب ← التصنيف – الإقصاء – الحرمان

المناهضة ← الرفض – التمرد – العنف

التحول ← الانفصال – التهميش – الاتصال

التأسيس ← الاستبدال – التماهي – التبشير

الاختراق ← الإلباس – التهييج – الإزاحة

آلية تحقق التوحش

التوحش



التعريفات الخاصة بالمؤلف

التضاد: امتلاك النظير ما سلب من نظيره.
التناظر: علاقة تلازم بين متشاكلين في الجوهر متباعدين في المسافة.
السلب: فصل العرض عن الجوهر
المنح: وصل العرض بالجوهر

الصراع: علاقة بين طرفين أو أكثر مؤسسة على إرادة الحيازة.
الانتزاع: الحصول على ممتلك بالقهر.
المقاومة: دفع غاصب دون ممتلك.
النفي: إحالة الشيء إلى عدم.

الوحدة: تكافؤ العناصر على قاعدة المشترك.
الكثرة: ما زاد عن الواحد.
المشترك: ما يقر الفرد لنفسه ولغيره بامتلاكه.
المقدس: ما كان علوي المصدر، منزها من الدنس، مخلصا من الشر.

الشتات: إطالة المسافة بين العناصر على قاعدة اللامشترك واللامقدس.
الانبتات: انقطاع صلة الفرد بالقبيلة.
اللامشترك: انعدام ما يجمع بين اثنين أو أكثر.
اللامقدس: انعدام ما مصدره علوي، ومنزه من الدنس، ومخلص من الشر.



الاستلاب: اغتصاب مقدرات الطبقة الأدنى استنادا إلى معايير الطبقة الأعلى.

التصنيف: إحالة الآخر إلى مرجعية ما لتقييمه والحكم على مصيره.

الإقصاء: إقامة حاجز القيمة بين الذات والآخر، عندما تحتل الذات موقعا أعلى، والآخر موقعا أدنى.

الحرمان: منع الكائن من حق له.

المناهضة: فعل التغيير على نهج مدمر للأنساق المستبدة.

الوعي: إدراك الحقائق فيما يتعلق بالذات والموضوع.

الرفض: قول لا منعا أو امتناعا.

التمرد: أن يتحرر الفرد من أن يقيم وزنا لشيء.

العنف: تعالق مؤسس على إرادة التدمير.

التحول: إقامة علائق جديدة بين الذات وموضوع جديد على نحو من التخصيص والإفراد.

الانفصال: قطع الروابط بين الذات والآخر أو بين الذات والموضوع.

التهميش: المُكث اختيارا أو إجبارا في فضاء السلب.

الاتصال: إقامة علائق بين الذات والآخر أو بين الذات والموضوع.

التأسيس: أن تتبنى الذات موضوعا جديدا فتفرضه بحسن التقديم وقوة الأداة.

الاستبدال: أخذ شيء بعد التخلي عن آخر.

التماهي: اتحاد الذات بموضوعها.

التبشير: تقديم الذات لموضوعها كأفضل خيار.



الاختراق: التغلب على مقاومة الأنساق حيال موضوع جديد.

التلبيس: تزيين الوحشي وتقبيح المأنوس.

التهييج: إثارة المواقف قبولا ورفضا إزاء الوحشي المقدم في صورة محسنة.

الإزاحة: أن يدفع شيء شيئا آخر لضيق الحيز.



المصادر والمراجع

الألف

1. أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت 245هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، 1422هـ.
2. الأشباه والنظائر، الخالديان: أبو بكر محمد هاشم (ت 380هـ) وأبو عثمان سعيد هاشم (390 أو 391)، حققه وعلق عليه الدكتور السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة.
3. أشعار اللصوص وأخبارهم، جمع وتحقيق عبد المعين الملوحي، دار أسامة، وذيل الأمالي.
4. الأصمعيات، أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك الأصمعي (ت 216)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، بيروت، ط5.
5. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي، ت 356)، تحقيق: د. إحسان عباس ود. إبراهيم السعافين والأستاذ بكر عباس، صادر - بيروت، ط3، 1429هـ.
6. الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت 334هـ) حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب، دار المناهل - بيروت، ط1، 1407هـ.
7. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، الأمير الحافظ ابن ماكولا (ت 475)، تصحيح وتعليق نايف العباسي، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.
8. الأمثال المولدة، أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت 383هـ)، تحقيق وتقديم: محمد حسين الأعرجي، المجمع الثقافي - أبو ظبي، ط2، 2003م.
9. الإنسان في الشعر الجاهلي، الدكتور عبد الغني أحمد زيتوني، مركز زايد للتراث والتاريخ - الإمارات (العين)، ط1، 1421هـ.
10. الإنسان في عصر ما بعد الحداثة، د. رشيد الحاج صالح، دائرة الثقافة والإعلام - الشارقة، 2013م.
11. الإنسان المتمرد، ألبير كامو، ترجمة: نهاد رضا، عويدات - بيروت، ط3، 1983م.

الباء

12. البداية والنهاية، ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت 774هـ) تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ.
13. البيان والتبيين، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، ت 255هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل - بيروت.



التاء

14. تأبط شرا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1404 هـ.
15. تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ) ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مرجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر -بيروت، 1421هـ.
16. تاريخ الطبري، أبو جعفر الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، ت 310هـ)، دار التراث - بيروت، ط2، 1387هـ.
17. تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ابن عساكر، ت 571هـ)، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر - بيروت، 1415هـ.
18. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد علي النجار وعلي محمد البجاوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، 1967م.
19. التذكرة الحمدونية، ابن حمدون (أبو المعالي محمد بن الحسن محمد بن علي، ت 562هـ) تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر - بيروت، ط1، 1996م.
20. التذكرة السعدية في الأشعار العربية، محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطابع النعمان - النجف، 1391هـ.
21. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت 370هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مراجعة: محمد علي البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة.

الثاء

22. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، ت 429هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ.

الجيم

23. جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279هـ)، حققه وقدم له: الأستاذ الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركلي، دار الفكر، لا ط.
24. جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزبير بن بكار القرشي الزبيري (ت 256هـ)، تحقيق الدكتور عباس هاني الجراخ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 2010م.
25. الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني الشهير بالبري (ت بعد 645هـ)، تنقيح وتعليق: د. محمد التونجي، دار الرفاعي - الرياض، ط1، 1403هـ.

الحاء

26. الحلة السيراء، ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، ت 658هـ)، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، دار المعارف - القاهرة، ط2، 1985م.



27. الحماسة لأبـــي عبادة الوليد بن البحتري (ت 248هــ)، تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم حور وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبـــي للثقافة والتراث – أبو ظبـــي، 1428هــ.
28. الحماسة البصرية، صدر الدين بن علي بن أبـــي الفرج بن الحسن البصري، ت 656هــ، تحقيـــق وشرح ودراسة: د. عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط1، 1420هــ.
29. الحماسة الشجرية، ابن الشجري (هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني، ت 542هــ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة – دمشق، 1970م.
30. حماسة القرشي، عباس بن محمد القرشي (ت 1299هــ)، تحقيق: خير الدين محمود قبلاوي، إحياء التراث العربـــي – دمشق 1995م.
31. الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط1، 1412هــ.
32. الحيوان، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، ت 255هــ) تحقيق عبد الســـلام محمد هارون، مطبعة مصطفى الحلبـــي وأولاده – مصر، ط2، 1386م.

الخاء

33. خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت 1093هــ، تحقيق وشرح: عبد الســـلام محمـــد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط4، 1418هــ.

الدال

34. ديوان بكر بن النطاح، ضمن شعراء مقلون: صنعه حاتم صالح الضامن، عالم الكتب – بـــيروت، ط1، 1407هــ.
35. ديوان تأبط شرا، طلال حرب، دار صادر – بيروت، ط1، 1996م.
36. ديوان تأبط شرا، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط1، 1424هــ.
37. ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه، دار المعارف – القاهرة، ط3.
38. ديوان حاتم الطائي، دار صادر – بيروت، 1401هــ.
39. ديوان حسان بن ثابت، حققه وعلق عليه الدكتور وليد بركات، تولى طبعه أمناء سلســـلة جـــب التذكارية.
40. ديوان حسان بن ثابت، شرحه وكتب هوامشه وقدم له: الأستاذ عبـــد أ. مهنـــا، دار الكتـــب العلمية – بيروت، ط2، 1414هــ.
41. ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبد الله سنده، دار المعرفة – بيروت، ط1، 1427هــ.
42. ديوان الحطيئة برواية وشرح: ابن السكيت (أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق بن السكيت الدروقي الأهوازي، ت 246هــ)، دراسة وتبويب: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بـــيروت، ط1، 1413هــ.
43. ديوان ذي الرمة، شرح الخطيب التبريزي، كتب مقدمته وهوامشه وفهارسه: مجيـــد طـــراد، دار الكتاب العربـــي – بيروت، ط2، 1416هــ.



44. ديوان زهير بن أبـــي سلمى، حسن فاعور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1408هـــ.
45. ديوان ساعدة بن جؤية، ضمن ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة، 1385هـــ.
46. ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1369هـــ.
47. ديوان الشنفرى، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر – بيروت، ط1، 1996م.
48. ديوان الشنفرى، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربـــي – بـــيروت، ط2، 1417هـــ.
49. ديوان طهمان بن عمرو الكلابـــي، تحقيق محمد جبار المعيبد، مطبعة الإرشاد – بغداد، 1968م.
50. ديوان عروة بن الورد، شرح ابن السكيت (يعقوب بن إسحاق، ت 244هـــ) حققه وأشرف على طبعه ووضع فهارسه: عبد المعين الملوحي، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
51. ديوان عنترة، تحقيق: د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية – بيروت، ط1، 1429هـــ.
52. ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق وشرح وتعليق: حسن كامل الصيرفي، 1385هـــ – 1965م.
53. ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1407 هـــ.
54. ديوان القتال الكلابـــي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت، 1409هـــ.
55. ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، دار صادر – بيروت.
56. ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه: الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت، 1391هـــ.
57. ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، صنعه الدكتور محمد نبيل طريفي، دار الكتـــب العلمية – بيروت، ط1، 1425هـــ.
58. ديوان مالك بن حريم الهمداني، ضمن ثلاثة شعراء مقلون، جمع وتحقيق ودراسة د. شريف راغب علاونه، دار المناهج – الأردن، ط1، 1427هـــ.
59. ديوان مالك بن الريب، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، مستل من "مجلة معهـــد المخطوطـــات العربية"، مجلد 15، ج1.
60. ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه الدكتور واضح الصمد، دار صادر – بـــيروت، ط1، 1998م.
61. ديوان النجاشي الحارثي، صنعه وحققه: صالح البكاري والطيب العشاش وسعد غراب، المواهب – بيروت، ط1، 1419.
62. ديوان الهذليين، 1385هـــ، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة.

الذال

63. ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت 356هـــــ)، دار الكتـــب العلمية – بيروت.

الراء

64. رسالة الغفران، أبو العلاء المعري (ت 449هـــ)، تحقيق وشرح الدكتورة عائشة عبد الـــرحمن، دار المعارف – القاهرة، ط9.



الزاي

65. الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت 328هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ط2، 1987م.

السين

66. سمط اللآلي، أبو عبيد البكري الأوبني (عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، ت 487هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1354هـ.
67. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1402هـ.

الشين

68. شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ)، حققه: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، دار الثقافة العربية – دمشق، ط2، 1410هـ.
69. شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت 421)، علق عليه ووضع حواشيه: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1424هـ.
70. شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي (يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي ت 502)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1، 1412هـ.
71. شعر الأحوص الأنصاري، جمعه وحققه: عادل سليمان جمال، قدم له: د. شوقي ضيف، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط2، 1411هـ.
72. الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، الدكتور عبده بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، لا ط.
73. الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د. يوسف خليف، دار المعارف – القاهرة، ط3.
74. الشعر والشعراء، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت 276هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف – القاهرة.
75. شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.

الطاء

76. طبقات الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (ت 231هـ)، تمهيد: جوزف هل، دار الكتب العلمية – بيروت، 1422هـ.
77. طبقات الشعراء، عبد الله بن المعتز (ت 296هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف – مصر، لا ط.
78. الطبيعة في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي، دار الإرشاد – بيروت، ط1، 1390م.



العين

79. د. عبد القادر الرباعي، الطير وعالمه في الشعر الجاهلي، مجلة مجمع اللغة العربيـة الأردني، العـدد (31)، السنة (10).
80. العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار النيل – القاهرة، ط11.
81. العقد الفريد، ابن عبد ربه (عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ت 328هـ)، تحقيق: محمد سعيد العريان، مكتبة الاستقامة – القاهرة، ط2، 1372م.
82. العقد الفريد، ابن عبد ربه (عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ت 328هـ)، تحقيـق: الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1404هـ.
83. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القـيرواني الأزدي، ت 456هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل – بيروت.
84. عيار الشعر، ابن طباطبا (أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، ت 322هـ)، تحقيق وتعليق: د. محمد زغلول سلام، مطبعة التقدم – الاسكندرية.
85. العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت 175هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي.
86. عيون الأخبار، ابن قتيبة (أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت 276هـ)، دار الكتاب العربـي – بيروت.

الكاف

87. الكامل في التاريخ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبـد الواحـد الشـيباني (ابـن الأثـير، ت 630هـ)، تحقيق: أبو الفداء عبـد الله القاضـي، دار الكتـب العلميـة – بـيروت، ط1، 1407هـ.
88. الكامل في التاريخ، ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبـي الكرم محمد بن محمد الشيباني ت 630)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربـي – بيروت، ط1، 1417هـ.
89. كتاب الأمثال، المنسوب لزيد بن رفاعة الهاشمي (ت 373هـ)، تحقيق: د. علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين – دمشق، ط1، 1423هـ.
90. كتاب الجيم، أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (ت ما بين 205هـ و220هـ)، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مراجعة الدكتور محمد مهدي علام، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – القـاهرة، 1395م.
91. كتاب الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت 314هـ) تحقيق: علي شيري، دار الأضواء – بيروت، ط1، 1411هـ.
92. كتاب المناقب والمثالب، أبو الوفاء ريحان الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الصالح، دار البشائر – دمشق، ط1، 1420هـ.



اللام

93. لسان العرب، ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظـــور، ت 711)، دار الحديث – القاهرة، 1423هـــ.

94. اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، أمل محمود عبد القادر أبو العون، (أطروحة مقدمة لاســتكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعـــة النجـــاح الوطنيـــة، نابلس – فلسطين، 2003م).

الميم

95. المؤتلف والمختلف، الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، ت 370هـــ)، صححه وعلـــق عليه: د. ف. كرنكو، دار الجيل – بيروت، ط1، 1411هـــ.

96. مجمع الأمثال، الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبـــراهيم النيســـابوري الميـــداني، ت 518هـــ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، 1374هـــ.

97. مجموعة المعاني، المؤلف مجهول، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل – بيروت، ط1، 1412هـــ.

98. المجموع اللفيف، محمد بن محمد بن هبة الله الحسيني الأفطسي (ت بعد 515)، تحقيق: الدكتور يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1425هـــ.

99. المختار من شعر بشار.. اختيار الخالديين، شرح: أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد البرقي، اعتنى بـــه: محمد بدر الدين العلوي، مطبعة الاعتماد.

100. مشكلة الإنسان، د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة – القاهرة.

101. المطر في الشعر الجاهلي، الدكتور أنور أبو سويلم، دار الجيل – بيروت، ط1، 1407هـــ.

102. مظاهر القهر الإنساني في الشعر الجاهلي، رباح عبد الله علي (رسالة علمية لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها – جامعة تشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية).

103. معجم البلدان، ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله يـــاقوت بـــن عبـــد الله الحمـــوي، ت 626هـــ)، دار صادر – بيروت، ط2، 1995م.

104. معجم الشعراء، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت 384هـــ)، تحقيق: د. فاروق أسليم، دار صادر – بيروت، ط1، 1425هـــ.

105. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلســـي (ت 487هـــ)، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب – بيروت.

106. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ط2، 1413هـــ.

107. المفضليات، المفضل الضبـــي (المفضل بن محمد بن يعلى بن عـــامر بـــن ســـالم، بـــن الرمـــال، ت 178هـــ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة، ط6.

108. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت 597هـــ)، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية – بيروت.



109. منتهى الطلب من أشعار العرب، جمع: محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، ت 597هـ، تحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر – بيروت، ط1، 1999م.

النون

110. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733هـ)، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1424هـ.
111. نسب معد واليمن الكبير، أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي (ت 204هـ)، تحقيق: ناجي حسن، عالم الكتب – بيروت، ط1، 1408هـ.
112. نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلسي (ت 685هـ)، تحقيق: د. نصرت عبد الرحمن، جمعية عمال المطابع التعاونية – عمان.

الواو

113. الوحشيات (الحماسة الصغرى)، أبو تمام (حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، ت 231هـ) حققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف – القاهرة، ط3.
114. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر – بيروت.



بيان بمطبوعات النادي الأدبي في جازان
منذ تأسيسه عام 1395هـ

1. التقرير السنوي للنادي، النادي، 1396هـ
2. قصص من الجنوب، مجموعة من الشباب، 1397هـ
3. مسابقة الشعر، مجموعة من الشباب، 1397هـ
4. الينابيع (شعر)، محمد بن علي السنوسي، 1398هـ
5. الأدب الشعبي، محمد أحمد العقيلي، 1398هـ
6. أبو سفيان بن حرب، يحيى محمد الحارثي، 1399هـ
7. الأرض والحب (شعر)، أحمد يحيى البهكلي، 1399هـ
8. مع الشعراء، محمد بن علي السنوسي، 1399هـ
9. المعجم الجغرافي، محمد أحمد العقيلي، 1399هـ
10. محاضرات النادي، مجموعة من الأساتذة، 1401/1400هـ
11. مع الشباب في تنمية القدرات، د. زاهر عواض الألمعي، 1401هـ
12. الآثار التاريخية، محمد أحمد العقيلي، 1401هـ
13. طيفان على نقطة الصفر (شعر)، أحمد يحيى البهكلي، 1401هـ
14. نفحات من الجنوب (شعر)، محمد بن علي السنوسي، 1401هـ
15. ليلة في الظلام (قصة)، محمد زارع عقيل، 1401هـ
16. الصندوق المدفون (قصة)، طاهر عوض سلام، 1401هـ
17. أمسية فلسطين (شعر)، إعداد النادي، 1401هـ
18. وجوه من الريف (قصة)، حجاب بن يحيى الحازمي، 1401هـ
19. الملك أبو الفداء، ياسر فتوى، 1401هـ
20. بين جيلين (قصة)، محمد زارع عقيل، 1401هـ
21. مطولة علي أحمد باكثير، د. حلمي محمد القاعود، 1401هـ
22. الأدب وموقفه من الحدث (محاضرة)، علوي طه الصافي، 1402هـ
23. الحلقة المفقودة بين الموشح والحميني، عبد الرحمن محمد الرفاعي، 1402هـ
24. حبيبتي والبحر (شعر)، إبراهيم عمر صعابي، 1402هـ



25. الأعمال الشعرية الكاملة، محمد بن علي السنوسي، 1403هـ
26. من ثمرات الكتب، عبد السلام هاشم حافظ، 1404هـ
27. السنة ومعرفة علوم الحديث، عبدالحميد إبراهيم سرحان، 1404هـ
28. العكوتان والجيولوجيا، راشد قاسم الشيخ، 1404هـ
29. دور الإعلام في بناء الإنسان، محمد كامل الخجا، 1404هـ
30. نظرات في العلم والأدب، مجموعة أعضاء النادي، 1405هـ
31. عن الحب ومنى الحلم (شعر)، علي أحمد النعمي، 1405هـ
32. الوحي والقرآن، عبد الحميد إبراهيم سرحان، 1405هـ
33. أبجديات في النقد والأدب، حجاب يحيى الحازمي، 1405هـ
34. في حكم الجهر بالبسملة والإسرار، الحسن بن خالد الحازمي، 1405هـ
35. الرحيل إلى الأعماق (شعر)، علي أحمد النعمي، 1406هـ
36. إطلالة على الشعر السعودي، فوزي خضر، 1406هـ
37. الحفلة (قصة)، عبد الله باخشوين، 1406هـ
38. دموع الندم (رواية)، أحمد علي حمود حبيبي، 1406هـ
39. ترانيم على الشاطئ (شعر)، علي محمد صيقل، 1406هـ
40. تقرير الجمعية الخيرية، تقرير، 1406هـ
41. أحلامي (فن تشكيلي)، خليل حسن خليل، 1406هـ
42. الحياة في ظل العقيدة الإسلامية، زيد محمد المدخلي، 1407هـ
43. الكتابة خارج الأقواس، سعيد السريحي، 1407هـ
44. حوار على بوابة الأرض (قصة)، عبده خال، 1407هـ
45. حمدونة (قصة)، عبدالله الشباط، 1408هـ
46. الزهور تبحث عن آنية (قصة)، عبدالعزيز مشري، 1408هـ
47. نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة وعسير، حجاب بن يحيى الحازمي، 1408هـ
48. الأجوبة على المسائل التي الاختلاف فيها مباح، تأليف: عبدالرحمن أحمد البهكلي تحقيق: الشيخ علي أبو زيد الحازمي، 1409هـ
49. الأواني الخشبية التقليدية عند العرب، د. سليمان محمود حسن، 1409هـ
50. الأفنان الندية ج1، زيد محمد المدخلي، 1409هـ
51. جراح قلب (شعر)، علي أحمد النعمي، 1409هـ



52. رواد علم الجغرافيا، د. علي عبدالله الدفاع، 1409هـ
53. طائر الليل (قصة)، عمرو العامري، 1409هـ
54. أغنية للوطن (شعر)، علي محمد صيقل، 1409هـ
55. فرسان الناس والبحر والتاريخ، إبراهيم عبدالله مفتاح، 1410هـ
56. ألسنة البحر (قصة)، أحمد إبراهيم يوسف، 1410هـ
57. أمير الحب (رواية)، محمد زارع عقيل، 1410هـ
58. أشرعة الصمت (شعر)، حسين محمد سهيل، 1410هـ
59. عرس القرية (قصة)، محمد منصور مدخلي، 1410هـ
60. من أحاديث السنوسي، عبدالعزيز علي الهويدي، 1410هـ
61. دراسات في شعر محمد علي السنوسي، مجموعة مؤلفين، 1410هـ
62. فن الرواية في الأدب السعودي، د. محمد صالح الشنطي، 1411هـ
63. التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج 1، محمد أحمد العقيلي، 1411هـ
64. قراءات نقدية تحليلية للقصة، د. محمد ين يوسف، 1412هـ
65. عقبات في طريق الدعوة، د. إبراهيم عباس، 1412هـ
66. ما اتفق لفظه واختلف معناه، تأليف: ابن العميثل تحقيق: د. محمود شاكر سعيد، 1412هـ
67. أوصاف الشعر عند العرب، د. عبدالله باقازي، 1412هـ
68. من شعر علي بن محمد السنوسي، د. عبدالله أبو داهش، 1412هـ
69. سليمان عليه السلام بين حقائق التلفزة وعلم التقنية، عبد الرحمن محمد الرفاعي، 1412هـ
70. مقامات فرسانية، إبراهيم عبد الله مفتاح، 1412هـ
71. لعيني لؤلؤة الخليج "شعر"، علي أحمد النعمي، 1412هـ
72. التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج 2، محمد أحمد العقيلي، 1413هـ
73. التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج 3، محمد أحمد العقيلي، 1414هـ
74. رواد العلوم الرياضية، د. علي عبدالله الدفاع، 1414هـ
75. عشرون عاماً من مسيرة نادي جازان الأدبي، دليل النادي، 1414هـ
76. مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تأليف: رولان بارت ... ترجمة: د. منذر عياشي، 1414هـ
77. الآخرون مازالوا يمرون (قصة)، زكية راشد نجم، 1415هـ
78. بوصلة واحدة لا تكفي (شعر)، علي محمد الأمير، 1415هـ
79. يا ساهر البرق، تحقيق ودراسة: أبي عبد الرحمن بن عقيل، 1416هـ



80. تداعيات الرجل الرمادي (قصة)، جبريل أبودية، 1416هـ
81. وردة في فم الحزن (شعر)، حسن حجاب الحازمي، 1416هـ
82. رحلة الأمس (شعر)، أحمد إبراهيم الحربي، 1416هـ
83. رائحة التراب (شعر)، إبراهيم عبدالله مفتاح، 1416هـ
84. مناقرات صحفية، علي العمير، 1417هـ
85. محمد أحمد العقيلي (العالم الموسوعي)، د. محمد الصادق عفيفي، 1417هـ
86. النقد الأدبي في آثار الشريف المرتضى، د. أحمد عبد الواحد، 1417هـ
87. قبل أن ينضب الأمل (شعر)، جلوي يحيى حكمي، 1417هـ
88. وكالة الأنباء، عبدالرحمن محمد الرفاعي، 1418هـ
89. التفكير الإبداعي بين النظرية والتطبيق، د. عبدالله الصافي، 1418هـ
90. الزكاة وأحكامها في الرسالات السماوية، يحيى زاهر الحارثي، 1418هـ
91. مساء الحب أيتها الشمس (قصة)، إبراهيم عمر صعابي، 1418هـ
92. جمجمة في ضوء الشمس، محمد عبد الواحد، 1419هـ
93. حوليات سوق حباشة، د. عبد الله أبو داهش، 1419هـ
94. الآنسة أولين (قصة)، فهد أحمد المصبح، 1419هـ
95. الملف الدوري "مرافئ"، العدد الأول، 1419هـ
96. الرواية الإسلامية المعاصرة، د. حلمي محمد القاعود، 1419هـ
97. لا تسلني عن جراحي "شعر"، مهدي أحمد حكمي، 1419هـ
98. أول الرؤيا "شعر"، إبراهيم زولي، 1419هـ
99. وللأقمار باب "شعر"، حسين محمد سهيل، 1419هـ
100. العيون في ديوان العرب، ناصر زمل، 1420هـ
101. الخصومة بين النحاة والشعراء، د. محمد غالب وراق، 1420هـ
102. شعر تميم بن أبيّ بن مقبل (مجلدان)، د. عبد الله الفيفي، 1420هـ
103. في الأدب السعودي بحوث ومقالات، د. حمد بن ناصر الدخيل، 1420هـ
104. الأعمال الشعرية الكاملة، محمد بن علي السنوسي، 1420هـ
105. شعر قبيلة مذحج (3 مجلدات)، محمد عبد الله منور، 1420هـ
106. عبد الكريم والسلطان (قصة)، إبراهيم مغفوري، 1420هـ
107. ستذكرون ما أقول لكم (شعر)، د. صالح بن سعيد الزهراني، 1420هـ



108.قصص الأطفال (ثلاث مجموعات)، مسابقة النادي، 1420هـ
109.مقالات رصينة وتحقيقات أمينة، محمد أحمد العقيلي، 1420هـ
110.الملف الدوري (مرافئ)، العدد الثاني، 1420هـ
111.الحميني الحلقة المفقودة في امتداد عربية الموشح الأندلسي (ط2)، عبدالرحمن محمد الرفاعي، 1421هـ
112.البطل في الرواية السعودية، حسن حجاب الحازمي، 1421هـ
113.دم البراءة (رواية)، إبراهيم الناصر الحميدان، 1421هـ
114.من مشاهير الحكميين، حسين بن صديق حكمي، 1421هـ
115.الملف الدوري (مرافئ)، العدد الثالث، 1421هـ
116.منحة الصمد في الميسور عن حديث ضمد، تأليف: القاضي الحسن بن أحمد عاكش تحقيق: محمد محسن ديباجي، 1421هـ
117.لمحات عن الشعر والشعراء في منطقة جازان خلال العهد السعودي، حجاب بن يحيى الحازمي، 1421هـ
118.رهبة الظل (شعر)، محمد إبراهيم يعقوب، 1422هـ
119.حمّى الأحلام (شعر)، أيمن عبد الحق، 1422هـ
120.اقرأ باسم ربك، للشيخ / محمد بن ناصر الحربي، 1422هـ
121.مفهوم الصدق في النقد العربي القديم، د. حمود الصميلي، 1422هـ
122.باقة من فل جازان (شعر)، حسين أحمد النجمي، 1422هـ
123.القشور (قصة)، عمر طاهر زيلع، 1422هـ
124.عزف على أوتار مهترئة (شعر)، حسن أحمد الصلهبي، 1422هـ
125.من شظايا الماء (شعر)، إبراهيم عمر صعابي، 1422هـ
126.وطني. والفجر الباسم (شعر)، عيسى بن علي جرابا، 1422هـ
127.الوطن ولاء وانتماء (شعر)، أحمد سالم باعطب، 1422هـ
128.حسن النية (قصة)، إبراهيم محمد شيخ مغفوري، 1422هـ
129.الحملة (قصة)، محمد منصور الشقحاء، 1423هـ
130.أوراق الربيع، د. يوسف العارف، 1423هـ
131.قسمات وملامح (شعر)، علي بن أحمد النعمي، 1423هـ
132.المجموعة الكاملة للسنوسي ط2 (شعر)، محمد بن علي السنوسي، 1423هـ



133.نشرة أصوات، العدد الأول، 1423هـ
134.أغصان تتلظى "شعر"، يحيى صديق حكمي، 1424هـ
135.فرسان بين التاريخ والجيولوجيا، إبراهيم عبد الله مفتاح، 1424هـ
136.رجع (شعر)، منصور دماس، 1424هـ
137.نشرة أصوات، العدد الثاني، 1424هـ
138.الملف الدوري مرافئ، العدد الخامس، 1424هـ
139.دراسات في الأدب والترجمة، د. عبد الوهاب الحكمي، 1424هـ
140.في دائرة الغبار، د. محمد العيد الخطراوي، 1424هـ
141.مجموعة اللفحات في النقد الأدبي، علي العمير، 1424هـ
142.أطفئ فانوس قلبي (شعر)، د. محمد حمود حبيبي، 1424هـ
143.صلة النحو بعلوم الشريعة، د. عبد الله جاد الكريم، 1424هـ
144.الخروج من بوابة الفل (شعر)، أحمد إبراهيم الحربي، 1424هـ
145.بين شاعرين من تهامة، د. مجدي محمد خواجي، 1425هـ
146.الملف الدوري (مرافئ)، العدد السادس، 1425هـ
147.نشرة أصوات، العددان الثالث والرابع، 1425هـ
148.الحسن بن أحمد عاكش، د. حسن بن أحمد النعمي، 1425هـ
149.شعر محمد بن أحمد العقيلي (دراسة تحليلية)، د. خالد ربيع الشافعي، 1425هـ
150.الشمس التي رحلت (رواية)، محمد يحيى عطيف، 1425هـ
151.البحر.. يغرق (خواطر)، آمنة بنت محمد آل علية (يرحمها الله)، 1425هـ
152.فجر النهضة (شعر)، أحمد صالح بابقي –تحقيق الأستاذ: عبد الرحمن الرفاعي، 1426هـ
153.دعوة للقمر (قصة)، عمر طاهر زيلع، 1426هـ
154.وجوه رجال هاربين (قصة)، البراق الحازمي، 1426هـ
155.حنين وشجن (شعر)، حسين جبران كريري، 1426هـ
156.ما زال ربيعاً (شعر)، محمد حسن أبو عقيل، 1426هـ
157.أوشك أن أعود، العباس محمد معافا، 1426هـ
158.ديوان (ألهمني البحر)، حمزة أحمد الشريف، 1426هـ
159.لأنها لا تموت "قصص"، أمل إسماعيل، 1426هـ
160.لهجة أزد السراة، جمعان الغامدي، 1426هـ



161.جزيرة العصافير "قصص أطفال"، أم المجد الفقيهي، 1426هـ

162.ديوان "تراتيل العزلة"، محمد إبراهيم يعقوب، 1426هـ

163.نشرة (أصوات) العدد الخامس، النادي، 1427هـ

164.للشمس شروق "قصص"، أميمة بنت منور البدري، 1427هـ

165.نشأة الأدب السعودي المعاصر، د. عبد الله محمد أبو داهش، 1427هـ

166.الاتجاه الإسلامي في شعر عدنان علي النحوي، د/ليلى شبيلي، 1428هـ

167.حين أمسيت (شعر)، ملهي حسن عقدي، 1428هـ

168.روحان (شعر)، موسى محمد الأمير، 1428هـ

169.اتجاه آخر (مجموعة قصصية)، أحمد موسى حديب، 1428هـ

170.مرافئ الحب (شعر)، عبد الله بن أحمد الفيفي، 1428هـ

171.نبض الفؤاد (شعر)، د/عبد الله بن محمد الحميد، 1428هـ

172.صمت الأوردة (شعر)، علي يحيى بهكلي، 1428هـ

173.دورية النادي مرافئ، العدد (8)، 1429هـ

174.الجوهريات (شعر)، حسن بن علي أبو طالب، 1429هـ

175.إجهاشه النبض (شعر)، حمد علا الله حكمي، 1430هـ

176.شعر علي بن أحمد النعمي دراسة موضوعية فنية، أحمد بن عبد الله الصم، 1430هـ

177.شعر محمد بن مجسن مشاري، د. خالد ربيع الشافعي، 1430هـ

178.أخاديد السراب (شعر)، إبراهيم عمر صعابي، 1430هـ

179.أسطورة بلاد النور (قصصية)، حضية عبده خافي، 1430هـ

180.الصوت الجريح (شعر)، محمد حسن بوكر، 1430هـ

181.فتنة السر (شعر)، موسى العزي معافا، 1430هـ

182.معزوفة القلب (قصة طويلة)، إبراهيم طاهر صميلي، 1430هـ

183.زامر الحيّ (قصصية)، أحمد إسماعيل زين، 1430هـ

184.التشكيل الرمزي للماء، د. أسماء أبوبكر، 1430هـ

185.بين الزحام (شعر)، علي رديش دغريري، 1430هـ

186.الشعر في منطقة جازان، د. حسن النعمي، 1430هـ

187.دراسات الأدب السعودي المعاصر، د. أسامة البحيري، 1432هـ

188.نأي الدروب (شعر)، يحيى بن جبران معيدي، 1432هـ



189.هكذا غردوا (شعر)، مهدية رابح دحماني، الدار العربية للعلوم ناشرون 1432هـ

190.أقمار خافتة، حمزة الكاملي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1432هـ

191.فيفاء هبة الطفولة، عبد الله بن أحمد الفيفي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1433هـ

192.الوعد منطفئاً، عبد الصمد بن محمد الحكمي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1433هـ

193.لا شأن لي بي، عبد الله باخشوين، الدار العربية للعلوم ناشرون 1433هـ

194.طائر النار، إبراهيم قهوايجي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1433هـ

195.حفلة أرق، عائشة النويمي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1433هـ

196.الإبداع الشعري في جزيرة فرسان، سميحة الحسيني، الدار العربية للعلوم ناشرون 1433هـ

197.ديوان عطر الحروف، إبراهيم أحمد النعمي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1434هـ

198.جنائزية رجل الملح، عبدالله عبيد، الدار العربية للعلوم ناشرون 1434هـ

199.الشعر الشعبي الفرساني ومناسباته، إبراهيم مفتاح، الدار العربية للعلوم ناشرون 1434هـ

200.ضحى والعربة، إبراهيم شيخ، الدار العربية للعلوم ناشرون 1434هـ

201. Everything is Reduced to Ashes. Edited by Hasan Alsalhabi, Arab Scientific Publsihers, 2013

202.ظل من جسد، خالد شداد، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435هـ

203.الثبيتي يتلو أسارير البلاد، علي الأمير، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435هـ

204.في أنواعية الشعر، رشيد يحياوي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435هـ

205.نهار تدحرجه النساء، محمد الشيباني، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435هـ

206.زجاج، أحمد السيد، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435هـ

207.شجر هارب من الخرائط، إبراهيم زولي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435هـ

208.يقيس الأزقة بالذكريات، إبراهيم مبارك، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435هـ

209.الحارس في الثقب، صالح زمانان، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435هـ

210.عاشقة في زمن اللاعشق، شقراء علي صيقل، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435هـ

211.الغزالة تشرب صورتها، علي الحازمي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435هـ

212.القصة القصيرة في منطقة جازان، بتول مباركي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435هـ

213.البرطأونات، محمد بن ربيع الغامدي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435هـ

214.عراف الرمل، محمد العباس، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435هـ

215.ذئاب، طلال الطويرقي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435هـ

216.ممرات للفقد، هويدا صالح، الدار العربية للعلوم ناشرون 1435هـ



217.أغنية للوطن، علي محمد صيقل، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
218.عبق المحابر، حسن مجرشي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
219.100 قصيدة لأمي، إياد الحكمي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
220.خيول تجري إلى الحافة، سالم يحيى عبيري، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
221.الحذاء المنتظر، عبدالله عقيل، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
222.تسير على ظهر غيمة، عبد الحميد البرّاق السليمي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
223.أخرج في موعد مع فتاة تحب الكتابة، اختيار وترجمة محمد الضبع، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
224.خطيئة مؤجلة، عماد العمران، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
225.حبة خال في ساق فراشة، محمد اللوزي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
226.تجليات الغياب، علي حافظ كريري، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
227.موت لم تكتمل ملامحه، أسماء سليمان، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
228.تشبه رائحة أمي.. تشبه شجر الجنة، سهام العريشي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
229.مفتون كأحلام المساء، محمد البلبال بوغنيم، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
230.A Man From No Man's Land، Zainab Al Khudairi، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
231.المخلاف السليماني والعرش، د. فيصل علي الطميحي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
232.مسرحية الموت، حضية خافي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
233.بقايا عطر، شفيقة خافي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
234.حجاب العادة، سعيد السريحي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1436هـ
235.متتالية التجديد، حسن مشهور، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
236.رائحة التراب، إبراهيم عبدالله مفتاح، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
237. عصيان لا يتوب، نورة عبيري، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
238.مخرج للطوارئ، إبراهيم زولي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
239.تهمة الليبرالية، صالح الديواني، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
240.لم يقدني الفراش، طارق صميلي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
241.ثمن الحرية، محمد علي هادي مدخلي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
242.ذاكرة الشفق، حسين محمد سهيل، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
243.كيف سقط قوس قزح على قلبي، حسن أحمد الصلهبي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ



244.وجوه من الريف، حجاب يحيى الحازمي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
245.رائد القصة في الجنوب، حسن بن حجاب الحازمي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
246.وجهان بين مرايا الحزن، محمد عامر الزبيدي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
247.جبين البقاء، نجوى عباس عقيل، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
248.تلك التي لا تجيء، عبدالله مفتاح، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
249.يقيناً يرشح الرمل، حسن بن عبده صميلي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
250.المسألة الفلسفة: كيف نواجه معضلة الفلسفة، زكي الميلاد، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
251.أقبية السراب، مجيب الرحمن عيدروس/مذكور مباركي، الدار العربية للعلوم ناشرون 1437هـ
252.يستوون، إبراهيم علي الحملي، الدار العربية للعلوم ناشرون1437هـ
253.غصون، علي الأمير، الدار العربية للعلوم ناشرون1437هـ



التوحُّش

آليات الرفض والتمرد في الموروث الشعري

جبريل السبعي

الصعلكة حالة من الانفصال الاقتصادي عن المجتمع، عاشها الخلعاء، والأغربة، والفقراء، وأما التوحش فحالة من التعالق المضاد مع المأنوس، لم تدهم إلا قلة من الناس، غارت في مجاهل الصحراء، ثم تبنت رؤى منبعثة من فضاء الوحشة، ومشحونة بهواجس القتل والتدمير.

ولما للبيئة من أثر في نشوء مختلف الظواهر الاجتماعية، والفكرية، والفنية، فقد آثرت أن أعتمد التفسير البيئي، في دراسة ظاهرة التوحش، فانطلقت من الحالة الجغرافية، والمناخية، لأبين كيف انعكست في الحالة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، ثم كيف تسببت - أخيرا - في نشوء ظاهرة التوحش.

من هنا اعتمدت النظر في التضاريس، والرياح، والأمطار، والحواضر، والبوادي، ثم في نظام القبيلة، والسيد، والنسب، والطبقات الاجتماعية، والفئات داخل الطبقة الواحدة، وكذا في حالات الفقر، والغنى، وفي قوانين: التحالف، والجوار، والتبني، والإلصاق، والخلع.

ولقد كان النظر في كل هذا ليس إلا من أجل الكشف عن البنية المجردة للواقع، ولذا فقد انتقلت من معاينة الواقع المتعين في ظرفي الزمان والمكان، إلى تأمل المفاهيم المجردة التي تنظم أجزاء هذا الواقع، وتنتظم بناه؛ كالتضاد، والصراع، والوحدة، والشتات، والاستلاب، والمناهضة، والتحول، والتأسيس، والاختراق، ثم حاولت ضبط هذه المفاهيم من منظور الواقع الذي احتضنها، وكذا التعرف على ما يتصل بها من قضايا.









جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com



ISBN 978-614-01-2000-6
9 786140 120006